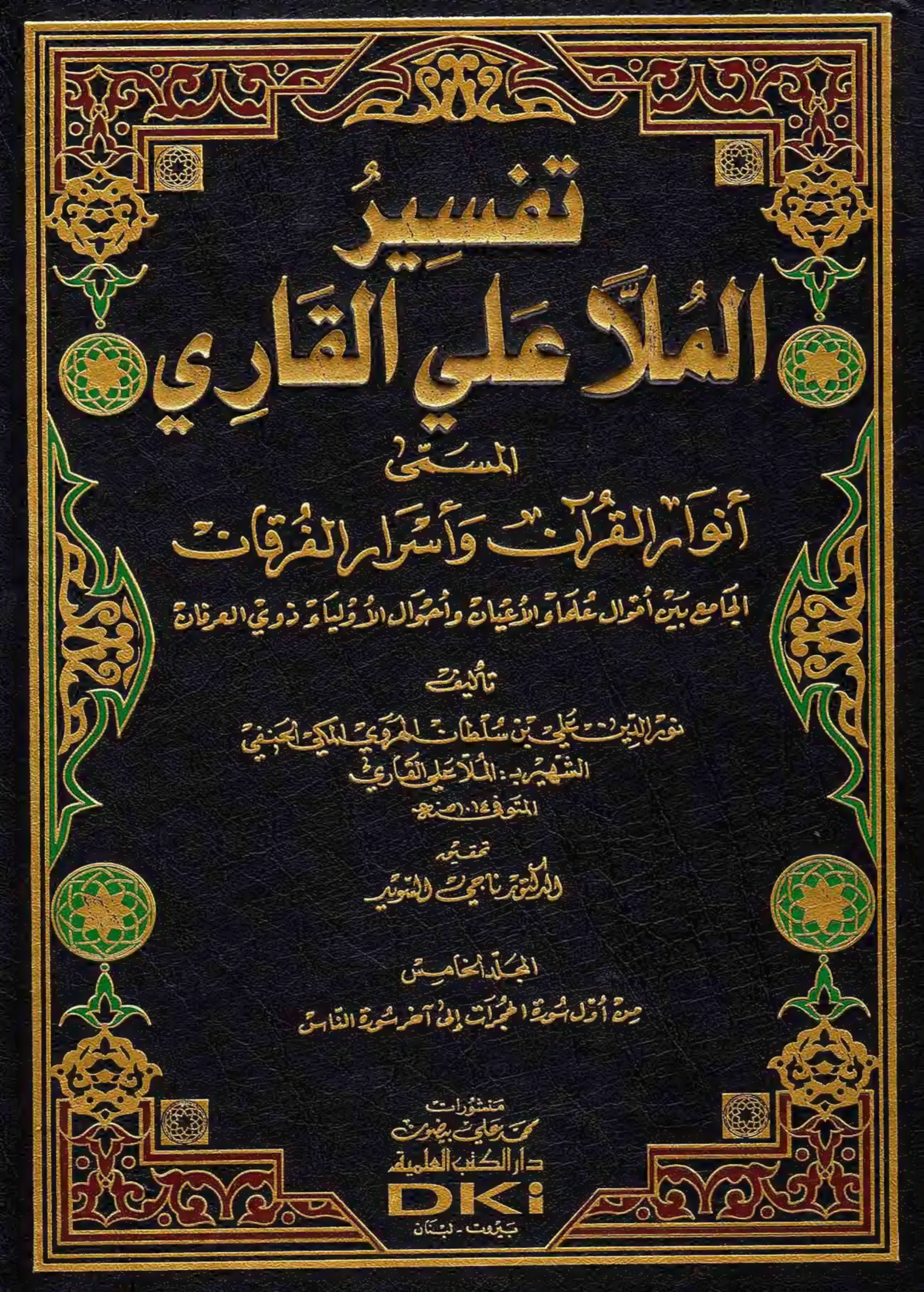

تفسير
الملا علي القاري
المسمى
أنوار القرآن وأسرار الفرقان
الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان
تأليف
نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي
الشهير بـ: الملا علي القاري
المتوفى ١٠١٤هـ
تحقيق
الدكتور ناجي السويد
المجلد الخامس
من أول سورة الحجرات إلى آخر سورة الناس
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان

تفسير الملا علي القاري

المسمى

أنوار القرآن وأسرار الفرقان

الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان

تأليف

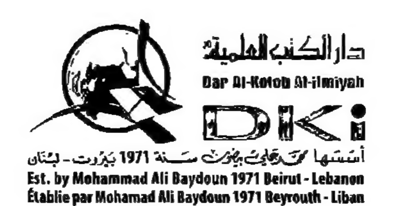
نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي
الشهير بـ: الملا علي القاري
المتوفى ١٠١٤ هـ

تحقيق

الدكتور ناجي السويد

الجزء الخامس

من أول سورة الحجرات إلى آخر سورة الناس



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

الكتاب : تفسير الملاّ علي القاري

Title : TAFSĪR AL-MULLĀ 'ALĪ AL-QĀRĪ

AL-MULLA ALI AL-QARI'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of the Holy Qur'an

المؤلف : الملاّ علي القاري (ت ١٠١٤ هـ)

Author : Al-Molla Ali Al-Qari (D. 1014 H.)

المحقق : الدكتور ناجي السويد

Editor : Dr. Naji As-souwayd

الناشر : دار الكتـــب العلميـــة - بيـــروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

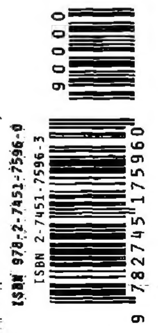
Pages (5 Volumes)	2592	عدد الصفحات (٥ مجلدات)
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2013 A.D. -1434 H.	سنة الطباعة
Printed in : Lebanon		بلد الطباعة : لبنـــان
Edition : 1st (2 Colors)		الطبعة : الأولى (لونان)

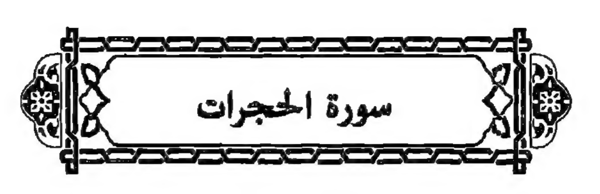
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠





[مدنيّة]

وهي ثماني عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم عزيز من تقرب إليه بإحسانه قابله بلطف إفضاله ومن تحبّب إليه بإيمانه أقبل عليه بكشف جلاله وجماله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ [الآية 1] أمراً ولا تتقدموا ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا ﴿بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [الآية 1] والمعنى لا تقطعوا أمراً قيل: أن يحكما به ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 1] في جميع أحوالكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية 1] لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية 1] بأفعالكم.

قال سهل: لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فاقبلوا منه منصتين له مستمعين إليه واتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته وقيل: لا تطلبوا وراءه منزله.

وأفاد الأستاذ: أن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 1] شهادة للمنادى بالشرف وقوله: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ [الآية 1] أمر بتحمل المكلف قدم الإكرام بالشرف على الإلزام بالكلف أي لا تقدموا حكمكم بين يدي الله ورسوله بمعنى لا تقضوا / أمراً دون الله ورسوله ولا تعملوا من ذات أنفسكم شيئاً في أمر دينه ويقال: قفوا حيث ما وقفتم وافعلوا به ما أمرتم وكونوا أصحاب الاقتداء والاتباع لا أرباب الابتداء والابتداع. 173/ أ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الآية 2] عند جوابه

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ [الآية 2] عند خطابه ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الآية 2] بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته مراعاة للأدب في حضرته ومحاماة على رتبة عظمته ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ [الآية 2] كراهة أن تضيع أحوالكم لأن الرفع والجهر حال عدم المبالاة وبما يؤدي إلى الكفر المحبط للديانة وذلك إذا انضم إليه قصد الإهانة ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الآية 2] أنها محبطة لأعمالكم ومضيعة لأحوالكم.

قال أبو بكر بن طاهر: لا تبدؤه بالخطاب ولا تجيبوه إلا على حدود الآداب.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه أمرهم بحفظ حرمته ومراعاة الأدب في خدمته وصحبته والمعنى لا تنظروا إليه صلى الله عليه وسلم بالعين التي تنظرون إلى أمثالكم ولو أنه بخلقه يلاينكم في جميع أحوالكم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ [الآية 3] يحفظونها ﴿عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [الآية 3] مخافة المخالفة ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية 3] جبّرها ومرنها عليها أو أخلصها لها ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [الآية 3] لفرطاتهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 3] لطاعاتهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الآية 4] من خارجها خلفها أو قدامها والمراد وحجرات الأزواج الطاهرات ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 4] إذ العقل يقتضي حسن الأدب سيما لمن كان بهذا المنصب.

وقال الأستاذ: لو عرفوا رتبتك لما تركوا حرمتك ولا التزموا هيبتك.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ ولو ثبت صبرهم وانتظارهم ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 5] مقبلاً عليهم ﴿لَكَانَ﴾ [الآية 5] صبرهم ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الآية 5] من استعجالهم في تحسين حالهم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية 5] للمسيئين ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 5] بالمحسنين.

وقال الأستاذ: والله غفور لاستعجالهم بالمناداة من وراء الحجرات حتى أيقظوك وقت القيلولة فأما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذين عرفوا قدره فكما في الخبر كان يقرع بابه بالأظافير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الآية 6] فتعرّفوا بيانه وتفحّصوا شأنه. وقرأ حمزة والكسائي فتبينوا أي فتوقفوا في خبره إلى أن يثبت حقيقته أمره ﴿أَن تُصِيبُواْ﴾ [الآية 6] كراهة إصابتكم/ ﴿قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الآية 6] 173/ب جاهلين بحالهم ﴿فَتُصۡبِحُواْ﴾ [الآية 6] فتصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الآية 6] مغتمين روي أنه عليه السلام بعث وليد بن عقبة مصدقاً إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم إحنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدُّوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت[1]. وقيل: فبعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة مجتهدين فسلموا إليه الصدقات فرجع.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الآية 7] أي واعلموا أن كونه صلى الله عليه وسلم فيكم على حال يحب تغييرها وهي أنكم تريدون أن يتبع رأيكم ولو فعل ذلك لوقعتم في العنت وهو الهلاك والمشقة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [الآية 7] وما يتبعه من الإحسان ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الآية 7] لتكميل العرفان والإيقان ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الآية 7] أنواعه الشاملة للكفران ﴿وَٱلۡفُسُوقَ﴾ [الآية 7] الكبائر ﴿وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الآية 7] السالكون سبيل الرشد والهداية.

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية 8] بمراتب أعمالهم ﴿حَكِيمٞ﴾ [الآية 8] في اختلاف أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: إن في الآية دلالة على صحة قول أهل الحق في القدر وتخصيص المؤمنين بألطاف لم يشرك فيه الكافرون ولولا أنه يوفر الدواعي للطاعات يحصل التفريط والتقصير في العبادات.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (23/ 401) رقم (960)، والبيهقي في السنن الكبرى (9/ 54) رقم (17754)، وأحمد في المسند (4/ 279) رقم (18482).

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [الآية 9] تقاتلوا أو هموا بالقتال ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [الآية 9] بالنصح لهما والدعاء إلى حكم الله فيهما ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ [الآية 9] بأن تعدت عليها ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 9] إلى أن ترجع إلى حكمه أو ما أمر به ﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [الآية 9] يفصل ما بينهما على ما حكم الله عليها ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾ [الآية 9] واعدلوا في جميع الأمور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الآية 9] بحمد فعلهم بحسن الجزاء يوم الدين والآية نزلت في قتال حدث بين الأوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال وهي تدل على أن الباغي مؤمن وإنه إذا قبض عن الحرب وترك كما في الحديث لأنه فاء إلى أمر الله وإنه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح إليه والسعي في الصلح لديه.

174/ أ / وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية أن النفس إذا ظلمت على القلب بدعائها إلى شهواتنا واستعلائها في فساد مراداتها فيجب أن تقاتل حتى تثخن بالجراحة بسيوف المجاهدة فإذا استجابت بالطاعة فيعفى عنها لأنها المطية إلى باب مولاها.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الآية 10] من حيث إنهم منتسبون إلى أصل واحد في القضية وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الآية 10] خص الاثنين بالذكر لأنهما أقل من يقع بينهم الشقاق ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 10] في مخالفة حكمه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الآية 10] بإطاعة أمره.

قال أبو عثمان أخوة الدين أثبت من أخوة النسب لأن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب.

وأفاد الأستاذ: أن شرط الأخوة وحقها في الدين أن لا تحوجه إلى الاستعانة بك والتماس النصرة عنك وأن لا تقصر في تفقد أحواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته فيحتاج إلى مسائلتك وأن لا تلجئه إلى الاعتذار بل تبسط عذره على سبيل الاستظهار فإن أشكل وجهه عليك عدت بالملاءمة إليك في خفاء عذره لديك وأن تثوب منه إذا أذنبت وتعوده إذا مرض وإذا

أشار عليك بشيء فلا تطالبه بالدليل عليه وإيراد الحجة لديه كما قالوا إذا استنجد لم يسألوا من دعاهم لآية حرب أم لأي مكان وأن يحفظ عهده القديم ويراعي حقه في أهله الكريم في حال الحياة وبعد الممات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الآية 11] من الرجال ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية 11] أي عند الله ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الآية 11] واختيار الجمع لأن السخرية في المجامع غالباً.

وعن ابن مسعود: البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلباً[1].

وأفاد الأستاذ: أن ما استصغر أحد أحداً إلا سلط عليه ولا ينبغي أن يغتر بظاهر أحوال الناس فإن في الزوايا خبايا والحق يستر أوليائه في حجاب الضّنّة وكم في الخبر كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه[2].

﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية 11] أي ولا يعب بعضكم بعضاً فإن المؤمنين كنفس واحدة فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: الآية 29]، ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الآية 11] ولا يدعوا بعضكم بعضاً بألقاب السوء ففي الحديث: / «من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه»، ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الآية 11] بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم في الصالحين. 174/ ب

---

(1) الحديث: «البلاء موكل بالقول» انظر ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (4/ 244) رقم (4948).
وهناك من نسبه إلى ابن مسعود، انظر ما أخرجه ابن الجعد في مسنده (١/ ٢٩٠) رقم (١٩٦٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٣١) رقم (٢٥٥٤٧). وأما لفظ (لو سخرت من كلب) وهو منسوب لابن مسعود، انظر جامع الأحاديث (٣٧/ ٢١٤) رقم (٤٠٤٤٢)، والمصنف لابن أبي شيبة (٥/ ٢٣١) رقم (٢٥٥٤٦).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 364) رقم (7932)، والطبراني في الأوسط (1/ 264) رقم (861)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 692) رقم (3854)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 332) رقم (10486).

روي أن الآية نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها: هلا قلت أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد[1] ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ [الآية 11] عمّا نهي عنه في هذه السورة وسائر المعصية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 11] بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعقوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الآية 12] كونوا على جانب منه وبالغوا في التبعد عنه وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل في كل فن حتى يعلم أنه من أي القبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله في جميع الحالات وما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالف قاطع من الدلالات وظن السوء بالمؤمنين والمؤمنات وما يباح كالظن في الأمور المعايشة والمعاملات ومنه قوله عليه السلام: «الحزم سوء الظن»[2]، وقوله: «احترسوا من الناس بسوء الظن»[3] ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الآية 12] أي ذنب يستحق العقوبة عليه.

وأفاد الأستاذ: أن النفس لا تصدق والقلب لا يكذب والتمييز بين النفس والقلب مشكل ومن بقيت عليه من حظوظ بقيّة وإن قلّت فليس له أن يدعي بيان القلب بل هو بنفسه ما دام عليه شيء من نفسه ويحب أن يتهم نفسه في كل ما يقع له من نقصان غيره ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الآية 12] ولا تبحثوا عن عيوب المسلمين ففي الحديث: «لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عوراتهم

---

(1) ورد بهذا اللفظ في كتب التفسير، انظر تفسير القرطبي (16/ 326) والكشاف (6/ 377)، وتفسير البيضاوي (1/ 217). وأما اللفظ المختلف دون ذكر اليهودية وبنت اليهوديين انظر ما أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 31) رقم (6790)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 708) رقم (3892).

(2) أخرجه القضاعي في المسند (1/ 48) رقم (24)، وانظر كشف الخفا (1/ 355) رقم (1129).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (1/ 189) رقم (598)، وانظر كشف الخفا (1/ 55) رقم (134).

تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته»(1).

وقال الأستاذ: من اشتغل بنفسه لم يتفرغ إلى الخلق ومن اشتغل بالحق لا يتفرغ إلى نفسه فكيف إلى غيره ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الآية 12] ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته وقد سأل عليه السلام عن الغيبة؟ فقال: «أن تذكر أخاك بما يكرهه فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»(2).

قال الأستاذ: لا تحصل الغِيبة للخلق إلا من الغَيبة عن الحق ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ/ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الآية 12] تمثيل لما يناله المغتاب من عرض 175/ أ المغتاب على أفحش وجه في هذا الباب مع مبالغات الاستفهام المقدر وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبة إنما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان مع جعل المأكول أخاً وميتاً وتعقيب ذلك بقوله ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الآية 12] تقريراً وتحقيراً لما هنالك والمعنى إن عرض عليكم ما أحببتموه فقد كرهتموه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 12] أي خلافه أو عقابه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ [الآية 12] مبالغ في قبول توبة عباده ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 12] لمن تبع أمر الله ونهيه وفق مراده روي أن رجلين من الصحابة بعثا سلمان رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما إداماً، وكان أسامة على طعامه فقال: ما عندي شيء فأخبرهما سلمان فقالا: لو يغشاه إلى بئر سُمَيحَة لغار ماؤها، فلما جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالتا: ما تناولنا لحماً فقال: إنكما قد اغتبتما»(3) فنزلت.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 186) رقم (11444)، وابن حبان في الصحيح (13/ 75) رقم (5763).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (2589/ 70)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/ 247) رقم (20952)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 329) رقم (1934)، والدارمي في السنن (2/ 287) رقم (2714)، وابن حبان في الصحيح (13/ 71) رقم (5758)، وأبو يعلى في المسند (10/ 378) رقم (6493).

(3) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 348) رقم (1244)، وانظر تفسير القرطبي (16/ 33)، وتفسير البغوي (7/ 344)، والكشاف (6/ 380).

وأفاد الأستاذ: إن أخس الكفار وأقلهم في المقدار من يأكل الميتة وعزيز رؤية من لا يغتاب أحداً بين يديك.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الآية 13] أي آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ [الآية 13] الشعب الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد وهو لجمع القبائل والقبيلة بجمع العمائر والعمارة بجمع البطون والبطن بجمع الأفخاذ والفخذ بجمع الفضائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل: الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب ﴿لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الآية 13] أصله لتعارفوا ولذا قرأ البزّي بتشديد تائه أي ليعرف بعضكم بعضاً وتصِلوا الأرحام لا ليتفاخروا وأما بالآباء والقبائل بين الأنام ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الآية 13] فمن افتخر بغير الدين والإسلام فقد افتخر بشيء كالأحلام وفي الحديث: «يا أيها الناس إنما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله»، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ [الآية 13] بأعمالكم ﴿خَبِيرٌ﴾ [الآية 13] بأحوالكم فلا تزكوا أنفسكم حيث لا علم لكم بما لكم.

وقال الأستاذ: إذا كانت أصوله تربة ونطفة ومضغة وعلقة فالتفاخر بماذا أبالحمأ المسنون أو بنطفة /في قرار مكين أو بما ينطوي عليه ظاهرك مما تعرفه من باطنك كما قيل:

175/ ب

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار[1]

أو بأفعالك التي هي بالرياء مشوبة أو بأحوالك التي بالإعجاب مصحوبة

وإنما يجب على العبد أن يتحرز من نفسه فما بلاؤه إلا هي وأكرم الخلق على الله من كان أبعد من نفسه وهو الأقرب من ربه.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الآية 14] نزلت في نفر من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة وأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتيناك بأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 357)، (2/ 299).

﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ [الآية 14] إذ الإيمان تصديق مع ثقة القلب والطمأنينة ولم يحصل لكم هذه الحالة وإلا لما مننتم على الرسول بالإسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ﴿وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الآية 14] فإن الإسلام دخول في السلم وانقياد للحكم وإظهار الشهادة وترك المحاربة ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية 14] أي لم يواطىء قلوبكم ألسنتكم إلى الساعة ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية 14] بالإخلاص في أحوالكم ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ﴾ [الآية 14] لا ينقض من أجورها ﴿شَيْئًا﴾ [الآية 14] من النقصان في آمالكم وقرأ أبو عمر ولا يألتكم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية 14] لما فرط من المطيعين ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 14] بالتفضل على المحسنين.

وأفاد الأستاذ: أن الإيمان هو حياة القلوب والقلوب لا يحيى إلا بعد ذبح النفوس والنفوس لا تموت ولكنها تغيب ومع حضورها لا يتم خير وليس كل من استسلم ظاهراً أخلص سراً.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الآية 15] لم يشكوا ولم يترددوا في إيمانهم ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 15] في طاعته بإحسانهم ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الآية 15] في ادعاء إيقانهم فإن الإيمان ما يوجب للعبد الأمان.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ [الآية 16] أتخبرونه بقولكم آمنا ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 16] لا يخفى عليه خافية. روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤوا وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الآية 17] يعدون إسلامهم منة عليك ونعمة لديك ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم﴾ [الآية 17] أي بإسلامكم ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الآية 17] / على ما زعمتم من الادعاء مع أن الهداية لا تستلزم الاهتداء 176/ أ ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 17] في كونكم مؤمنين وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أي فله المنة عليكم لا لكم منة على غيركم.

وأفاد الأستاذ: أن من لاحظ شيئاً من أعماله وأحواله فإن رآها من نفسه كان شركاً وإن رآها لنفسه كان مكراً فكيف يمنّ العبد بما هو شرك أو مكر والذي يجب عليه قبول المنة كيف يرى لنفسه على غيره منة هذا لعمري فضيحة بل الله يمن عليكم فإنه ولي النعمة ولكن إنما يكون له على العبد منة إذا كان صادقاً في حاله فأما ما كان معلوماً من صفته فهي محنة لصاحبها لا منة والمنة تكرر الصنيعة إذا كانت من الخلق وبالمنة تطيب النعمة إذا كانت من قبل الحق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [الآية 18] ما غاب فيهما فضلاً عما ظهر عليها ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 18] من ظواهركم وسرائركم وقرأ ابن كثير بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن من وقف على ما هنا تكرر عليه العيش وما تهنأ إذ ليس يدري ما غيبه فيه وفي هذا المعنى قال قائل:

أبكي وهل تدرين ما يبكيني أبكي حذاراً أن تفارقيني
وتقطعي حبلي وتهجريني[1]

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 295).



سورة ق

[مكيّة]

وهي خمس وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم جبّار جبر أحوالاً من رحمته وتجبر بكبريائه على عبد أقمأه بقهره وحرمه، اسم لطيف يعلم خفايا صنع العابدين ويغفر جلايا ذنوب العاصين.

﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ①﴾ [الآية 1] أي ذي المجد والشرف على سائر الكتب المنزلة لكونه ناسخاً لها في الجملة أو لأنّ من حفظ مبانيه وعلم معانيه وامتثل أحكامه عظّم مقامه وشرّف مرامه.

قال سهل: اقسم بقوته وقدرته.

وقال ابن عطاء: اقسم بقوة قلب حبيبه حيث حمل الخطاب عن ربه ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله.

وأفاد الأستاذ: إن ق مفتاح اسمه قوي وقدير وقريب أقسم بهذه الأسماء وبالقرآن المجيد وجواب القسم محذوف ومعناه لتبعثن يوم القيامة.

﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية 2] مخبر برسالته من الله إليهم وأخباره لهم بأنهم يبعثون بعدما يموتون ويجازون على أعمالهم وفق أحوالهم وفي الكلام إشعار بأن تعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم أحد من جملتهم أو من أبناء جلدتهم ﴿فَقَالَ/ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 2] أي المصرون على كفرهم 176/ ب المبالغون في أمرهم ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [الآية 2] عطف لتعجبهم من البعث على

تعجبهم من البعثة.

وأفاد الأستاذ: أن التعجب نوع تغير للنفس لعظم أمر خارج عن العادة الذي يقع بسببه علم لم يكن من قبل.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ [الآية 3] أي أنرجع إذا متنا وصرنا تراباً ﴿ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٌ﴾ [الآية 3] عن الوهم أو العادة والإمكان في زعمهم والمعنى يبعد عندنا أن نبعث بعدما متنا.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [الآية 4] إما تأكل من أجساد موتاهم وهو رد لاستبعادهم ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [الآية 4] حافظ لتفاصيل الأشياء كلها وهو تأكيد بعلمه سبحانه بها على ثبوتها في اللوح المحفوظ عنده تعالى.

وأفاد الأستاذ: أن في هذا تسلية للعبد فإنه إذا وسّد التراب وانصرف عنه الأصحاب والأحباب واضطربت بوفاته الأسباب فمن يتفقده أو يتعهده فإلى شفير قبره، وليس لهم شيء سوى ذكره واحد منهم ولا يدري ما الذي يقاسي المسكين في حفرته فيقول الحق سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [الآية 4] ولعله يخبر الملائكة ويقول: عبدي الذي أخرجته من دنياه وحلت بينه وبين من يهواه هذه أجزاؤه قد تفرّقت وهذه عظامه قد بليت وهذه أعضاؤه قد تمزقت وعندنا كتاب حفيظ وهو اللوح المحفوظ أثبتنا فيه تفصيل الخلق من غير نسيان يأتينا فنحتاج إلى تذكرة يعني بل ليستدل به على أحاط علمنا بالأشياء كليها وجزئيها زيادة على ما أظهر فيه من أمره.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 5] بالأمر الثابت الصدق وهو النبي الكريم والقرآن العظيم ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [الأنعَام: الآية 5] حين أتاهم بما أنبأهم ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [الآية 5] مضطرب في حق الحق بقولهم تارة بأنه شاعر وتارة إنه ساحر وتارة أنه كاهن فهم يترددون في ظلمات تحيّرهم ويصبحون على شكهم في أمرهم.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟﴾ [الآية 6] حين كفروا بالإعادة ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾ [الآية 6] إلى ابتداء خلقها سقفاً لهم ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ [الآية 6] رفعناها بلا عمد لها ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ [الحِجر: الآية 16] بالكواكب المركوزة فيها وأدرنا شمسها وقمرها

وكيف جنسنا عينها ونوعنا أثرها ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [الآية 6] فتوق وشقوق وفطور وقصور.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ [الآية 7] بسطناها فجعلناها مهاداً ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الآية 7] جبالاً ثوابت فصيرناها أوتاداً ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا/ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾ [الآية 7] صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ [الآية 7] حسن والمعنى أخرجنا منها نجوماً وأشجاراً وأظهرنا فيها أشجاراً وأنواراً وأثماراً. 177/ أ

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ [الآية 8] تبصيراً وتذكيراً ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [الآية 8] راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنعه.

وقال الأستاذ: أي علامة ودلالة لمن رجع من شهود أفعالنا إلى رؤية صفاتنا إلى شهود حقنا وذاتنا.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا﴾ [الآية 9] أي كثير المنفعة ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ﴾ [الآية 9] أشجاراً وأثماراً ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [الآية 9] وحب الزرع الذي يحصد كالبر والشعير فالأجزاء متجانسة مؤتلفة وأوصافها في الطعم والريح واللون والهيئة مختلفة.

﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ﴾ [الآية 10] طويلات وأفرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [الآية 10] منضود بعضه فوق بعض والمراد كثرة ما فيه من الثمر والمعنى إنا جعلنا بعض الثمار متفرقة كالتفاح والكمثري ونحوها وبعضها مجتمعة كالعنب والرطب وغيرهما.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ [الآية 11] ينتفعون بها ويشكرون عليها ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ﴾ [الآية 11] بذلك الماء ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الآية 11] أرضاً جدبة ليس فيها النماء ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [الآية 11] أي كما أحييت هذه البلدة بعد موتها يكون خروجكم أحياء بعد موتكم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ [الآية 12] بئر كانت لبقية من ثمود كذبوا نبيهم ورسوه في بئرهم ﴿وَثَمُودُ﴾ [الآية 12] قوم صالح.

﴿وَعَادٌ﴾ [الآية 13] قوم هود ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ [الآية 13] أراده وقومه ليلائم ما

قبله وما بعده ولعله اقتصر عليه لأنه السبب لتكذيب من كان لديه ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ [الآية 13] لأنه تزوج منهم.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ [الآية 14] أي الغيضة وهم قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الآية 14] سبق في الدخان ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ [الآية 14] أي كل واحد أو كل قوم منهم أو جميعهم وإفراد الضمير لإفراد لفظه ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [الآية 14] فوجب لهم أو فحل عليهم وعيدي وفيه تسلية للمؤمنين وتهديد للكافرين.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ [الآية 15] فعجزنا عن الإبداء في الابتداء حتى نعجز عن الإعادة في الانتهاء والهمز للإنكار وللحمل على الإقرار ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية 15] أي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول بل هم في خلط وشبهة في الإعادة لما فيه من مخالفة العادة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [الآية 16] ما تحدثه به وهو ما يخطر بباله من تقلبات أحواله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ/ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [الآية 16] أي ونحن أعلم بحاله فمن يكون أقرب إليه من حبل الوريد وهو تجوز بقرب الذات لقرب العلم من الصفات وحبل الوريد مثل في القرب الشديد كما قيل: والموت أدنى من الوريد والحبل العرق وإضافته للبيان والوريدان عرقان يكتنفان بصفحتي العنق، وسمي وريداً لأن الروح الطبيعي ترده. 177/ب

قال الشيخ: الرباني علاء الدولة السناني في موارد الشوارد لفرط قربه بك لا تراه ولغاية بعدك عنه ترى شيئاً سواه وهذا تمام لمن يطلب معرفة مولاه ولا يصح الطلب إلا لمن خالف هواه.

وقال الواسطي: أي نحن أولى به وأحق بأمره لأنا جمعناه بعد الافتراق وأنشأناه بعد العدم ونفخنا فيه من روحنا فالأقرب إليه من هو أعلم به منه لنفسه.

وقال الأستاذ: أي وتعلم ما توسوس به نفسه من شهوات تطلب استيفاءها ونصنع من الخلق أو سوء الخلق أو اعتقاد حقد وحسد ونحوهما من آفات النفس ولأنها توسوس بذلك لتشوش قلبه عليه وتضيع وقته لديه

وحبل الوريد أقرب أجزاء نفسه إليه والمراد منه العلم بهم والقدرة عليهم وإنه سمع قولهم ولا يشكل عليه شيء من أمرهم وفي هذه الآية هيبة وفزع وخوف لِقوم، وروح وأنس وسكون قلب لِقوم.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [الآية 17] أي يتلقى الحفيظان ما يعمله وفيه إيذان بأنه غني عن استحفاظ ملكين فإنه أعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية وتأكيد في اعتبار الطاعة ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [الآية 17] أي قاعدان أو مقاعدان.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] ملك يرقب عمله عتيد حاضر معدّ له ولعله يكتب ما فيه ثواب أو عقاب فعن ابن عباس يكتب عليه الخير والشر رواه البخاري[1]. وقيل: يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه ويؤيده الأول حديث كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك/ اليمين عشراً وإذا عمل سيئة قال: صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر[2]. 178/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خوفهم بشهود الملائكة وحضور الحفظ وكتابتهم عليهم أعمالهم وهما قعيدان، كل أحد ويقال إذا كان قاعداً فواحد عن يمينه يكتب خيراته وواحد عن يساره يكتب سيئاته وإذا نام فواحد عند رأسه وواحد عند قدمه وإذا كان ماشياً فواحد قام بين يديه وآخر خلفه ويقال: هما اثنان بالليل لكل واحد واثنان بالنهار ويقال: بل الذي يكتب الخيرات كل يوم يكون آخر والذي يكتب الزلات كل يوم هو الذي كان بالأمس ليكثر غداً شهود الطاعات ويقال: بل الذي يكتب المعصية كل يوم اثنان آخران وكل ليلة اثنان آخران لئلا يعلم من مساوئك إلا القليل منهم فيكون علم المعاصي متفرقاً فيهم.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (ص: 1366)، والحاكم في المستدرك (2/ 505) رقم (3730).

(2) أورده القرطبي في تفسيره (17/ 9)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 227).

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الآية 19] أي قد شاهدت ما هي مقدمة للوعد الصادق فإن من مات فقد قامت قيامته وظهرت له إعادته ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 19] أي الموت ﴿مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [الآية 19] أي تميل عنه وتفرّ منه والخطاب للإنسان المتقدم في البيان.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا أشرفت النفس على الخروج من الدنيا فأحوالهم تختلف فمنهم من يزداد في ذلك الوقت خوفه ولا يتبين إلا عند ذهاب الروح حاله ومنهم من يكاشف قبل خروجه فيسكن روعه ويحفظ عليه عقله ويتم له حضوره فيسلم الروح على مهل من غير استكراه ومنهم من قال بعضهم في معناه:

أنا إن مت فالهوى حشو قلبي   فبداء الهواء يموت الكرام

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ [الآية 20] أي نفخة البعث ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾ [الآية 20] أي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد الشديد.

﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾ [الآية 21] ملكان أحدهما يسوقه إلى المحشر، ويشهد بعمله الآخر أو ملك جامع للوصفين أو السابق كاتب للسيئات والشهيد كاتب للحسنات.

قال فارس: ما ساقهم إلا القدرة ولا شهد عليهم إلا جوارحهم.

178/ب وقال الواسطي: شاهدها الحق ومن كشف عنه غطاء / الغفلة أبصر الأشياء كلها في أسر القدرة.

قال عامر بن عبد قيس: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، كذا في «تفسير السلمي».

وقال الأستاذ: سائق يسوقها إما إلى الجنة وإما إلى النار وشهيد يشهد عليه بما فعل من الخير والشر فيقال له: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ [الآية 22 الخطاب للكافر ولكل نفس إذ ما من أحد إلا وله إشغال ما عن أمر الآخرة ويؤيده القراءة الشاذة بكسر التاء والكافات في قوله ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾

[الآية 22] حجابك لأمور معادك وهو الغفلة في الحالات والانهماك في المحسوسات ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [الآية 22] نافذ لزوال المانع للإبصار.

وقال الأستاذ: المؤمنون اليوم بصرهم حديد يبصرون رشدهم ويحذرون شرهم ولا يتجاوزون حدهم والكفار يقال لهم: فبصرك اليوم حديد علمت ما كنت فيه من التكذيب فاليوم لا يسمع منك خطاب ولا يرفع عنك عذاب.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ [الآية 23] الملك الموكل عليه ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [الآية 23] هذا ما هو مكتوب عندي حاضر له لدي.

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] معاند للحق مكابر للصدق والخطاب من الله للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو لواحد وتثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كأنه قيل: ألق ألق للتأكيد والألف بدل من نون التأكيد إجراء للوصل مجرى الوقف ويؤيده إنه قرىء شاذاً أَلْقِينْ بالنون الخفيفة.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [الآية 25] كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة ﴿مُعْتَدٍ﴾ [الآية 25] متعد في المعصية والمظلمة ﴿مُّرِيبٍ﴾ [الآية 25] شاك في التوحيد والنبوة والبعث في الآخرة.

وقال الأستاذ: مناع للخير معوان للشر ويقال: يمنع الناس عن الخير من الإيمان والإحسان مريب الذي يشكك الناس في أمر اليقين ويكون غير مخلص في الدين ويلبس على الناس في أحواله وينافقهم في أعماله.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الآية 26] مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [الآية 26] أو بدل من كل كفار فيكون فألقياه تكريراً للتوكيد.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ [الآية 27] أي الشيطان المقيض له المسلط/ عليه بعد إلقائهما 179/ أ في جهنم ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ [الآية 27] باستقلال مني في الإطغاء ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 27] عن الاهتداء فأعنته عليه في الابتداء أو الانتهاء.

﴿قَالَ﴾ [الآية 28] أي الله تعالى ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ [الآية 28] في موقف الحساب أو مقام العذاب فإنه لا فائدة فيه حين كشف الغطاء ورفع الحجاب ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ [الآية 28] على الطغيان والإطغاء في كتبي وعلى ألسنة رسلي فلم يبق لكم حجة عندي.

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [الآية 29] بوقوع الخلف في وعيدي فلا تطمعوا أن أبدل ما ثبت عندي ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ﴾ [الآية 29] بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ [الآية 29] فأعذب من ليس لي تعذيبه فتعذيب من أعذبه عدل وتنعيم من أنعمه فضل.

قال الواسطي: ما ينفع البكاء على ما سبق من محتوم القضاء.

﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ [الآية 30] وقرأ نافع وأبو بكر بالياء أي الله أو الملك ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [الآية 30] أي من زيادة وهذا من غاية التغيظ للنار في الاستزادة من الكفار أو الاستفهام للإنكار أي ليس فيَّ مكان زيادة للأغيار كقوله عليه السلام لما قيل له يوم فتح مكة هل ترجع إلى دارك؟ فقال: «وهل ترك لنا عقيل من دار»[1] أي لم يترك ويؤيده قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: الآية 119].

قال الأستاذ: وإن الله يملأ جهنم من الكفار والفجار وإذا أخرج عصاة المؤمنين من النار زاد الله في عظم أجساد الكفار حتى تمتلىء جهنم بهم.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ [الآية 31] قربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [الآية 31] مكاناً غير بعيد وهو نوع تأكيد.

وقال الأستاذ: يقال: أن الجنة تقرب من المتقين كما أن النار تجر بالسلاسل إلى المحشر للمجرمين ويقال: بل تقرب الجنة إلى أهلها بأن يسهل على المتقين مسيرهم إليها ويقال: هم ثلاثة أصناف: قوم يحشرون إلى الجنة مشاة وهم الذين قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر:

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1588)، ومسلم في الصحيح (1351/ 439).

الآية 73] وهم عوام المؤمنين وقوم يحشرون إلى الجنة ركباناً على الطاعات المصورة لهم بصورة الحيوانات وهم الخواص قلت: ولعلّه المراد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: الآية 85]، وأما خاص الخاص فهم الذين قال لهم: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 31] تقرب الجنة منهم / يعني بطريق 179/ ب طي المسافة وجمع المساحة وقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [الآية 31] تأكيد لقوله ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ [الآية 31] ويقال: غير بعيد من العاصين تطييباً لقلوبهم.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ [الآية 32] رجاع إلى الله وأمره ﴿حَفِيظٌ﴾ [الآية 32] حافظ بحدوده ويحافظ على ذكره وشكره والمعنى يقال لهم: هذا الثواب ما كنتم توعدون في الكتاب أن يقع لكم يوم الحساب وقرأ ابن كثير بالغيبة فهو التفات من الخطاب.

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 33] حال من الفاعل أي غائب عن الناس أو المفعول أي غائباً عن الأعين وتخصيص الرحمٰن للإشعار بأنهم رجوا رحمته وخافوا عقوبته أو بأنهم ذوو خشية منه مع علمهم بسعة رحمته ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [الآية 33] أي راجع إلى الله قريب لعبده مجيب.

قال أبو عثمان من خشي ربه بالغيب كان باطنه أحسن من ظاهره ويكون باطنه سلماً للحق وظاهره سلماً للخلق.

وأفاد الأستاذ: أن الخشية اللطف من الخوف فكأنها قريبة من الهيبة ويقال: هي مقتضى علمه بأنه يفعل ما يشاء في خلقه والخشية من الرحمٰن مقرونة بالأنس ولذلك لم يقل من الجبار أو القهار فالخشية من الرحمٰن مقرونة بالإنس ولذا لم يقل من الجبار أو القهار فالخشية من الرحمٰن خشية الحجاب لا خوف العقاب وقال: ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [الآية 33] ولم يقل بنفس مطيعة ليكون للعصاة في هذا أمل ووفاء لأنهم وإن قصروا بنفوسهم وليس لهم صدق القدم فلهم الأسف بقلوبهم وصدق الندم.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ [الآية 34] أي يقال لهم: ادخلوا الجنة مصحوبين بسلامة من زوال النعمة أو مسلماً عليكم من الله والملائكة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [الآية 34]

وقت تقدير الخلود.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] زيادة على مشيئتهم في مشهياتهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يقل ما يسألون بل قال ﴿مَّا يَشَآءُونَ﴾ أي ما يخطر ببالهم يحقق لهم قبل سؤالهم وإذا قالوا اليوم ما شاء الله كان يقال لهم غداً ما شئتم كان هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وفي قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ اتفق أهل التفسير أنه الرؤية وقوم يقولون المزيد على الثواب في الجنة وكل يكون إذ لا منع من الجمع في سعة المنة.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ [الآية 36] قبل قومك ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ [الآية 36] أي جماعة ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [الآية 36] قوة وشوكة/ كثمود وعاد ﴿فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [الآية 36] فذهبوا فيها وتصرفوا بها ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [الآية 36] هل لهم من الله مخلص أو من الموت مهرب. 180/أ

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ [الآية 37] في ما ذكر في هذه السورة ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ [الآية 37] لتذكرة وتبصرة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [الآية 37] أي واع يتفكر في حقائقه ووقائعه ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ [الآية 37] أصغى لاستماعه ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [الآية 37] حاضر بذهنه ليدرك مبانيه ويفهم معانيه فيتعظ بظواهره ويتزجر بزواجره وفي نكير قلب إشعار بأن كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ليس بقلب.

قال الشبلي: مواعظ القرآن لمن له قلب حاضر مع الله لا ينفك عنه طرفة عين.

وأفاد الأستاذ: أن المراد قلب على الإحسان مقبل ويقال: قلب غير قلب أو ألقى السمع أي استمع إلى ما يتأدى إلى ظاهره من الخلق وما عاد إلى سره من الحق ويقال: لمن كان له قلب صاح لم يسكر من الغفلة أو قلب حي بنور الموافقة ويقال: قلب يعد أنفاسه مع الرب ويقال: قلب غير معرض عن الاعتبار وغير غافل عن الاستبصار ويقال: القلوب كما في الخير بين أصبعين من أصابع الرحمٰن أي نعمتين من نعمه وهما ما يدفع عن القلوب من

البلاء وما ينفعها به من النعماء فكل قلب منع الحق عنه الأوصاف الذميمة وألزمه النعوت الحميدة فهو الذي قال في حقه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [الآية 37]. ويقال في الخبر: إن لله أواني ألا وهي القلوب وأقربها من الله ما رق وصفا[1]. شبّه القلوب بالأواني فقلب الكافر إناء منكوس لا يدخل فيه شيء وقلب المنافق إناء مكسور ما يلقى فيه من أوله يخرج من أسفله وقلب المؤمن إناء صحيح غير منكوس يدخل فيه الإيمان ويبقى على ممر الزمان ولكن هذه القلوب أيضاً مختلفة فقلب ملطخ بالغفلات وفنون الآفات فالشراب الذي يلقى فيه يصحبه أثر ما هو متلطخ به وأما من صفا قلبه عن ما يسمى كدراً فهو أعلاهم قدراً.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [الآية 38] ما أصابنا من تعب وإعياء.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 39] أي المشركون من إنكارهم البعث للجزاء فإن من قدر على خلق العالم من غير الإعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الآية 39] نزهه عن العجز وما لا يليق به من الشيم حامداً له على ما أنعم عليك من النعم ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [الآية 39] / يعني 180/ب الفجر والعصر.

قال سهل: لا يغفل صباحاً ومساء عن ذكر من لا يغفل عن برك وحفظك في كل أوقاتك.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام كان يتأذى بسماع ما يقولون في الأشياء التي يقدس عنها بغتة فقال: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 39] واستروح عن تعب سماعك منهم يستبيحك لنا فيهم.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ [الآية 40] أي وسبحه بعض الليل فإن الصفوة أتم في الخلوة في حال الجلوة ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [الآية 40] وأعقاب الصلاة جمع دبر

---

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (9/ 221) رقم (8288).

وقرأ نافع وابن كثير بكسر الهمزة من أدبرت الصلاة إذا انقضت أي وقت انقضاء الصلوات.

﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ [الآية 41] لما أخبرك به من أحوال القيامة وأهوالها ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ [الآية 41] إسرافيل أو جبريل فيقول: أيها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية 41] بحيث يصل نداؤه إلى الكل على السواء قيل: ولعله في الإعادة نظير كُنْ في الإبداء.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ [الآية 42] النفخة الثانية ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 42] أي البعث للجزاء ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [الآية 42] من القبور إلى القضاء.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ [الآية 43] في الدنيا ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 43] مرجع الكل للجزاء في العقبى.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ [الآية 44] تتشقق وقرأ الكوفيون وأبو عمرو بالتخفيف ﴿سِرَاعًا﴾ [الآية 44] مسرعين ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ﴾ [الآية 44] بعث وجمع ونشر ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [الآية 44] هين غير عسير.

وقال الأستاذ: سواء خلقناهم أفراداً أو جملة قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: الآية 28].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 45] تسلية لرسوله وتهديداً لغيره ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [الآية 45] بمجبر له على الإيمان والإحسان ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [الآية 45] فإنه لا ينتفع به غيره.



سورة الذاريات

[مكيّة]

وهي ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة عزيزة من ذكرها عز لسانه ومن عرفها اهتز لصحبتها جنانه، بسم الله كلمة لألباب المقربين غلّابة ولأرواح المحبين سلّابة.

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١﴾ [الآية 1] أي الرياح التي تثير الغبار.

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾ [الآية 2] فالسحب الحاملة للأمطار.

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣﴾ [الآية 3] فالسفن الجارية في البحار جرياً ذا يسر في الأقدار.

﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾ [الآية 4] الملائكة التي تقسم الأمور من الأرزاق والأخلاق والأسرار والأنوار.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ [الآية 5] من الحساب والثواب والعقاب ﴿لَصَادِقٌ﴾ [الآية 5] لذوا صدق/ وحق. ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [الآية 6] أي الجزاء نازل وحاصل. 181/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أقسم برب هذه الأشياء وإن من جملة الرياح الصبحية تحمل أنين المشتاقين إلى ساحات العزة ثم تأتي بنسيم القربة إلى مشام أسرار أهل المحبة فيجدون راحة من غلبات اللوعة وفي معناه أنشدوا:

وإني لأستهدي الرياح نسيمكم ... إذا أقبلت من أرضكم بهبوبِ

وأسألها حمل السلام عليكم فإن هي يوماً بلغت فأجيبي[1]

وفي سحائبها يمطر بعتاب الغيبة ويؤذن هواجم النوى والفرقة فإذا عنَّ لهم شيء من ذلك فينور بصائرهم ابصروها فيأخذون في الابتهال والتضرع في السؤال استعاذة منها كما قالوا:

أقول وقد رأيت لها سحاباً من الهجران مقبلة إلينا
وقد سحت عزاليها ببين حوالينا الصدود ولا علينا

وقد يحمل الملاح بعض الفقراء من غير الأجرة طمعاً في سلامة السفينة فهؤلاء يرجون أن يحملوا في فلك الكفاية في بحار القدرة عند تلاطم أمواج القيامة، ومن الملائكة من ينزل يتفقد أهل الوصلة وبتعزية أهل المصيبة وبأنواع من الأمور لأهل هذه القصة فهؤلاء القوم يسألونهم عن أحوالهم هل عندهم خبر من فراقهم ووصالهم ويقولون:

بربكما يا صاحبي قفا بيا أسائلكم عن حالكم وسلانيا

وفي قوله: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الآية 5] إن الحق سبحانه وعد المطيعين بالجنة والتائبين بالرحمة، والأولياء بالقربة والعارفين بالوصلة ووعد أرباب المصيبة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة: الآية 157] ثم هم تصدوا لاستبطاء حسن الميعاد ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة: الآية 207].

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧﴾ [الآية 7] أي الطرق الحسنة وهي إما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب عند النظار أو المعقولة التي يسلكها أرباب الاعتبار ويتوصلون بها إلى المعارف والأسرار.

﴿إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ۝٨﴾ [الآية 8] في القيامة أوامر الديانة أو في ذات الله وصفاته رسوله ومعجزاته أو كتابه وآيات بيانه.

وقال الأستاذ: وهذا قسم ثان وجوابه والإشارة فيه إلى أن سماء التوحيد ذات الزينة بشمس المعرفة وقمر المحبة ونجوم القربة في باب هذه

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 305).

الطريقة فمن منكر/ يجحد الطريقة ومن معترض يعترض على أهلها يتوهم 181/ ب نقصانهم بحق الشريعة ومن متكشف لا يخرج من ضيق حدود العبودية ولا يعرف خبراً من تخصيص الحق أولياءه بالأحوال السنية ولقد قال قائلهم:

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدري أنه صدقا

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الآية 9] يصرف عن القرآن أو الإيمان من صرف عنه إذ لا صرف أشد منه فكأنه لا صرف بالنسبة إليه أو يصرف من صرف في علم الله وقضائه لديه.

قال سهل: يدفع عن الحق عند اللقاء من وقع عند الحكم والقضاء.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠﴾ [الآية 10] لعن الكذابون أو الظانون.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ [الآية 11] غفلة مستمرة ﴿سَاهُونَ﴾ [الآية 11] غافلون لاهون عما أمروا به من الطاعة المستكثرة.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢﴾ [الآية 12] متى وقوع يوم الجزاء على ما جرى به من القضاء.

قال الأستاذ: أي يوم القيامة يستعجلون بها ولأجل تكذيبهم بوقوعها كانت نفوسهم لا تسكن إليها.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ [الآية 13] أي يقع جزاؤهم حين يحرقون ويعذبون ويقال لهم.

﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾ [الآية 14] قاسوا عقوبتكم ﴿هَٰذَا﴾ [الآية 14] العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الآية 14].

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى الذين يكذبون في أعمالهم لما يداخلهم من الرياء ويكذبون في أحوالهم لما يتداخل من الإعجاب ويكذبون على الله فيما يدعونه من الأحوال.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الآية 15] قال سهل: المتقي في الدنيا في جنات الرضى مقلب وفي عيون الإنس مسبح.

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الآية 16] قابلين لما أعطاهم راضين بما أولاهم والمعنى أن كل ما آتاهم ربهم حسن مرضي لهم متلقى بالقبول عندهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم في عاجلهم في جنات وصلهم وفي آجلهم في جنات فضلهم فغداً درجات ونجاة واليوم قرب ومناجاة وما هو مؤجل حظ أنفسهم وما هو معجل حق ربهم يأخذون ما يصيبهم من الله بيد الشكر والحمد وغداً يأخذون ما يعطيهم ربهم في الجنة من فنون العطاء والرفد ومن كان اليوم أخذه بلا واسطة من حيث الإيمان والإيقان وملاحظة القسمة في العطاء والحرمان كذا غدا أخذه بلا واسطة / في الجنان عند اللقاء والعيان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الآية 16] أحسنوا أعمالهم وزينوا أحوالهم. 182/أ

وأفاد الأستاذ: أنهم كانوا ولكنهم اليوم بانوا ولكن بعدما أعدناهم حصلوا واستبانوا والإحسان كما في الخبر أن تعبد الله كأنك تراه[1].

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] أي يرقدون في طائفة من الليل في مزيدة أو ينامون نوماً قليلاً فمن تبعيضية ويجوز أن يكون ما نافية عند الكوفية وقيل: المحسنون كانوا قليلين وهم في بعض الليل يهجعون أو غيرها هاجعين.

وقال الأستاذ: كانوا قليلاً وكانوا بالليل لا ينامون كقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: الآية 13]. ويقال: كان نومهم بالليل قليلاً ويقال: كانوا لا ينامون بالليل قليلاً.

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] أي أنهم مع قلة منامهم وكثرة قيامهم للتهجد وسائر مرامهم إذا أسحروا استغفروا كأنهم في ليلهم من الجرائم استكثروا.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (50)، ومسلم في الصحيح (9/ 5).

وقال الأستاذ: أخبر عن تهجدهم وقلة دعاويهم وتنزلهم بالأسحار منزلة المذنبين في استغفارهم عن معاصيهم فيستغفرون استصغاراً لقدرهم واستحقاراً لفعلهم وأمرهم والليل إما للأحباب في أنس المناجاة وإما للعصاة في طلب النجاة وسهرهم دائم في سحرهم إما لفرط أسف أو لشدة لهف وإما لاشتيقاق وإما لفراق وإما لكمال أنس وطيب روح قدس.

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ﴾ [الآية 19] نصيب يستوجبونه على أنفسهم تقرباً إلى الحق وإشفاقاً على الخلق ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ [الآية 19] المتكفف ﴿وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الآية 19] المتعفف الذي يظن غنياً فيحرم.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾ [الآية 20] أي فيها دلائل من أنواع النبات وأصناف المعادن والحيوانات وفي اختلاف أجزائها في الهيئات والكيفيات والخواص والمنافع الكليات والجزئيات يدل على وجود الصانع ووحدته وعلمه وعلمه وقدرته وإرادته وحكمته وفرط رحمته ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ [الآية 21] أي آيات ودلالات إذ ما في العالم شيء إلا وفي الإنسان له نظير تدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والكيفيات الجامعة والمناظر البهية اللامعة والتركيبات العجيبة والتمكن من الأفعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع / البدائع 182/ ب المتنوعة ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الآية 21] تنظرون بنظر العبرة مع انضمام الفكرة.

قال الواسطي: كلما وقع بصره على شيء يرى الصانع له كما قيل:

ففي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد

وأفاد الأستاذ: أن من الآيات التي في الأرض أنها تحمل كل شيء فكذلك العارف يحمل كلّ أحد ومن استغلّ أحداً أو تبرم برؤية أحد فلغيبته عن الحقيقة ومطالعته الخلق بعين التفرقة وأهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة ومن الآيات التي في الأرض إنه يلقى عليها كل قذارة وقمامة فتنبت كل زهر ونور كذلك العارف يتشرب ما يسقى من الجفاء ولا يترشح إلا بكل خلق عليّ ووصفٍ حليّ من نعوت أرباب الوفاء.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الآية 21] أيضاً آيات فمنها وقاحتها في

همتها ومنها وقاحتها في صفتها ومنها دعوتها العريضة فيما يرى منها وبها ثم حالها المرضية في أن ليس ذرة لها ولا سيئة بها ولا منها.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ [الآية 22] أسباب رزقكم أو تقديره في حقكم ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الآية 22] لأن الأعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 23] إنه أي الرزق للعباد أو الوعد بالمعاد الحق ثابت وصدق ﴿مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الآية 23] أي مثل نطقكم وهو مبني على الفتح ومحله الرفع على ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 23] صفة ﴿لَحَقٌّ﴾ [الآية 23] ويؤيده أنه قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالرفع.

وقال الأستاذ: كما أن نطقك لا يتكلم به غيرك فرزقك لا يأكله غيرك والإشارة في هذه الآية أنه حال برزقك على السماء ولا سبيل إلى العروج إلى الهوا فاشتغل بما كلفك ولا تتعنّ في طلب رزقك ويقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ [الآية 22] وإلى السماء يرفع عملكم فإن أردت أن ينزل عليك رزقك فاجتهد أن يصعد إلى السماء عملك ولهذا قالوا: الصلاة قرع باب الرزق قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: الآية 132]، ﴿مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الآية 23].

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤﴾ [الآية 24] المقربين عند الجليل أو المعظمين عند الخليل حيث قام عليه السلام في خدمتهم حق البيان وفيه إيماءٌ إلى أن الضيف واجب الإكرام روي أنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وسماهم / ضيفاً لأنهم تصوروا في صورة الأضياف وفي صدر الكلام تفخيم لشأن الحديث وبيانه وتشويق إلى سماعه.

183/أ

وأفاد الأستاذ: أنه قيل في التفاسير لم يكن أتاه خيرهم قبل نزول هذه الآية وقيل: إكرام الضيف بطلاقة الوجه إليهم والاستبشار بالخدمة لديهم وقيل: سماهم مكرمين لأن غير الموعود عند الكرام كريم ويقال: ضيف الكرام لا يكون إلا كريماً وقيل: لم يتكلف إبراهيم لديهم وما اعتذر إليهم وهذا هو إكرام الضيف حتى لا يكون من المضيف عليه منة فيحتاج الضيف

إلى تحمُّل المونة.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الآية 25] فسلم عليك سلاماً تاماً ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [الآية 25] أي عليكم وعدل في الجواب إلى الرفع بالابتداء القصد النيّات حتى يكون تحية من أحسن التحيات وقرأ حمزة والكسائي قال سلم: بمعنى سلام والمستفاد من كلام الأستاذ أن كلاهما بمعنى الأمان في المراد ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الآية 25] أنتم قوم غرباً ما تعرفون.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ [الآية 26] فذهب إليهم في خفية من ضيفه خيفة من أن يكفوه عنه أو يصيرون منتظرين له وفي الفاء إيماءٌ إلى المبادرة بالضيافة كما هو عادة الكرام في طريقة الإكرام ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الآية 26] أي حنيذ مشوي.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 27] بأن وضعه بين أيديهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 27] أي منه والهمزة فيه للعرض والحث على الأكل على طريقة أدب الضيافة أن قال أول ما وضعه وللإنكار أن قاله بعد ما رأى إعراضهم عنه وامتناعهم منه ويؤيده قوله:

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [الآية 28] فأضمر منهم خوفاً لظنه أنهم جاؤوا بشر في قصدهم ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ [الآية 28] إنا رسل ربك قيل: مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم وبشروه ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الآية 28] يكمل علمه إذا بلغ حلمه وتحقق حكمه وهو إسحاق لقوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ [الآية 29] سارة رضي الله عنها إلى بنتها وكانت في زاوية تنظر إلى ضيفها ﴿فِى صَرَّةٍ﴾ [الآية 29] في صيحة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ [الآية 29] لطمت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجبة في حالها ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الآية 29] أي أنا عجوز عاقر وبعلي شيخ عاجز قيل: إنها كانت يومئذ / ابنة ثمان وتسعين سنة 183/ ب وإبراهيم ابن تسع وتسعين سنة.

﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ﴾ [الآية 30] أي كما قلنا لك ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ [الآية 30] لنا أن نخبرك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 30] فيكون فعله حقاً وقوله صدقاً.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ [الآية 31] أي فما شأنكم وأمركم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾

[الآية 31] وبما أرسلتم لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون مجتمعين إلا لأمر عظيم في الدين.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ [الآية 32] أي قوم لوط.

﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣﴾ [الآية 33] يعني السجيل فإنه طين متحجر.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ [الآية 33] مرسلة أو معلمة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الآية 34] للمجاوزين طريق اليقين.

﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ [الآية 35] في قريتهم ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 33].

﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا﴾ [الآية 36] من يخرج منها ﴿غَيۡرَ بَيۡتٖ﴾ [الآية 36] أي أهل بيت ﴿مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الآية 36] واستدل بهذا الكلام على اتحاد الإيمان والإسلام وفيه أن ذلك لا يكفي للتحقيق المرام فإنه لا يقتضي إلا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وهو لا يوجب اتحاد مفهومهما بجواز صدق المفهومات المتعددة على ذات واحدة.

﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ﴾ [الآية 37] في القرى أو الفعلة ﴿ءَايَةٗ﴾ [الآية 37] علامة ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [الآية 37] فإنهم المعتبرون بها وهي تلك الأحجار أو ماء أسود منتن فيها ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 38] أي وفي موسى آيات بينات كاليد والعصا ونحوها من معجزات ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [الآية 38] بحجة ظاهرة قاهرة.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ﴾ [الآية 39] فاعرض بنفسه عن الإيمان به كقوله تعالى: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية 83] أو فتولى بما كان يتقوى به من جنده ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ﴾ [الآية 39] أي هو ساحر مفتون ﴿أَوۡ مَجۡنُونٞ﴾ [الآية 39] ذو فنون.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [الآية 40] ألقيناهم في البحر وأغرقناهم من القهر ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ [الآية 40] آت بما يلام عليه من العناد في الكفر.

﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١﴾ [الآية 41] فأهلكتهم واستأصلتهم

وهي الدبور أو الجنوب أو النكباء.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 42] أي مرّت عليه مما أُمرت به ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الآية 42] كالرماد القديم.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الآية 43] تفسيره قوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: الآية 65].

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 44] فاستكبروا عن امتثال الطاعة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [الآية 44] أي العذاب المعهود بعد الثلاث الموعود وقرىء الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق بمعنى الصيحة والصاعقة لا يخلو من / الصعقة 184/ أ ولعله وقع بهما العقوبة ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الآية 44] إليها فإنها كانت كشعلة من النار جاءتهم معاينة بالنهار.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ [الآية 45] عن مقامهم كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: الآية 78]، ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ [الآية 45] ممتنعين.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ [الآية 46] أي أذكرهم أو أهلكناهم وقرأ أبو عمر وحمزة والكسائي بالجر أي وفي قوم نوح ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 46] قبل هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الآية 46] خارجين عن الاستقامة بالكفر والمعصية.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الآية 47] بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الآية 47] أي بينها وبين الأرض سعة أو أغنياء قادرون أو لموسعون السماء أو رزق الأغنياء والأولياء.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ [الآية 48] مهدناها لتستقروا عليها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الآية 48] نحن دلَّ بهذا على كمال قدرته وعلى تمام نعمته ورحمته.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 49] من الأجناس ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الآية 49] نوعين ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 49] فتعلمون أن التعدد من خواص الممكنات وأن الواجب بالذات لا تغفل التعدد والانقسامات.

﴿فَفِرُّوا﴾ [الآية 50] من عقابه وأليم عذابه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 50] بالإيمان به وملازمة كتابه أو ففروا إلى الله مما سواه.

قال الصادق: لينظر الموحد للاعتبار فيراها أزواجاً مثاني ونحوها فيفر منها فيرجع إلى الواحد الأحد ليصح له التوحيد ويظهر له سر التفريد.

وقال محمد بن حامد: حقيقة الفرار ما روي عن النبي المختار أنه قال: «وألجأت ظهري إليك»[1].

وما روي عنه أنه قال: «أعوذ بك منك»[2] وهذا غاية الفرار منه إليه.

وأفاد الأستاذ: أن الزوجين كالذكر والأنثى وكالحركة والسكون والبياض والسواد وسائر أصناف التضاد ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 50] أي ارجعوا إلى الله والإشارة بإحدى حالتين إما حالة رغبة في شيء أو حالة رهبة من شيء أو حال خوف أو رجاء أو حال جلب نفع أو دفع ضر في الحالتين ينبغي أن يكون فراره إلى الله فإن النافع والضار هو الله ويقال: من صح فراره إلى الله صح فراره مع الله ويقال: يجب على العبد أن يفر من الجهل إلى العلم ومن الهوى إلى الهدى ومن الشك إلى اليقين ومن الشيطان إلى الرحمٰن ومن فعله الذي هو/ 184/ب بلاؤه إلى فعله الذي هو كفايته ومن وصفه الذي هو سخطه إلى صفته التي هي رحمته ومن نفسه حيث قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: الآية 28] إلى نفسه حيث قال:﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ﴾ [الآية 50] أي من عذابه لمن أشرك به ﴿نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الآية 50] بين أنه من عنده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة أو مبين ما يجب أن يحذر عنه في أمر الدين.

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾ [الآية 51] إفراداً لأعظم ما يجب أن يفر منه ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ﴾ [الآية 51] تكرير لتأكيد التقرير أو الأول مرتب على ترك الإيمان والإحسان والثاني على الإشراك والكفران.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (247)، ومسلم في الصحيح (2710/ 56).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 449) رقم (1150)، والطبراني في المعجم الأوسط (7/ 141) رقم (7106)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 452) رقم (1444)، وابن أبي شيبة في المصنف (2/ 99) رقم (6943).

﴿كَذَٰلِكَ﴾ لأمـــــر ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢﴾ [الآية 52] فيه تسلية له عليه السلام ووعيد لمن طعن فيه من الأنام.

﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾ [الآية 53] أي كأنّ الأولين والآخرين أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول حتى قالوه أجمعين ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الآية 53] أي إضراب عن الله أن التواصي جامعهم لتباعد أيامهم إلى أن الجامع لهم على هذا البيان مشاركتهم في الطغيان.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية 54] فأعرض عن المجادلة بعد ما كررت عليهم الدعوة الشاملة فأبوا إلّا الإصرار والعناد في المعاملة ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ [الآية 54] على الإعراض عنهم بعدما بذلت جهدك في البلاغ من غير الإعراض منهم.

﴿وَذَكِّرۡ﴾ [الآية 55] داوم على التذكير والموعظة ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 55] من آمن فإنه يزداد به التبصرة أو من قدر الله إيمانه فإنه حقيق بالتذكرة.

وقال الأستاذ: وذكر العاصين شدة عقوبتي ليرجعوا عن مخالفتي وذكر المطيعين جزيل مثوبتي ليزدادوا في طاعتي وعبادتي وذكر العارفين ما صرفت عنهم من بلائي ووجهت إليهم من ولائي وذكر الأغنياء ما أبحت لهم من إحساني وعطائي وذكر الفقراء ما أوجبت لهم من صرف الدنيا عنهم وأعددت لهم من لقائي.

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ﴾ من حيث الجنس ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الآية 56] أي ليعرفون كما روي عن ابن عباس وغيره ويؤيده ما روي من الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لأُعرف»[1]/ ومعرفة الله 185/ أ للكل موجودة في الجملة وإن كان الأمر كما قال ابن عطاء: أي إلا ليعرفون ولا يعرفه حقيقة من وصفه بما لا يليق به وقيل معناه: إلا لنأمرهم بالعبادة وقد أمرهم

(1) كشف الخفا (2/ 132) رقم (2016).

بها كذا قاله الماتريدي[1]، وهو مروي عن علي كرم الله وجهه إلا ليكونوا عباداً لي بحسب الإرادة[2]. والأظهر أن أل فيهما للعهد لا للجنس كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: الآية 179]، وكما يشير إليه حديث: «خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي»[3].

وكما أفاد الأستاذ في المعنى: المراد بقوله يعني الذين اصطفتهم في إزالي وخصصتهم اليوم بحسن إقبالي ووعدت لهم جزيل إفضالي ما خلقتهم إلا ليعبدون والذين سخطت عليهم في إزالي وربطتهم اليوم بالخذلان فيما كلفتهم من أعمالي وخلقت النار لهم بحكم إلهيتي ووجوب حكمي في سلطاني ما خلقتهم إلا لعذابي وإنكالي وما أعددت لهم من سلاسلي وأغلالي.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ [الآية 57] لأنفسهم أو لغيرهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الآية 57] بأن أصرفهم في أمر رزقي فينبغي أن يشتغلوا بما هم له كالمخلوقين أو المأمورين والمراد بيان أن شأنه سبحانه مع عباده ليس كعادة السادة مع عبيدهم فإنهم إنما يملكونهم ليستعينوا به في تحصيل معاشهم وتكميل مرادهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ [الآية 58] الذي يرزق كلما يفتقر إلى الرزق ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الآية 58] شديد الهفوة حيث لا حاجة له إلى ما يتقوى به من المكنة.

وفي «تفسير السلمي» قيل: اعتبروا كيفية الأرزاق باللبيب الطالب وقلد رزقه لديه والطفل العاجز وتواتر الأرزاق عليه لتعلموا أن الرزق طالب وليس مطلوب و﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الآية 58].

---

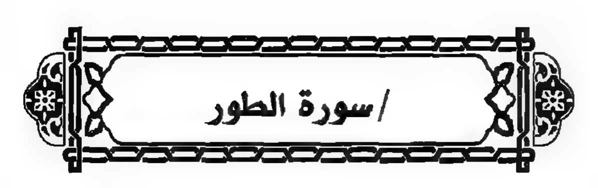
(1) والأقرب: الأشاعرة.

(2) انظر تفسير النسفي (4/ 182).

(3) أخرجه أبو يعلى في المسند (6/ 144) رقم (3422).

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الآية 59] رسوله بالتكذيب ﴿ذَنُوبًا﴾ [الآية 59] نصيباً من التعذيب ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ [الآية 59] مثل نصيب أضرابهم من الأمم السالفة ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الآية 59] من عذابهم فإنه لا يفوتهم أو جواب لقولهم متى هذا الوعد ويؤيده قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الآية 60] من يوم القيامة أو يوم بدر ونحوه من الوقيعة.

185/ ب



[مكيّة]

وهي تسع[1] وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة ما استولت على قلب عارف إلا هيمته بكشف جلاله، وما استولت على قلب مستأنف إلا أكرمته بلطف إفضاله، فهي كلمة قهارة للقلوب ولكن لا لكل قلب، مذهبة للكروب ولكن لا لكل كرب.

﴿وَالطُّورِ ①﴾ [الآية 1] أي طور سينين ويقال له طور سيناء وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى أو المراد ما طار من أوج الإيجاد إلى حضيض المواد.

وقال الأستاذ: أقسم الله بالطور لأنه محل قدم الأحباب وقت سماع الخطاب.

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ②﴾ [الآية 2] مكتوب منظور وعلى القرآن المخطوط أو اللوح المحفوظ أو كما يكتبه الحفظة أو ما كتبه الله في قلوب أوليائه من المعرفة والحكمة وقيل: ما كتبت على نفسه الرحمة.

﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ③﴾ [الآية 3] جلد يكتب فيه منظوم ومنشور.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ④﴾ [الآية 4] يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج

(1) ثلاث في المخطوط.

والمعتمرين والمجاورين أو الصراح وهو في السماء وعمرانه كثيرة غشيته من الملائكة المقربين أو قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والمحبة والصدق والإخلاص واليقين في الدين وقيل: هي أمكنه العارفين ومواضع عبادتهم ومحابس خلواتهم.

﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥﴾ [الآية 5] أي السماء وقيل: سماءهم الأولياء في عالم الكبرياء.

﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾ [الآية 6] أي البحار المملوءة أو هو المحيط أو الموقد من قوله وإذا البحار سجرت روي أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار ناراً تسجر بها جهنم.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾ [الآية 7] نازل لا يمكن رفعه.

﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨﴾ [الآية 8] ليس أحد يدفعه ووجه دلالة هذه الأمور المقسم بها على جوابها أنها أمور بدل على كمال قدرته وجمال حكمته وصدق أخباره وضبطه عمل العبد وأثاره.

وأفاد الأستاذ: أن عذابه في الظاهر ما توعد به عباده العاصين وفي الباطن الحجاب بعد الحضور والستر بعد الكشف والظهور والرد بعد القبول ما له من دافع إذا رد عبداً أبرم القضاء برده كما قيل:

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد   إليه بوجه آخر الدهر تقبل

﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩﴾ [الآية 9] فتضطرب بما فيها اضطراباً ويتردد ذهاباً وإياباً.

﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [الآية 10] عن أماكنها إلى جانب الهواء ﴿سَيۡرٗا﴾ [الآية 10] فتصير كالهباء ﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ [الآية 11]. / أي إذا وقع ذلك فهلاك 186/أ لهم أي فويل لهم ثم ويل لهم.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ﴾ [الآية 12] في باطنهم ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ [الآية 12] يشتغلون ويلهون عما خلقوا لأجله من طريق الحق وسبيل الصدق.

﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣﴾ [الآية 13] يدفعون إليها دفعاً عنيفاً بأن يغلّ أيديهم إلى أعناقهم ويجمع نواصبهم إلى أقدامهم ويقال لهم.

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾ [الآية 14].

﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ﴾ [الآية 15] أي كنتم تقولون للوحي هذا سحر فهذا المصداق أيضاً سحر وتقديم الخبر لأنه المقصود بالإنكار والتوبيخ ﴿أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الآية 15] هذا في العقبى كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل على هذا المعنى وهو تقريع لهم وتهكم بهم أو سد أبصاركم هنا أيضاً كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم إنما سكرت أبصارنا.

﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ﴾ [الآية 16] أي ادخلوها على أي وجه شئتم من الصبر وعدمه فيها فإنه لا محيص لهم عنها ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ [الآية 16] أي الأمران من الصبر وعدمه سيان ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 16] من الطاعة والعصيان.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧﴾ [الآية 17] مخصوصة بهم عاجلاً وآجلاً.

﴿فَٰكِهِينَ﴾ [الآية 18] ناعمين متلذذين معجبين ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ [الآية 18] أي بما أعطاهم من النعيم ﴿وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الآية 18].

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا﴾ [الآية 19] أي أكلاً وشرباً هنياً أو إطعاماً وشراباً هنياً وهو الذي لا تنغيص فيه ولا تنقيص ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 19] بسببه أو بدله.

وقال الأستاذ: قوم يصير ذلك لهم هنياً بطعمه ولذته وقوم يصير هنياً لهم بسماع قول عنهم أو لتناولهم بمشهد منه.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ [الآية 20] مصطفة ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾ [الآية 20] أي قرناهم بهن وجعلناهم مستأنسين بسببهن. قال الأستاذ:

يظلون في سرور وحبور ونصيب من الإنس موفور[1]

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 315).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 21] مبتدأ خبره ألحقناهم بهم وقوله ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ [الآية 21] اعتراض لتعليل إلحاقهم وقرأ ابن عامر ذرياتهم للمبالغة في كثرتهم وقرأ أبو عمرو وأتبعناهم ذرياتهم أي جعلناهم تابعين لهم في الإيمان ومراتب الإحسان ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الآية 21] في دخول الجنة أو حصول الدرجة لما روي مرفوعاً إن الله يرفع ذرّية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه لتقرَّ بهم عينه ثم تلا هذه / الآية وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ذرياتهم ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ [الآية 21] وقرأ ابن كثير بكسر اللام ما نقضنا بهذا الإلحاق ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية 21] بل كان من كمال فضلنا ومن جمال لطفنا ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الآية 21] بعمل نفسه مرهون عند ربه فإن عمل صالحاً فكها وإلا أهلكها. 186/ ب

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ [الآية 22] ما يتخيرون ﴿وَلَحْمٍ﴾ من طير وغيره ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الآية 22] أي وزدناهم وقتاً بعد وقت ما يشاؤون من أنواع النعمة وأصناف المنحة.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾ [الآية 23] يتعاطون هم وجلساؤهم ﴿كَأْسًا﴾ [الآية 23] خمراً سماها باسم محلها ولذا أنّث الضمير في قوله ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الآية 23] أي لا يتكلمون بلغو الحديث في أثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم فاعله بها كما هو عادة الشاربين بها في الدنيا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتحها.

وأفاد الأستاذ: أن شربهم لا يذهب بعقولهم فيجري بينهم ما يخرج عن حد الأدب والاستقامة وكيف لا يكون مجلسهم وبهذه الصفة ومن المعلوم أنه من يسقيهم ويمهد من جلوسهم وعلى روية من شربهم.

هذا وفي «تفسير السلمي» قال ابن عطاء: أي لغو يكون في مجلس عدن والساقي فيه الملائكة وشربهم على ذكر ربهم وريحانهم تحية من عند حبهم وسكرهم على المشاهدة والقوم جلساء الله.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 24] يدور على رؤوسهم بكؤوسهم أو حولهم للخدمة أو الآنسة ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ [الآية 24] أي مماليك مخصوصون بهم وقيل: هم أولادهم الذين سبقونهم أو أولاد الكفار الذين لحقوهم ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ﴾ [الآية 24]

من بياضهم وصفاتهم ﴿مَّكۡنُونٞ﴾ [الآية 24] مصونٌ من الغبار ولمس الأغيار وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب[1].

وأفاد الأستاذ: أن القوم عن الدار وعن من في الدار مختطفون باستيلاء ما يستغرقهم فالشراب يؤنسهم ولكن لا بمن يجانسهم، وإذا كان اليوم للعبد وهو في السجن في طول عمره ساعة لا مساغ لِسماع خطاب الأغيار فيه لا لشهود واحد من المخلوقين وإن كان ولداً شفيقاً أو أخاً شقيقاً فمن المحال أن يظن أنه يرد من الأعلى إلى الأدنى إن كان من أهل القبول والجنة ولا يكون / غداً موسوماً بالشقاوة انتهى. ولا يخفى أن أهل الجنة ترتفع عنهم 187/أ الغفلة فيكونون دائماً في مقام الجمع الذي ليس فيه المنع فلا الكثرة تشغلهم عن الوحدة ولا الوحدة تمنعهم عن الكثرة كما هو حال أرباب الكمال في الدنيا من الأنبياء والأصفياء نعم يترفعون من هذا الصفاء إلى غاية الضياء ومن هذا الفناء إلى نهاية البقاء كما تقتضيه دار البقاء.

﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [الآية 25] منهم ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الآية 25] عن ما كان لهم من أحوالهم وأعمالهم.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا﴾ [الآية 26] في الدنيا ﴿مُشۡفِقِينَ﴾ [الآية 26] وجلين من عاقبة العقبى أو خائفين من معصية الله ومخالفته معتنين بطاعته وعبادته.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ [الآية 27] بتحقيق رحمته أو بتوفيق خدمته ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الآية 27] حفظنا عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السم.

قال ابن طاهر: من علينا بإحسانه إلينا بأن جعلنا من أهل دار كرامته ووقانا من دار إهانته.

وقال الأستاذ: لولا أنهم قالوا: فمن الله علينا لكانوا قد لاحظوا

(1) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار للكشاف (3/ 373) رقم (1261).

إشفاقهم ولكن الحق اختطفهم عن شهود إشفاقهم من غير خلافهم حيث أشهدهم منته عليهم وتحسين أخلاقهم حتى قالوا: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الآية 27].

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ [الآية 28] قبل ذلك في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ [الآية 28] نعبده أو نسأله الوقاية ونطلبه ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 28] عطف على إنا قبله وقرأ نافع والكسائي بالفتح أي لأنه ﴿هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ [الآية 28] كثير البر والمنة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 28] عظيم الرحمة والنعمة.

﴿فَذَكِّرْ﴾ [الآية 29] فأثبت على التذكير ولا تكترث لقول أهل النكير ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ [الآية 29] بحمده وإنعامه ﴿بِكَاهِنٍ﴾ [الآية 29] كما يتوهمون ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الآية 29] كما يظنون.

وقال الأستاذ: أي أنهم علموا أنه ليس بك كهانة ولا جنون وإنما قالوه على جهة الاستفتاء كالسفهاء إذا بسطوا لسانهم فيمن يسبونه بما يعلمون أنه منه البراء.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾ [الآية 30] ما يعلق النفوس من حوادث الدهر كالفوت والموت.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ [الآية 31] انتظروا هلاكي ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الآية 31] هلاككم وفي المعية إيماء إلى أنه عليه السلام يبقى أبعدهم في القضية فقد قال الأستاذ: جاء في التفسير أن جميعهم ماتوا ولا ينبغي لأحد أن يؤمل نفاق سوقه لديه بموت أحد تنتهي النوبة إليه/ فقل من تكون هذه صفته الأسبقية 187/ب المنية ولا يدرك ما تمناه من الأمنية.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ [الآية 32] عقولهم ﴿بِهَٰذَآ﴾ [الآية 32] التناقض في مقولهم فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في مقامه والمجنون مغطى عقله مخبط كلامه غير مرتبط مرامه والشاعر ذا كلام موزون مجتمع مخيل ولا يتأتى ذلك من مجنون مخبل وأمر الأحلام مجاز عن تأديتها إلى هذا الكلام ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الآية 32] مجازون الحد في العناد والمعنى أم طغيانهم حملهم على هذا الفساد.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ [الآية 33] اختلقه من تلقاء نفسه ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 33] لعدم تأملهم في حديث قدسه.

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الآية 34] أي بما له شبه به في معناه أو لفظه ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 34] في أنه من عنده فإنهم بلغاء وفصحاء عربيون من جنسه.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ [الآية 35] أم أحدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذا لا يعبدونه ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الآية 35] لأنفسهم فلذا لا يطيعونه.

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 36] فتوهموا الربوبية وامتنعوا عن العبودية ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الآية 36] مراتب الألوهية.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ [الآية 37] خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاءوا من خلقه ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الآية 37] وقرأ قنبل وهشام وحفص المسيطرون الغالبون على الأشياء فكل منهم يدبر ما شاء.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ [الآية 38] مرتقى إلى السماء العلى ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الآية 38] إلى كلام الملأ الأعلى فيعلموا ما هو كأين في الدنيا أو العقبى ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 38] ببرهان ظاهر ودليل باهر على صدق استماعه منهم.

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ﴾ [الآية 39] كالملائكة على ما تكرهون ﴿وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الآية 39] كما تشتهون.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الآية 40] أجرة على تبليغ الرسالة ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ [الآية 40] من التزام غرامة ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ [الآية 40] محمّلوا الثقالة فلذا زهدوا في المتابعة.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ [الآية 41] علمه من اللوح المحفوظ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الآية 41] ينقلون منه ما يريدون من الأمر المحفوظ.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الآية 42] بصاحب النبوة كما مكروا في دار الندوة ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 42] منهم ومن غيرهم ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ [الآية 42] أي

الذين يحيق المكيد بهم أو يعود عليهم وبال مكرهم إما في الدنيا وإما في العقبى.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 43] يعطيهم من ثوابه أو يحرسهم من عذابه ﴿سُبْحَٰنَ/ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 43] عن إشراكهم به.

188/ أ

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا﴾ [الآية 44] قطعاً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ [الآية 44] عليهم ﴿يَقُولُوا۟﴾ [الآية 44] من فرط طغيانهم وغاية عنادهم ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الآية 44] هذا سحاب تراكم بعضها على بعض في جو الهواء وهو جواب قولهم فأسقط علينا كسفاً من السماء والمعنى أنهم وإن رأوا كل آية لا يؤمنوا بها حتى يروا العذاب الأليم كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحجر: الآية 14] حتى شاهدوا بالمعاينة ﴿لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر: الآية 15] في الملاحظة وليس هذا من العيان والمشاهدة.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الآية 45] أي يموتون وهو عند النفخة الأولى أو القيامة الصغرى وقرأ ابن عامر وعاصم على المبنى للمفعول من صعقة أو أصعقة.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [الآية 46] أي من الإغناء في رد البلاء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الآية 46] يمنعون من عذابنا بمساعدة أهل الولاء.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الآية 47] منهم ومن غيرهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 47] أي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر أو المؤاخذة في الدنيا كالقتل والسبي وما نزل بهم من الهوان والخزي ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 47] ذلك الحال والمآل.

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية 48] بإيقاعهم وإبقائك في عنائهم ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الآية 48] في حفظنا بحيث نراك ونحرسك وجمع العين لجمع الضمير للعظمة والمبالغة بكثرة أسباب المحافظة.

قال الأستاذ: ولقد خفف عليه مقاساة الصبر لديه بما أخبره بقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الآية 48].

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الآية 48] تؤيد القيام أو من المنام أو إلى عبادة الملك العلام.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ [الآية 49] فإن العبادة فيه أشق الأشياء علي وأبعد عن الرياء ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الآية 49] وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل والمراد به السهر وقت السحر.



سورة النجم

[مكيّة]
وهي اثنتان[1] وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الأستاذ: بسم الله اسم رحيم يحلم فيما يعلم ويستر ما يبصر ويغفر وعلى العقوبة يقدر ويرى ويخفي ويعلم ولا يبدي.

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [الآية 1] أقسم بجنس النجوم في السماء أو الثريا إذا غرب أو انتثر واضطرب يوم القيامة أو طلع وصعد وعلا أو بالنجم من نجوم القرآن إذا نزل من السماء أو النبات إذا سقط على الأرض أو ارتفع ونما/. 188/ ب

وقال ابن عطاء: أقسم بنجوم المعرفة وضيائها والاهتداء بها وقيل: أقسم بالنبي عليه التحية والثناء عند انصرافه من السماء وهو الملائم لقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ [الآية 2] ما عدل عن الطريق المستقيم ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ [الآية 2] وما اعتقد باطلاً في الدين القويم.

وقال الصادق: ما ضل عن قربه طرفة عين.

وقال سهل: ما ضل عن حقيقة التوحيد في حال ولا تبع الشيطان في قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [الآية 3] ما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى.

﴿إِنْ هُوَ﴾ [الآية 4] أي الذي ينطق به من الهدي ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [الآية 4] يوحيه إليه المولى.

---

(1) إحدى في المخطوط.

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [الآية 5] ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فإنه الواسطة في إبداء خوارق العادة روي أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين.

وقال الصادق: كيف ينطق عن الهوى من هو ناطق بإظهار الهوى من التوحيد وإتمام الشريعة والطريقة وإكمال الحقيقة وإيجاب الأمر بالطاعة وإثبات النهي عن المعصية بل ما نطق إلا بأمر فكان أمره قرباً ونهيه أدباً.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [الآية 6] ذو قوة في عقله ودراية ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ [الآية 6] فاستقام على صورته الحقيقة التي خلقه الله تعالى عليها قيل: ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غيره عليه التحية والثناء.

﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [الآية 7] أفق السماء والضمير لجبريل أو له عليهما السلام.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ [الآية 8] أي قرب النبي من المولى ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ [الآية 8] من الأفق الأعلى ودنوه منه بترفع مكانته وتدليه جذبه عن مرتبته.

قال الصادق: انقطعت الكيفية عن الدنو لأن الله حجب جبريل من دنوه منه.

قال أيضاً: دنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما أودع في قلبه من المعرفة والسكون والطمأنينة فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه جميع ما هواه.

وقال الواسطي: دنا محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى الحجاب حتى جاء إلى غيره من الحجاب فما زال الحجب تدلى وانكشف عنه صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلى ما أشار إليه بقوله.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [الآية 9] وأفاد الأستاذ: أن تدلى بمعنى دنا المعنى ثم دنا فتدنا وقيل: دنا محمد من ربه دنو الكرامة فتدلى: هوى إلى السجود والطاعة فكان بينه وبين ربه قاب قوسين قدرهما أو أدنى/ بل أدنى 192/أ

وأقرب من دنوهما لأنه دنو الكرامة لا دنو المسافة.

وأفاد الأستاذ: أنه كان من عادتهم إذا أرادوا تحقيق الألفة ألصق أحدهم قوسه بقوس صاحبه عبارة عن عقد الموالاة بكمال قربه فنزل هذا الخطاب على مقتضى معهودهم في تأكيد معقودهم.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [الآية 10] فيه تفخيم للوحي حيث أجمله إجمالاً ولم يطلع عليه أحداً وقيل: من جملة ما قال له: ألم أجدك يتيماً فآويتك ألم أجدك ضالاً فهديتك ألم أجد عائلاً فأغنيتك ألم أشرح لك صدرك وألم أضع عنك وزرك وألم أرفع لك ذكرك وقيل: أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخل أمتك والأظهر أن يكون من جملة ما أوحي وجوب الصلاة الخمس وتقريرها بعد الأمر بالخمسين ونحوها في تدريج تحريرها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رقاه إلى ما رقاه ولقاه بما لقاه وأدناه حتى لا دنو سواه وأخذه عنه حتى لا غير في عينه مما عداه وأصحابه له في غير ما محاه عنه.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ⑪﴾ [الآية 11] ببصره من صورة جبريل أو تجلي الرب الجليل والمعنى ما كذب الفؤاد بصره بما حكاه له من نظره فإن الأمور القدسية تدرك أولاً بالقلب ثم تنتقل منه إلى بصر القالب أو ما كذب فؤاده ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخييلاً في حقه ويدل عليه أنه عليه السلام سئل هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت بفؤادي»[1]. وقرأ هشام ما كذب بالتشديد أي صدقه ولم يشك فيه والمعنى ما كذب فؤاده ما رآه ببصره من الآيات أو التجليات.

وقال الصادق: لا يعلم أحد ما رأى إلا الذي رأي والذي أرى.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ [الآية 12] أفتجادلونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [الآية 12] وقرأ حمزة

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (7/ 449)، والقرطبي في تفسيره (17/ 92)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 254).

والكسائي أفتمرونه أي افتغلبونه في المراء أو أفتجحدونه.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] أي جبريل في صورته الأصلية فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم رآه مرتين في الأفق الأعلى وأخرى عند سدرة المنتهى التي ينتهي علم الخلائق وأعمالهم إليها أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لأنهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعاً إنها في السماء السابعة[1] أو المعنى أنه عليه السلام رأى ربه مرة أخرى 189/ب / ولعل إحداهما وقت الإقبال وآخرهما حال الارتحال أو مرة بالبصر وأخرى بالبصيرة والأخيرة.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] وهي منتهى مقامات الورى ولا يعلم ما وراءها إلا المولى.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] الجنة التي يأوي إليها الأتقياء وأرواح الشهداء.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها حد ولا يحصيها عدد وقيل: يغشاها جماعة من الملائكة ويأتون فيها من أنواع العبادة.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] أي ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه وما جاوز إلى ما وراءه.

وقال الأستاذ: أي ما مال بصره عما أبيح له النظر من الآيات والعبر وما جاوز ما حد له وراعى شرط الأدب في قرب حضرة الرب.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] أي والله لقد رأى ليلة الإسراء الكبرى من غرائبه الملكية وعجائبه الملكوتية.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3207)، والحاكم في المستدرك (1/ 154) رقم (271)، وأبو يعلى في المسند (5/ 460) رقم (3185).

وقال ابن عطاء: رأى الآيات ولم تكبر في عينه لكبر همته وعلو محله.

وقال الأستاذ: هي ثبات بقائه في حال لقائه ربه سبحانه وهي أكبر الآيات الدالّة على حفظه إياه وهوانه أبقاه بوصف الصحو حتى رأى الله.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [الآيتان 19، 20] هي أصنام كانت لهم فاللات لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة وهي فعلة من لوي لأنهم كانوا يلوون عليها أي يطوفون حواليها والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها[1]، وهو تأنيث الأعز باعتبار أصلها ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وهي فعلة من منات إذا أقطعه فإنهم كانوا يذبحون القرابين عندها ومنه منا وقرأ ابن كثير مناة لزيادة الهمزة ومن مفعلة من النو كأنهم يستمطرون الأنواء عندها تبركاً بها وقوله الثالثة الأخرى صفتان للتأكيد كقوله تعالى: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: الآية 38] أو الأخرى من التأخر في الرتبة عن الأوليين عندهم.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١﴾ [الآية 21] إنكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الأصنام استوطنها جنيات هن بناته أو هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ [الآية 19].

قال الأستاذ: معنى الآية أخبرونا هل هذه الأصنام التي تعبدونها من دون / الله من القدرة أن تفعل بعابديها ما فعلنا بمحمد صلى الله عليه وسلم من الرتب والتخصيص ثم وبخهم فقال: أرأيتم هذه الأصنام والملائكة التي تعبدونها من دون الله أنتم تختارون لأنفسكم كيف نسبتم البنات إلى الله سبحانه وتعالى. 190/ أ

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ [الآية 22] جائرة فإنها فعلى من الضيز وهو الجور كسر فاؤه لتسلم ياؤه فإن فعلى بالكسر لم تأت وصفاً وقرأ ابن كثير بالهمزة على أنه مصدر نعت به من ضازه إذا ظلمه.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ [الآية 23] الضمير للأسماء المذكورة فإنهم كانوا

(1) أخبار مكة للأزرقي (1/ 172) رقم (143).

يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم أنها تستحق التقرب إليها بذبح القرابين لديها ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ﴾ [الآية 23] سميتم بها على ما اقتضى أهواكم ﴿وَءَابَآؤُكُم﴾ [الآية 23] أسلافكم ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [الآية 23] برهان وحجة تتعلقون بها وتعتمدون عليها ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الآية 23] التفات عنهم وإعراض منهم وليدخل غيرهم من المشركين معهم أي ما يتبعون إلا توهم إن ما هم عليه حق تقليداً وهو توهم باطل ليس تحته طائل ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [الآية 23] ويبتدعون ما تشتهيه أنفسهم الضالة من أنواع الجهالة.

قال جنيد: رأيت جماعة قد هلكوا بالتوهم أي توهموا أنهم عرفوه وهو قوله: إن يتبعون إلا الظن كذا ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: كما أن ظن الكفار أوجب لهم الجهل والحيرة والحكم بالخطأ فكذلك في هذه الطريقة من عرج على أوصاف الظن لا يخطىء بشيء من الحقيقة ليس هذا الحديث إلا من حيث القطع والتحقق وإن نهارهم قد متع أي ارتفع وشمسهم قد طلعت أي ظهرت غاية الظهور وعلومهم أكثرها ضرورية فأما الظن الجميل بالله فليس من هذا الباب والقياس عاقبة الرجل عليه ليس من هذه الجملة إنما الظن المعلول في ذات الله وصفاته وأحكامه ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الآية 23] الكتاب والسنة فأعرضوا عنه واتبعوا الهوى.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] أي ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي ظلمهم في شفاعة نحو اللات والعزى وقال بعضهم: لئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] يعطي منهما ما يشاء لمن يشاء وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء / من الأشياء. 190/ب

وقال الأستاذ: أي ليس له جميع ما يتمنى من طول الحياة والعافية وخصب العيش والرفاهية ما ليس له نهاية ولا يبلغ أحد هذه الحالة ويقال: إنما يتمنى الإنسان أي يقع مراده واجباً في كل شيء وهو ليس من صفات

الخلق بل الله هو الذي ما شاء كان ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] خلقاً وملكاً وهو الملك التام فأما المخلوق فالنقص لازم له والهلك.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ﴾ [الآية 26] لا تدفع ولا تنفع ﴿شَيْـًٔا﴾ [الآية 26] من عقوبات أرباب السيئات ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 26] في الشفاعة ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية 26] من الملائكة وأهل الطاعة أن يشفع أو من الناس أن يشفع له ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ [الآية 26] ويراه أهلاً لذلك فكيف تشفع الأصنام لعبدتهم هنالك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الآية 27] كل واحد منهم ﴿تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [الآية 27] بأن سموها بنات.

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾ [الآية 28] أي بما يقولونه ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 28] عليه يعتمدون بل على مجردوهم يبنون ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الآية 28] ما يتبعون إلا الظن على زعمهم وهو الطرف الراجح عندهم وإن كان في الحقيقة هو وهم صدر عنهم ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ﴾ [الآية 28] ولو فرض وجوده ﴿لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [الآية 28] أي بدله شيئاً من الإغناء فإن الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك إلا بالعلم الصاد عن الأدلة القطعية والظن لاعتبار له في المعارف اليقينية وإنما العبرة به في الأمور العملية وما يكون وصله إليها من المسائل الفقهية.

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾ [الآية 29] لا تلتفت إلى من غفل عن الله وأمره وأعرض عن ذكره وشكره وانهمك في الدنيا وشيء ما وراءه من العقبى.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 30] أمر الدنيا ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [الآية 30] لا يتجاوزه علمهم ولا يتعداه همهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية 30] باختيار الدنيا واتباع الهوى ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [الآية 30] فاختار العقبى على الدنيا والهدي على الهوى والمولى على السوى قيل: ضيع وقته من اشتغل لموعظة أهل الدنيا من طالبيها والراغبين فيها لأن أحداً لا يقبل على الدنيا إلا بعد

الإعراض عن المولى كذا في «تفسير السلمي».

وقد قال بعض العارفين: من أحب الدنيا لا يقدر على هدايته جميع المرسلين/ . 191/أ

ومن تركها لم يقدر على إضلاله جميع الشياطين.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مِلكاً ومُلكاً ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [الآية 31] بمثل أعمالهم ووفق أحوالهم ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [الآية 31] بالمثوبة الحسنى وهي الجنة ودرجاتها العلى، والمعنى خلق الأرض والسماء للجزاء وتمييز أرباب الضلالة عن أصحاب الاهتداء.

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ [الآية 32] ما يكبر عقابه من الذنوب عموماً ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الآية 32] ما فحش من الكبائر خصوصاً وهو ما يجب فيه الحد أو مظالم العباد أو العلانية وقرأ حمزة والكسائي كبير الإثم على إرادة الجنس أو الشرك فالمراد بالفواحش الكبائر.

قال ذا النون: ذكر الفاحشة من العارف كفعلها من غيره ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [الآية 32] أي الصغائر فإنه مغفور من مجتنبي الكبائر بمقابلة طاعاتهم[1] وعباداتهم والاستثناء منقطع ومحل الموصول النصب على الصفة أو المدح ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [الآية 32] فله أن يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها وعقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله في معصيته.

وفي الحديث:

«إن تغفر اللهم فاغفر جمّاً وأي عبد لك لا ألما»[2]

(1) في المخطوط: صاعاتهم، وهو تحريف.
(2) انظر المستدرك (1/ 122) رقم (181)، وتفسير القرطبي (20/ 54) وهو قول شاعر وليس بحديث. ومن نسبه إلى النبي ﷺ: الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 396) رقم (3284)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 392) رقم (7055).

وقد ورد: «اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي»[1].

وفي «تفسير السلمي»: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [الآية 32] لمستغفره ولمن رأى التقصير في القيام بواجب أمره.

وأفاد الأستاذ: أن الذنوب كلها كبائر لأنها مخالفة أمر الله ولكن بعضها أكبر من بعض ولا شيء أعظم من الشرك وتكلموا في اللمم فقيل: إنه من جملة الفواحش ولكن الله استثناه وأخبر أنه يغفرها فيقال: اللمم هو أن يأتي المرة ذلك يقطع عنه بالتوبة قلت: وفيه بحث لا يخفى قال: وقال بعض السلف هو الوقعة من الزنا تحصل مرة ثم لا يعود إليها وكذلك شرب الخمر والسرقة قلت: وفيه نظر ويقال: هي أن يهم بالزلة ثم لا يفعلها قلت: وهو الملائم اللفظ للمة قال: ويقال هو النظر ويقال: ما لا حد عليه من المعاصي مما يكفر عنه الصلوات قلت:/ وفيه أن الصلوات وغيرها من الطاعات لا يكفر إلا الصغائر من السيئات 191/ ب ثم قال: والأصح أنه استثناء منقطع واللمم لا يكون من جملة المعاصي يعني من المعاصي المذكورة المعبر عنها بالكبائر والفواحش وإلا فلا وجه له هنا، ثم التعبير عن الصغائر باللمم لعله للإيماء بأن لا يكون على وجه المداومة فإنه ورد لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ﴾ [الآية 32] أعلم بأحوالكم منكم ﴿إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 32] بدأ خلقكم من التراب بخلق آدم عليه السلام منه ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ﴾ [الآية 32] بعد انقلابكم من أصلاب آبائكم وتصوير أشكالكم في أرحام أمهاتكم.

قال الصادق: هو أعلم بكم لأنه خلقكم وقدر عليكم الشقاوة والسعادة قبل: إيجادكم فأنتم منقلبون فيما أجري عليكم في السابقة من الأرزاق والآجال والأعمال والأحوال لا يستجلب الموافقات سعادة ولا المخالفات شقاوة ولكن سابق القضاء هو الذي يختم به بما وقع به الابتداء ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 728) رقم (1994)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 420) رقم (7126).

أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية 32] فلا تثنوا عليها تفاخراً وعجباً بزكاة الأعمال وصفاء الأحوال مما لديها ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [الآية 32] لأن محل التقوى مخفي عن غير المولى كما أشار عليه السلام إلى صدره وقال: «التقوى ها هنا»[1] وفيه لطافة لا تخفى.

قال أبو عثمان: من علم من أين هو وإلى أين هو وفي الوقت ما هو علم أنه ليس بمحل التزكية ومع هذا هو مخاطب بقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية 32] بماذا يزكي نفسه أبأخلاقه وأحواله أم بأفعاله وأقواله، كلا لكن نفسه هي الأمارة بالسوء.

وأفاد الأستاذ: أن تزكية المرء نفسه من علامات كونه محجوباً عن ربه لأن المجذوب عن بقائه والمستغرق في شهود ربه ووجود لقائه لا يزكي نفسه وهو عالم بفنائه. ويقال: المسلم يجب أن يكون بحيث كل مسلم رآه يعتقد أنه خير منه أن رأى شيخاً قال: إنه أكثر مني طاعة فهو أفضل مني وإن رأى شاباً قال: إنه أقل مني معصيته فهو أكمل مني ويقال: من اعتقد أن على البسيطة أحد شر منه فهو متكبر يعني لخفاء العاقبة نسأل الله العافية.

192/ أ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى/ تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية 33] أعرض عن اتباع الهدي وأقبل على الدنيا وما فيها من الهوى.

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ [الآية 34] من الإعطاء ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ [الآية 34] وقطع العطاء عن الفقراء.

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] مقامه في الأخرى.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [الآيتان 36،37] بالغ في الوفاء بما عاهد المولى حتى أتاه جبريل حتى يلقى في النار فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا.

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2564/ 32)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 92) رقم (11276)، وأبو يعلى في المسند (5/ 301) رقم (2923)، وأحمد في المسند (2/ 360) رقم (8707).

قال ابن عطاء: وفى بأربعة أشياء: بذل نفسه للنيران، وقلبه للرحمٰن، وولده للقربان، وماله للإخوان، ثم تقديم موسى للترقي من الأدنى إلى الأعلى.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [الآية 38] إن هي المخففة من المثقلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلاً من ما في صحف موسى والمعنى لا تحتمل نفس آثمة وزر نفس أخرى.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [الآية 39] أي إلا سعيه في الدنيا والمعنى كما لا يؤاخذ أحد بذنب غيره لا يثاب بفعله في العقبى.

قال ابن عطاء: ليس له من سعيه إلا ما نوى إن كان سعيه رضا الرحمٰن فإن الله يرزقه رضاه وإن كان سعيه للعطاء فإن الله يعطي جزاءه.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية 40].

قال سهل: سوف يرى سعيه فيعلم أنه يصلح للحق وقبوله وإنه لو لم يلحقه فضل ربه لهلك بسعيه.

وأفاد الأستاذ: أنّ الناس في سعيهم مختلفون فمن كان سعيه في الدنيا خسرت صفقته ومن كان سعيه في طلب العقبى ربحت تجارته ومن كان سعيه في رياضة نفسه وصل إلى رضوان الله ومقام قدسه ومن كان سعيه في العبادة شكر الله سعيه ثم يهديه إلى نفسه في حال أنسه وأما المذنب فسعيه في طلب غفرانه وتقدم القلب على ما سوده من ديوانه فيجد من الله المثوبة والقربة والكرامة والزلفة، ومن كان سعيه في عد أنفاسه لا يعرج على تقصير وما يفرط في مأمور فيرى جزاء سعيه مشكوراً في الدنيا والأخرى ثم يشكره بأن يخاطبه في ذلك المعنى بإسماع كلامه بغير واسطة من الملأ الأعلى عبدي سعيك مشكور عندي وذنبك مغفور عندي.

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [الآية 41] أي يجزي العبد سعيه بالجزاء الأوفى الأعلى.

192/ ب ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [الآية 42] انتهاء فكر الخلائق ورجوعهم/ عن العلائق والعوائق.

وأفاد الأستاذ: أن ابتداء الأشياء من الله خلقاً وانتهاء الأشياء إلى الله مصيراً ومرجعاً إذا انتهى الكلام إلى الله فاستوى ويقال: إذا وصل العبد إلى معرفة الله فليس بعده لأحد شيء إلا لطف يعطيه من مال أو منال أو تحقيق آمال أو أحوال يجريها على وفق المراد مما هو حظوظ للعباد.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [الآية 43] أي هو الذي يجري الضحك ويخلق البكاء ويقال: أضحك الأرض بالنبات والنماء وأبكي السماء بنزول الماء ويقال: أضحك أهل الجنة بالجنة وأبكي أهل النار بالعقوبة ويقال: أضحك المؤمن في العقبى وأبكاه في الدنيا وأضحك الكافر في الدنيا وأبكاه في الآخرة ويقال: أضحك قلوب العارفين بالرضا والاشتياق وأبكى عيونهم بخوف الهجر والفراق انتهى.

وقال أبو بكر الوراق في قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [الآية 39] ذلك في بداياتهم وإن سعيه سوف يرى في توسط حالاتهم ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [الآية 41] في نهاية مقاماتهم ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [الآية 42] عند فناء العبد من إرادته وصفاته ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [الآية 43] هو النشر الثاني بإعادته وفق عادته.

وقال سهل: أضحك المطيع بالرحمة وأبكى العاصي بالسخطة. وقال: أضحك الأشجار بالأثمار وأبكى السماء بالأمطار وأضحك قلوب العارفين بالحكمة وأبكى عيونهم بالحزن والحرقة.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ [الآية 44] في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ [الآية 44] في العقبى إما للراحة الكاملة وإما للإحساس بالعقوبة الشاملة.

وقال ابن عطاء: أمات بعدله وأحيا بفضله وقال: أمات بالاستتار عنه وأحيا بالتجلي عليه.

وقال جعفر: أمات بالإعراض عنه وأحيا بالمعرفة منه. وقال: أمات بالمعصية وأحيا بالطاعة.

وقال الأستاذ: أمات نفوس الزاهدين بالمجاهدة وأحيا قلوب العارفين بالمشاهدة ويقال: أمات نفوسهم بالمعاملات وأحيا قلوبهم بالمواصلات.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [الآيتان 45،46] تدفق في الرحم على ما قدر في القضاء.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [الآية 47] الإحياء بعد الموت والفناء وفاء بوعده لمقام الجزاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو / النشأة بالمد. 193/ أ

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ [الآية 48] أعطى ما به يستغني ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ [الآية 48] أي أحوجه إلى القنية فمعناه أفقر في الدنيا أو معناه أرضي الفقير بما أعطى.

وقال سفيان بن عيينة: أغنى أقنع وأقنى أرضى.

وقال جنيد: أغنى قوماً به وأفقر قوماً عنه.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [الآية 49] نجم عبدها أبو كبشة أحد أجداده عليه السلام وخالف قريشاً في عبادة الأصنام ولذا كانوا يسمعون الرسول ابن أبي كبشة بتخصيصها بالذكر للإشعار بأنه عليه السلام وإن وافق أبا كبشة في مخالفتهم خالفه أيضاً في عبادتها ونحوها.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [الآية 50] أي القدماء لأنهم أُولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح أو عاد الأولى قوم هود والأخرى عاد آدم.

﴿وَثَمُودَا۟﴾ [الآية 51] عطف على عاد وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير ألف ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [الآية 51] الفريقين.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ [الآية 52] أيضاً معطوف عليه ﴿مِّن قَبْلُ﴾ [الآية 52] قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ﴾ [الآية 52] من الفريقين لأنهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى كادوا يهلكونه ﴿وَأَطْغَىٰ﴾ [الآية 52] لطول أعمارهم وقوة

أجسادهم وأبشارهم.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ [الآية 53] والقرى التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت وهي قرى قوم لوط ﴿أَهْوَىٰ﴾ [الآية 53] أي أهواها بأن قلبها جبريل بعدما رفعها.

﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ [الآية 54] من العذاب ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ [الآية 54] فيه تهويل وتفخيم لما أصابهم من البلاء.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [الآية 55] تتشكك أيها المخاطب أو الإنسان والمعدودات وإن كانت نعماً ونقماً لكن سماها آلاء من قبل ما في نِقَمِهِ من العبر والمواعظة للمعتبرين والانتقام للأنبياء وأتباعهم من المؤمنين وينبغي أن يقال: هنا لا شيء من آلائك ربنا تتمارى فلك الحمد على ما قضى وجرى.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ [الآية 56] أي هذا القرآن إنذار من جنس الإنذارات المتقدمة أو هذا الرسول نذير من جنس الأنبياء السالفة.

﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾ [الآية 57] دنت الساعة الموصوفة بالقريبة في نحو قوله اقتربت الساعة.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ [الآية 58] أي ليس لها نفس قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله لكنه لا يكشفها أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله إذ لا يطلع/ عليه سواه. 193/ب

وقال الأستاذ: لا يقدر أحد على إقامتها إلا الله فإذا أقامها فلا يقدر أحد على كشفها وإزالتها إلا الله ويقال: إذا قامت قيامة هذه الطائفة اليوم فليس لها كاشف غيره سبحانه وقيامة القوم تقوم غير مرة في اليوم.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [الآية 59] يعني القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ [الآية 59] إنكاراً.

﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ [الآية 60] استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ [الآية 60] حزناً وخوفاً.

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الآية 61] لاهون أو مستكبرون أو مغنون وعنه ساهون.

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [الآية 62] دون من سواه.



سورة القمر

[مكيّة]
وهي خمس وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة بها نور القلوب والأبصار وبعرفانها يحصل سرور الأرواح والأسرار كلمة تدل على جلاله في أوصافه وعلى جماله في ألطافه.

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [الآية 1] امتثالاً للطاعة روي أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية تكون معجزة فانشق القمر[1] وقيل: معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الأول أنه قُرِىء وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر ويقويه قوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً﴾ [الآية 2] معجزة كانشقاق القمر ونحوه ﴿يُعْرِضُواْ﴾ [الآية 2] عن تأملها والإيمان بها ﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [الآية 2] مطرد دائم أو محكم قائم.

وأفاد الأستاذ: إن إجماع أهل التفسير على أن القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن مسعود: رأيته ورأيت حراء بين فلقين القمر ولم يوجد لابن مسعود مخالف فيه.

---

(1) تفسير النيسابوري (7/ 91)، وانظر ما أخرجه مسلم في الصحيح (2800/ 43)، وأبو يعلى في المسند (5/ 424) رقم (3113)، وأحمد في المسند (3/ 207) رقم (13177).

وروي عن أنس وابن عمر وحذيفة وابن عباس وجبير بن مطعم كلهم رووا هذا الخبر وفيه إعجاز من وجهين أحدهما رؤية من رأى ذلك والثاني خفاء مثل ذلك على من لم يره إذ لم ينكتم مثله في العادة فإذا خفي كان نقض العادة وفق الإرادة وأهل مكة رأوا ذلك وقالوا: أن محمداً سحر القمر ومعنى اقتربت أي ما بقي من الزمان إلى قيام العقبى قليل بالإضافة إلى ما مضى.

﴿وَكَذَّبُوا﴾ [الآية 3] نبيهم فيما جاءهم ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ [الآية 3] منته إلى غاية من خذلان أو نصرة في الدنيا أو شقاوة أو سعادة في الأخرى.

194/أ وأفاد الأستاذ: أن التكذيب واتباع الهوى قرينان/ إذا حصل اتباع الهوى فمن شؤمه يحصل تكذيب أهل الهدي لأن الله يلبس على قلب صاحبه حتى لا يستبصر طريق رشده وإتباع الرضى مقرون بالتصديق لأن الله تعالى ببركات الحق الحقيق يفتح عين البصيرة فيأتي بالتصديق وكل أمر جرى به التقدير فلا محالة يستقر حصوله ولا يتصور فيه التغيير.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ [الآية 4] في القرآن ﴿مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ [الآية 4] أنباء القرون الماضية والأحوال الآتية ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [الآية 4] وازدجار من تعذيب في الدنيا ووعيد في العقبى.

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ [الآية 5] غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [الآية 5] ما نافية أو استفهامية إنكارية أي فأي غنى يغني النذر من الأنبياء وقد سبق القضاء لهم بالشقاء وهو جمع نذير بمعنى منذر أو منذر منه أو مصدر بمعنى إنذار.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية 6] أعرض عنهم لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم واذكر ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [الآية 6] إسرافيل ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ [الآية 6] تنكره النفوس وتجهله لأنها لم تعهد مثله وهو يوم القيامة وهوله وقرأ ابن كثير بسكون الكاف تخفيفاً.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ [الآية 7] يخرجون من قبورهم حال كونهم ذليلاً أبصارهم من هول ما رأوا من أسرارهم وإفراده وتذكيره لأن فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرىء خاشعة على الأصل كالمتفق عليه في سورة المعارج وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ﴿خُشَّعًا﴾ جمع خاشع، وإنما حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لأن جمع التكسر ليس على صيغة شبه الفعل ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ [الآية 7] في الكثرة ﴿جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [الآية 7] منبعث في الأمكنة.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [الآية 8] مسرعين بادي أعناقهم إليه مديمي أنظارهم لديه ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [الآية 8] صعب أحواله وشديد أهواله.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ [الآية 9] قبل قومك ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الآية 9] نبيّهم ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ [الآية 9] نوحاً عليه السلام وهو تفصيل بعد إجمال الكلام أو كذبوه تكذيباً عقب تكذيبهم على مدى الأيام كلما مضى قرن مكذبون تبعهم قوم آخرون أو كذبوه بعد ما كذبوا الرسل قبله ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾ [الآية 9] هو مجنون في القضية ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ [الآية 9] وزجر على التبليغ بأنواع الأذية.

/ ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ [الآية 10] بأني ﴿مَغْلُوبٌ﴾ [القمر: الآية 10] معهم ﴿فَٱنتَصِرْ﴾ [الآية 10] فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه عنهم روي أن الواحد منهم كان يخنقه حتى كاد يهلكه فيقوم ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. 194/ ب

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 11] وقرأ ابن عامر: بالتشديد لكثرة أبوابها ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [الآية 11] منصب.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [الآية 12] وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ [الآية 12] ماء السماء وماء الأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [الآية 12] أي على حال قدرة الله في الأزل من غير الزيادة والنقصان أو أمر قدرة الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ [الآية 13] أي سفينة ذات أخشاب عريضة منبسطة ﴿وَدُسُرٍ﴾ [الآية 13] أي مسامير حديدة شديدة.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [الآية 14] بمرأى منا أي محفوظة بحراستنا.

قال الأستاذ: وقيل: تجري بأوليائنا ويقال: بأعين ملائكتنا الذين وكلناهم بحفظهم ويقال: بأعين المياه التي أنزلناها وبالمياه التي أنبعناها ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [الآية 14] فعلنا ذلك جزاء لنوح لأنه نعمة كفروها ولم يشكروها فإن كل نبي من الله على أمته ورحمة وقرىء لمن كفر.

قال ابن عطاء: جزاء لمن صرفه الله تعالى عن استعمال الطاعة وستره عن حال الحقيقة.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ [الآية 15] أي السفينة أو الصنيعة ﴿ءَايَةٍ﴾ [الآية 15] يعتبر بها إذا شاع خبرها ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [الآية 15] معتبر متذكر لما جرى منه إليه وقرىء مذتكر على الأصل.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] أي وإنذاري من عقابي استفهام تعظيم ووعيد فيه تفخيم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكر قصة نوح هنا على أفصح مبنى وأقصره وأصح معنى وأتمه وكان عمر نوح أطول من سائر الأنبياء وأشدهم مقاساة للبلاء ثم إن الله لما نجاه متعة بعد هلاك قومه وجعل كل من علا وجه الأرض من أولاده وأتباعه وفي هذا قوة لرجاء أهل الدين إذ ألقوا محنة أن يهلك الله عن قريب عدوهم ويمكنهم من ديارهم وبلادهم ويورثهم ما كان إليهم من آثارهم وكذا سنة الله الملك المتعال في جميع أهل الضلال بإعزاز أوليائه بعد إذلال أعدائه.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآية 17] سهلناه أو هيأناه للادكار والاتعاظ بأن صرفنا فيه أنواع الوعظ والحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ ﴿لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [الآية 17] متعظ معتبر/. 195/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يسر قراءته على ألسنة قوم وعلمه على قلوب قوم وفهمه على جماعة وحفظه على طائفة وكلهم أهل القرآن وكلهم أهل الله

وخاصته ويقال: كاشف الأرواح من قوم بالقرآن قبل إدخالها في الأشباح.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ [الآية 18] هوداً ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [الآية 18] إنذاري إليهم بحجابي أو إنذاري لهم بعذابهم قبل نزوله في بابهم أو لمن بعدهم في تعذيبهم ليقلعوا عن تكذيبهم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [الآية 19] بارداً شديداً ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ [الآية 19] شؤم عليهم ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ [الآية 19] على جميعهم كبيرهم وصغيرهم بحيث لم يبق أحد منهم وكان الأربعاء آخر الشهر وقيل: آخر شهر صفر والظاهر أن المراد باليوم هنا الوقت لقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: الآية 7] ولعل اليوم الأول كان الأربعاء واستمر إلى انقضاء مدة البلاء فالمعنى استمر عليهم حتى أهلكهم وقيل: استمر شؤمه على الكفرة إلى يوم القيامة.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 20] تقلعهم عن حفرهم التي حفروها وتمسك بعضهم ببعض فيها وتصرعهم موتى ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [الآية 20] صوت نخل منقطع عن مغارسه ساقط على وجه الأرض والنخل قد يذكر وقيل: تذكر منقعر 195/ب للحمل على المبنى والتأنيث في قوله أعجاز نخل خاوية للمعنى بناء على أنه اسم جنس نظراً إلى المعنى الجنس والإطلاق اللفظي.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ [الآيات 21،23] قوم صالح ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾ [الآية 23] بالمواعظ أو الإنذارات أو الرسل أو الآيات.

﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا﴾ [الآية 24] من جنسنا أو من جملتنا لا فضل له بزيادة المال والجاه علينا ﴿وَٰحِدًا﴾ [الآية 24] منفرداً لاتبع له كالملوك وانتصابه بفعل يفسره قوله ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [الآية 24] جمع سعير كأنهم عكسوا الأمر عليه فرتبوا على أتباعهم إياه ما رتبه على مخالفتهم لديه.

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾ [الآية 25] الوحي والكتاب ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [الآية 25] وفينا من ﴿بَلْ هُوَ﴾ [الآية 25] أحق منه في هذا الباب ﴿كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [الآية 25] حمله بطره على الترفع علينا بادعائه الرسالة إلينا.

﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ [الآية 26] وقرأ ابن عامر وحمزة بالخطاب ﴿غَدًا﴾ [الآية 26] عند نزول العذاب أو في موقف الحساب ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [الآية 26] الذي حمله أشره على استكباره عن الحق وعلى من تبعه أصالح أو طالح كذبه.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ [الآية 27] مخرجوها وباعثوها ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ [الآية 27] امتحاناً لأمرهم ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ [الآية 27] فانتظر حالهم ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ [الآية 27] على أذاهم من أقوالهم وأفعالهم.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 28] مقسوم لها يوم ولهم يوم وهم في بينهم لتغليب عقلائهم ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [الآية 28] كل نصيب من المقسوم يحضرهُ صاحبه في يوم المعلوم.

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ [الآية 29] قدار بن سالف أحيمر ثمود ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ [الآية 29] فاجترأ على تعاطي قتلها أو فتعاطى السيف وتناوله ﴿فَعَقَرَ﴾ [الآية 29] فقتلها.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً﴾ [الآيتان 30،31] صيحة جبريل عليه السلام ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [الآية 31] فصاروا كالشجر اليابس المنكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها في البناء أو كالحشيش الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ [الآيات 32،34] ريحاً يحصيهم بالحجارة أي يرميهم ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [الآية 34] بسحر وهو السدس الأخير من الليل.

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الآية 35] أنعاماً من لدناً وإكراماً منا وهو علة لنجينا ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ [الآية 35] نعمتنا بالإيمان وما يقتضي طاعتنا بالإحسان.

وأفاد الأستاذ: أن الشكر على نعم الدفع ثم على نعم النفع ولا يعرف ذلك إلا كل موفق كيّس.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ [الآية 36] خوفهم لوط ﴿بَطْشَتَنَا﴾ [الآية 36] أخذتنا بقوتنا ﴿فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾ [الآية 36] فتناكلوا في إنذاره عن جهتنا.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ [الآية 37] فمسحناها وسويناها بسائر أعضاء وجوههم روي أنهم لما دخلوا داره عنوة صفعهم جبريل بجناحه صفعة فأعماهم بغتة.

قال الأستاذ: وكذا أجرى سنته في أوليائه بأن يطمس على قلوب أعدائهم حتى يلتبس عليهم كيف يؤذون أولياءه ويخلصهم من كيدهم ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [الآية 37] أي فقيل لهم بلسان المقال أو بظاهر الحال.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ [الآية 38] في أول نهار غير معين ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [الآية 38] استقر بهم في دار الدنيا واستمر بهم في دار العقبى.

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [الآيتان 39، 40] كرر ذلك في كل قصة من الكتاب إشعاراً بأن تكذيب كل رسول مقتضي لنزول العذاب واستماع كل قضية مستدع للإيقاظ/ واستئنافاً للتنبيه والإيقاظ لئلا يغلبهم 196/ أ السهر والغفلة واللهو في هذا الباب وهكذا يقرر تكرير قوله: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: الآية 14] منهما، ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الطور: الآية 11] ونحوهما مما لا يخفى على أولي الألباب وإن كان لكل منها نسبة لما قبلها في مقام الإطناب.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ [الآية 41] أي الآيات المنذرة واكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى به.

﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ [الآية 42] يعني الآيات التسع ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ [الآية 42] غالب في الانتقام ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ [الآية 42] لا يعجزه أحد من الأنام.

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ [الآية 43] يا معشر العرب ﴿خَيْرٌ﴾ [الآية 43] عدة وقوة أو مكانة وشوكة ﴿مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ [الآية 43] الكفار المعدودين لكم ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [الآية 43] في الكتب السماوية إن من كفر منكم فهو أمان من عذاب ربكم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ [الآية 44] جمع ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ [الآية 44] ممتنع لا يرام ولا يضام.

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [الآيـة 45] أي بـإدبـارهـم وإفـراده لإرادة الجنس أو لأن كل واحد منهم يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر فهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي الله عنه أنه لما نزلت لم أعلم ما هي فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع أو يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته[1].

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [الآية 46] موعد عذابهم المعد لهم وأما ما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائع عتابهم في العقبى ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾ [الآية 46] أشد وأبقى فإن الداهية أمر فظيع لدوائه لا يهتدي ﴿وَأَمَرُّ﴾ [الآية 46] مذاقاً من عذاب الأولى.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ [الآية 47] عن الحق في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾ [الآية 47] ونيران في الأخرى.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الآية 48] يجرّون عليها ويذلون لديها ويقال لهم ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [الآية 48] حرها وألمها فإن مسها سبب التألم بها.

وأفاد الأستاذ: أن سحبهم على وجوههم إمارات للمذلة ولو كان ذلك مرة واحدة لكانت محنة عظيمة فكيف وهو على التأييد والتخليد فكما أن إمارة الذل تظهر على وجوههم فعلامة إعزاز المؤمنين وإكرامهم تظهر على وجوههم كما في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾[القيامة: الآية 22] وفي قوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: الآية 24].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [الآية 49] أي أنا خلقنا كل شيء مقدراً مرتباً على مقتضى الحكمة ووفق المشيئة أو مقدار/ مكتوباً في اللوح قبل وقوعه وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده. 196/ب

وفي «تفسير السلمي» قال القاسم: دخل في هذا المعنى نفوس الخلق وأعمالهم وأحوالهم وآثارهم وخطرات قلوبهم وأسرارهم وأنفاسهم في

(1) انظر جامع الحديث للسيوطي (27/ 476) رقم (30527)، والمطالب العالية لابن حجر (10/ 458) رقم (3832).

أوقاتهم وأخلاقهم المحمودة والمذمومة وآجالهم ومعاشهم ومعادهم لما سبق فيهم من العلم وإيجاداً بقدرته أنه ضبط كل شيء بتقديره. وسئل يوسف بن الحسين عن شيء من القدر فقال: من أصولنا أن القضاء أمضى بنا من عزمنا قلت: وكأنه أراد هذا المعنى من قال: عرفت الله بفتح العزائم.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ [الآية 50] إلا فعلة واحدة وهو الإيجاد بلا معاناة ومعالجة أو إلا كلمة واحدة وهو قوله: ﴿كُن﴾ [البقرة: الآية 117]، ﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ [الآية 50] في السهولة والسرعة.

وقال الأستاذ: أي إذا أردنا خلق كل شيء لا يتعسر علينا ولا يتعذر لدينا لقوله له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: الآية 117] بقدرتنا وقوله: ﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ [الآية 50] أي مثل ما عندكم هذا القدر لا مشقة تلحقكم به ولا ضرر فكذلك عندنا ما أردنا أن نخلقه قل أو أكثر كبر أو صغر لا يلحقنا فيه مشقة.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ [الآية 51] أشباهكم في الكفر ممن قبلكم ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [الآية 51] متعظ متدبر.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ [الآية 52] مكتوب في كتب الحفظة كما قال تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: الآية 49].

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ [الآية 53] من الأعمال والأقوال والأحوال ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ [الآية 53] في اللوح لأن حفظها بأسرها قبل وقوعها فلا ينبغي لأحد أن يتحاسر على الزلة إذا عرف المحاسبة والمطالبة بالكثرة والقلة قال بعض السلف: من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الآية 54] أي وأنهار واكتفى باسم الجنس ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي أن يكون لكل واحد منهم جنة ونهر[1] ولا مانع من الزيادة فإن رحمته واسعة وسيأتي في سورة الرحمٰن ما يدل على أن لكل

(1) في المخطوطة: مهر، وهو تحريف.

واحد أربع جنات.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [الآية 55] مكان مرضي ومجلس حق ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [الآية 55] مقربين عند من تعالى أمره في الملك والاقتدار بحيث أنهم على ذوي الإفهام والإسرار.

قال جعفر الصادق: مدح المكان بالصدق فلا يعقد فيها إلا أهل الصدق وهو المقعد الذي يصدق الله فيه مواعيد/ أولياءه بأن يبيح لهم النظر إلى وجهه الكريم ويشرفهم بلقائه. 197/أ

وقال الواسطي: ليس محل من اشتغل بنفسه وتلذذ بمطعمه ومشربه وملبسه كم كان شغله بالحق وأنسه والقيام بأمره ونظره إلى ربه في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وقال الأستاذ: أراد به عند القربة والزلفة ويقال: مقعد الصدق مكان أهل الصدق والصادق في عبادته من لا يتقيد على ملاحظة الأطماع والأغراض ومطالبة الأعواض ويقال: من صدق في العبودية تحرز عن المقاصد الدنية ويقال: من اشتغل بالدنيا حجبته الدنيا عن الأخرى ومن أسره نعيم الجنة حجب عن القيام بالحقيقة ومن قام بالحقيقة شغل عن الكون بالكلية.



سورة الرحمٰن

[مكيّة أو مدنيّة أو بعضية]
وهي ثماني وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله إخبار عن عزّه وعظمته، الرحمٰن الرحيم إخبار عن فضله ورحمته، فبشهود عظمته يكمل سرور الأرواح وبوجود رحمته يحصل نعيم الأشباح ويقال: لولا رحمته ما عبد الرحمٰن عابد ولولا رحمته لما أحبّ الرحمٰن واحد.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآيتان 1،2] لما كانت السورة مقصورة على تعدد لنعم الدنيوية والأخروية صدرها بالنعت الرحمانية وقدم ما هو أصل النعم الدينية وهو إنعامه على الإنسان بإنزال القرآن وإكرامه بتعليمهم أفصح البيان.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الآيتان 3،4] وميزه به عن سائر الحيوان وهو التعبير باللسان عن ما في الضمير من أسرار الجنان قيل: علم الأرواح القرآن قبل أجساد الإنسان والأشباح تعلمته تبعاً للأرواح.

قال الواسطي: إنما ذكر التعليم بلفظ الماضي عناية ورعاية.

وقال ابن عطاء: لما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: الآية 31] أراد أن يخص أمة محمد صلى الله عليه وسلم بخاصية مثله في الأنباء فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآيتان 1،2] أي الذي علّم آدم الأسماء وفضله على ملائكة السماء هو الذي علمكم القرآن وفضلكم على سائر أمم الأنبياء فقيل له: متى علمهم؟ قال: علمهم حقيقة في الأزل حتى أراد / وأظهر عليهم تعليمه وقت الإيجاد. 197/ ب

وقال جنيد: خلق الإنسان جاهلاً بماله وعليه فعلمه السبيل إليه.

قال الواسطي: للإنسان شيئان ذكر وفكر فإن كان ذكره وفكره إلى حظ نفسه انقطع عن ربه ومقام قدسه وإن كان ذكره فكره لله وبالله ومع الله اتصل بالله في مقام أنسه وكلما ازداد ذكراً وفكراً ازداد قرباً وعلماً أو نوراً وحضوراً.

وقال الأستاذ: أي الرحمٰن الذي عرفه الموحدون وأنكره الملحدون هو الذي علم القرآن ويقال: الرحمٰن الذي رحمهم وعن الشرك عصمهم وبالإيمان أكرمهم وكلمة التقوى ألزمهم هو الذي عرفهم بالقرآن وعلمهم ويقال: سقياً لأيام مضت من الزمان وهو يعلمنا القرآن:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

فبرحمته علمهم القرآن وبرحمته وصلوا إلى القرآن لا بقراءته القرآن وصلوا إلى رحمة الرحمٰن ويقال: البيان هو الذي خص به الإنسان وميز عن الحيوان حتى علموا كيف يخاطبون مولاهم وبيان العبد مع الرب مختلف فقوم يخاطبونه بلسانهم وقوم بجنانهم وقوم بأنفاسهم وقوم بدموعهم وقوم بأنينهم حنينهم.

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾ [الآية 5] يجربان بحساب مقدر يعرف بهما الزمان.

قال الأستاذ: وكذلك لشموس المعارف وأقمار العلوم في طلوعهما في أوج القلوب والأسرار في حكم الله وتقديره حساب معلوم بجريهما على ما سبق به الحكم في حدهما.

﴿وَٱلنَّجْمُ﴾ [الآية 6] النبات الذي لا ساق له ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ [الآية 6] الذي له ساق ﴿يَسْجُدَانِ﴾ [الآية 6] ينقادان لله فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجد من المكلفين طوعاً والنجم في عالم السماء والشجر في مقام النماء يسجدان لمبديهما ومبدعهما سجود دلالة على إثبات صانعهما.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ [الآية 7] خلقها مرفوعة محلاً ومرتبة فإنها محل أقضيته ومنزل ملائكته.

وقال الأستاذ: سمَّك السماء فأعلاها وعلى وصف الاتقان والإحكام بناها والنجوم فيها أجراها ورتب كواكبها وحفظ عن الاختلاف مناكبها وأثبت على ما شاء مشارقها ومغاربها ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الآية 7] أي العدل للامتحان حتى يوفر كل مستعد مستحقه / ويوفي كل ذي حق حقه لينتظم أمر العالم 198/ أ ويستقيم أحوال بني آدم كما قال صلى الله عليه وسلم: بالعدل قامت السماوات والأرض أو أريد بالميزان ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما فكأنه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث أنها مصدر القضايا والأقدار لرصف الأرض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوي به الحقوق والمواجب في هذه الدار.

﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨﴾ [الآية 8] بأن لا يتعدوا الإنصاف ولا يتجاوزوا حدّ الإلطاف.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية 9] بالتسوية والعدل مع جواز الزيادة بالإحسان والفضل ﴿وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الآية 9] ولا تنقصوه عن معيار أهل الزمان.

وأفاد الأستاذ: أن تغيير العدل وترك الحيف ومجاوزة الحد في كل شيء ففي الأعمال تغيير الإخلاص وفي الأحوال الصدق وفي الأنفاس الحقائق ومساواة الظاهر والباطن وترك المداهنة والمكر والخديعة ودقائق الشرك وخفايا النفاق وغوامض الخيانة.

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ [الآية 10] خفضها ودحاها ومهدها وهيأها ﴿لِلْأَنَامِ﴾ [الآية 10] للثقلين والأنعام.

وقال الأستاذ: وضعها على الماء وبسط أقطارها وأنبت أشجارها وأزهارها وأجرى أنهارها وأغطش ليلها وأوضح نهارها وأثبت أثمارها.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ﴾ [الآية 11] كثيرة أنواعها عزيزة أصنافها.

وقال الأستاذ: يعني أصنافها في اختلاف ألوانها وطعومها وأرائجها ونفعها وضرها وحرارتها وبرودتها وغير ذلك من اختلاف حبها ونورها وورقها وشجرها ﴿وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ [الآية 11] أوعية التمر جمع كم بالكسر أو الضم أو ليفها وسعفها مما يغطيها.

قال جعفر الصادق: جعل الحق قلوب أوليائه رياض أنسه وبهاء كبريائه فغرس فيها أشجار المعرفة أصولها ثابتة في أسرارهم وفروعها قائمة بالخضرة في مشهد أنوارهم فهم يجتنون منها ثمار الأنس وفي كل أوان من رياض القدس وهو قوله: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ [الآية 11] أي ذات ألوان يجتني كل أحد منه لوناً على قدر سعيه في البداية أو النهاية وما كشف له من أنوار المعرفة/ وأسرار الولاية ﴿وَٱلۡحَبُّ﴾ [الآية 12] كالحنطة والشعير والذرة مما يتقوّى به الإنسان ﴿ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾ [الآية 12] صاحب ورق النبات اليابس كالتين مما ينتفع به الحيوان ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ [الآية 12] يعني المشموم أو الرزق المعلوم. 198/ب

وقرأ ابن عامر: ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢﴾ [الآية 12] بنصب الثلاثة عطفاً على الإنسان وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض عطفاً على العصف.

قال الأستاذ: وذكره عظيم منته عليهم بما خلق لهم من هذه الأشياء التي ينتفعون بها من أنواع المأكولات والمشروبات ونحوها.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الآية 13] الخطاب للثقلين المدلول عليه بقوله للأنام سابقاً وقوله: أيها الثقلان لاحقاً والآلاء والنعماء.

وقال الأستاذ: ويقال: الخطاب على عادتهم: خليلي وقفاً ويقولون: أرحلاها يا غلام وازجراها يا غلام انتهي. والمراد أن الخطاب لكل من يصلح في هذا الباب والأول أظهر في المقصود من التنصيص على جنسي المكلفين كما سيجيء مصرحاً به في قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ [الآية 33] ولما ورد عنه أنه عليه السلام لما قرأ هذه السورة على أصحابه الكرام

وكانوا ساكتين في مجلس الاحترام فقال: «للجن أحسن منكم في جواب الكلام حيث ما قرأت عليهم قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 13] في كل مقام إلا وقد قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذّب فلك الحمد»[1].

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ [النّحل: الآية 4] أي آدم أبا البشر ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ﴾ [الآية 14] طين يابس له صلصلة أي صوت عند الحركة وقلقلة ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الآية 14] كالخزف المطبوخ بالنار وقد خلق الله آدم عليه السلام من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً وبين في كل موضع من أحواله حالاً.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ [الآية 15] أبا الجن ﴿مِن مَّارِجٍ﴾ [الآية 15] صاف من الدخان الحاصل ﴿مِّن نَّارٍ﴾ [الآية 15] والحاصل أن الجزء الترابي غالب في عناصر الإنسان والناري في الجان.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 16] مما أفاض عليكما في أطوار الخلقة لديكما حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة المكنونات.

وقال الأستاذ: ذكر الله تعالى آدم نسبته وشأنه وذكّرنا نسبتنا لئلا نعجب بحالتنا ويقال: عرفه قدره لئلا يعدو طوره.

﴿رَبُّ/ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] شرقي الشتاء والصيف ومغربيها. 199/ أ

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 18] عما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل من النعماء.

وقال سهل: مشرق القلب ومغربه ومشرق اللسان ومغربه وقيل: مشرقه توحيده ومغربه مشاهدته ورب المشارق الجوارح المستعملة بالإخلاص ومغاربها بالطاعة الله على طريق الاختصاص.

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 399) رقم (3291)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 101) رقم (4417).

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الآية 19] أرسل البحر الملح والبحر العذب ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ [الآية 19] يتجاوران.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ [الآية 20] حاجز من قدرته سبحانه ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الآية 20] لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما من طرفيهما.

وقال سهل: هو أوامر الخير وأوامر الشر بينهما برزخ وهو العصمة وتوفيق الطاعة.

وقال ابن عطاء: بين العبد وبين الله تعالى بحران عميقان أحدهما بحر النجاة وهو القرآن من تعلق به نجا لأن الله تعالى يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: الآية 103] وثانيهما بحر الهلاك وهو الدنيا فمن ركن إليها هلك لديها.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الآيتان 21،22] كبار الدر وصغاره وقيل: المرجان الخرز الأحمر وهو على لسان العامة أشهر والمباينة به أظهر وقرأ نافع وأبو عمرو بصيغة المفعول.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 23] وأفاد الأستاذ: أن في الإشارة خلق في القلوب بحر الخوف والرجاء ويقال: القبض والبسط ويقال: الهيبة والإنس ويخرج منها الجواهر من الأحوال الصافية واللطائف المتوافية ويقال: البحران في الإشارة النفس والقلب فالبحر العذب القلب والملح النفس فمن بحر القلب كل جوهر هو ثمين وحالة لطيفة ومن النفس كل خلق ذميم ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الآية 20] يصون الحق هذا من هذا حتى لا يبغي هذا على هذا.

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ [الآية 24] السفن الجارية ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ [الآية 24] المرفوعات الشرع وقرأ حمزة وأبو بكر بخلاف عنه بكسر الشين أي الرافعات الشرع بالنسبة المجازية ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [الآية 24] كالجبال الطوال.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 25] من خلق مواد السفينة والإرشاد إلى

أخذها وكيفية تركيبها وإجرائها / في البحر بأسبابها لا يقدر على خلقها وجمعها 199/ ب غيره سبحانه.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦)﴾ [الآية 26] أي من على الأرض من الحيوانات أو الكائنات لأن كلها هالك بحسب الذات.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الآية 27] ذاته ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الآية 27] ذو الاستغناء التام والفضل العام هذا ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوه الممكنات وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله تعالى أي إلا الوجه الذي يلي جهته.

قال ابن عطاء: من يكون مقيماً على اتباع هواه فهو فانٍ هالك من حيث لا يشعر.

وأفاد الأستاذ: أن الوجه صفة الله تعالى لم يدل عليه العقل قطعاً ودل عليه جوازاً والخبر ورد بكونه قطعاً ويقال: في بقاء الوجه بقاء الذات لأن الصفة لا تقوم بنفسها وفائدة تخصيص الوجه بالذكر لأن ما عداه يعرف بالعقل والوجه لا يعرف إلّا بالنقل في بقائه سبحانه تسلية للمسلمين عما يصيبهم من المصائب ويفوتهم من المواهب.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 28] مما مر من بقائه تعالى وإبقائه ما لا يحصي مما هو على صدر الفناء رحمة وفضلاً.

﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 29] فإنهم مفتقرون إليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر مهماتهم والمراد بالسؤال ما يدل على حاجاتهم بعبارة أقوالهم وإشارة حالاتهم وقيل: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ القوة على العبادة وهم الملائكة ومن في الأرض الرزق والعافية في جملتهم خواص، أشغلهم ذكره عن سؤاله وأغناهم علمه بهم عن التعريض له بحالهم وهم الناظرون إليه بأسرار الذي وقع عنه الأخبار عن سيد الأخيار أنه سبحانه يقول من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الآية 29] كل وقت وآن هو سبحانه باعتبار آثار صفاته وإظهار مصنوعاته يحدث أشخاصاً ورجالاً ويجدد أحوالاً

على ما سبق به قضاؤه أذلاء، وفي الحديث من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين وقيل: معناه سوق المقادير إلى أوقاتها وقيل: شؤون يبديها لا أمور ينشئها.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 30] أي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من ممكن العدم إلى صحن الوجود/ حيناً فحيناً كما يجري أحوالكم. 200/ أ

وأفاد الأستاذ: أن أهل السماوات يسألونه أبداً المغفرة والرحمة وأهل الأرض يسألونه الرزق والمغفرة أي لا بد لكل أحد منه ولا يوجد أحد يستغني عنه كل يوم هو في شأن من إحياء وإماتة وقبض قوم وبسط قوم وغير ذلك من تغيير فنون أقسام المخلوقات وما يجريه عليها من اختلاف الصفات كإظهار مستور وإخفاء مشهور وظاهر وإحضار غائب وتغييب حاضر ومن شأنه أن يستر عيباً ويذهب كبراً ويطيب قلباً ويقصي عبداً ويدني عبداً وله مع عباده كل ساعة بر جديد وسر بينه وبين عبده عن الرقباء بعيد.

بين المحبين سر ليس يغشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] سنقصد لحسابكم وتتحدد لجزائكم في ثوابكم وعقابكم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لثقلهما على محلهما أو لرزانة آرائهما ومتانة قدرهما أو لأنهما مثقلان بتكليف أوامرهما ونواهيهما.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآيتان 32،33] إن قدرتم أن تخرجوا من جوانبها وأطرافهما هاربين من الله فارين مما قضاه ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾ [الآية 33] فاخرجوا من إهلاكه لتخلصوا من إهلاكه ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ [الآية 33] لا تقدرون على النفوذ ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الآية 33] إلا بقهر وقوة وأنّى لكما تلك القدرة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 34] مما نصب من المدارج العقلية والمعارج القبلية فتنفذون بها إلى ما فوق السماوات العلية من الحالات الجلية.

﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ﴾ [الآية 35] لهب ﴿مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ﴾ [الآية 35] دخان أصفر مذاب وقرأ ابن كثير بكسر الشين ونحاس بالجر عطفاً على نار ووافقه أبو عمرو فيه ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الآية 35] فلا تمتنعان جزاء لكما حيث ما كنتما على البلاء تصبران ولا على النعماء تشكران.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 36] فإن التمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الإهداء من عداد الآلاء.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ﴾ [الآية 37] أي كوردة حمراء ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ [الآية 37] كالأديم الأحمر في / نظر الإنسان. 200/ ب

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 38] أي مما يكون بعد ذلك الزمان.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ﴾ [الآية 39] فحين تنشق السماء ﴿لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الآية 39] لأنهم يعرفون بسيماهم وذلك حين يخرجون من مثواهم وأما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون في الجمع من مأواهم وإنها للإنس باعتبار اللفظ فإنه وإن تأخر لفظاً تقدم رتبة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 40] إنهم مما أنعم الله على عباده المؤمنين في يوم الدين.

﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ﴾ [الآية 41] وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن على جباههم أو بسواد وجوههم وزراقة عيونهم وغير ذلك من الأعلام ﴿فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ﴾ [الآية 41] جمعاً بينهما أو تناوباً فيهما أو جمع يؤخذون بالنواص وقوم بالأقدام.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 42] إذا تخلصتما من هذه الآلام.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٤٣﴾ [الآية 43] يخاطب به المؤمنون في الدنيا تخويفاً وفي العقبى تشريفاً.

﴿يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا﴾ [الآية 44] بين نار جهنم التي يحرقون بها ﴿وَبَيۡنَ حَمِيمٍ﴾ [الآية 44] ماء حار ﴿ءَانٖ﴾ [الآية 44] بالغ النهاية في الحرارة يصب على رؤوسهم

أو يسقون منه في كؤوسهم وقيل: إذا استغاثوا من نار الجحيم أغيثوا بالماء الحميم.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 45] إذا خلصكما عنها بفضله الكريم.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 46] موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب في المعاد أو قيامه على أحواله واطلاعه على أعماله قال بعضهم: هوا المقام الذي يقوم بين يدي ربه يوم القيامة عند كشف الستور وظهور حقائق الأمور والكل من الأنبياء والأولياء في حال السكون لظهور الجبروت والعظموت في الملك والملكوت.

قال ذو النون: علامة خوف الله أن يؤمنك خوفه من خوف ما عداه ﴿جَنَّتَانِ﴾ [الآية 46] جنة للخائف الجني وجنة للخائف الإنسي والمعنى ولكل خائفين منكما أو لكل واحد جنتان جنة لعقيدته وأخرى لعبادته أو جنة لفعل الطاعات وجنة لترك السيئات أو جنة لعلمه وجنة لصبره وجنة لشكره أو جنة على سبيل العدل وجنة من طريق الفضل أو روحانية وجسمانية أو جنة معجلة في الدنيا من حلاوة الطاعة ومؤجلة في/ العقبى وهي جنة المثوبة ثم هم مختلفون في جنات الدنيا على مقدار حالاتهم كما يختلفون في جنات الأخرى على تفاوت درجاتهم. 201/أ

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 47] مما وقع لكما من مقاماتهم.

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الآية 48] جمع فنن أي أنواع من الأشجار والأثمار أو جمع فنن أي أغصان مشتملة على الأزهار والأنوار.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 49] مما ظهر لكم من الأسرار.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الآية 50] حيث شاؤوا في الأسافل والأعالي من المكان أو حديهما التنسيم والأخرى السلسبيل ويقال: فيهما عينان تجريان لمن له اليوم عينان تجريان.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 51] أَمِنَ النعم الظاهرية أم من النعم الباطنية.

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾ [الآية 52] صنفان غريب ومعروف أو رطب ويابس.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 53] بالمنن الحسنة أو النعم المعنوية.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الآية 54] ديباج ثخين فما ظنك بالظاهرة فإن لها الديباج الثمين وليس في الجنة شيء مما يشبه ما في الدنيا إلا في الصورة وإنما خاطبهم ربهم على قدر أفهامهم ومتكئين مدح للخائفين ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ [الآية 54] أي يجني أشجارهما من أثمارهما وأزهارهما ﴿دَانٍ﴾ [الآية 54] قريب يناله القاعد والراقد من غير معاناة لهما حتى لو أرادوا أن يدنوا إلى أفواههم تناولوه من غير مشقة تنالهم.

وأفاد الأستاذ: إن في الخبر المسند أن من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر غرس الله بها شجرة في الجنة أصلها الذهب وفرعها الدر وطلعها كثدي الأبكار ألين من الزبد وأحلى من العسل كلما أخذ منها شيئاً عاد كما كان[1].

وذلك قوله: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآيتان 54،55] أم الأشجار الزاكية أم الثمار الوافية.

﴿فِيهِنَّ﴾ [الآية 56] أي في الجنان فإنّ جنتان تدل على جنان هي للخائفين ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الآية 56] نساء من حور عين وغيرهن قصرت أبصارهن على أزواجهن ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الآية 56] قبلهم أي قيل: رجال أهل الجنة في الجنة وقرأ الكسائي بضم الميم.

قال سهل: من قصر طرف عينه عن الحرام والشبهات في الدنيا أعطاه الله قاصرات/ الطرف في العقبى. 201/ ب

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 287) رقم (3171)، وفي المعجم الكبير (6/ 266) رقم (6176). وانظر تفسير القشيري (7/ 356) والبحر المديد (6/ 213) ص (427).

وقال الأستاذ: وإذا كانت الزوجات قاصرات الطرف عن غير أزواجهم فأولى بالعبد إذا رجا لنا مولاه أن يقصر طرفه ويغضه عن غير المباح بل عن الكل إلى أن يلقاه ويقال: من الأولياء من لا ينظر إليهن وأن أبيح له ذلك لتحرزه عن الشهوات ولعلو همته عن ملاحظة المخلوقات وأنشدوا:

جننّا على ليلى وجنت بغيرنا وأخرى بنا مجنونة لا نريدها[1]

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 57] أَبِنِساء العقبى وهي الحور العين أم نساء الدنيا في الجنة فإنها أكمل في مقام الحسن والتزيين.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ﴾ في حمرة الوجنة ﴿وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٥٨﴾ [الآية 58] في بياض البشرة أو في صفائهما وضيائهما.

وقال الأستاذ: أي في صفاء الياقوت ولون المرجان لبياض وجوههن وحمرة خدودهن.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [الآيتان 59،60] في الطاعة ﴿إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الآية 60] المثوبة في الجنة.

وقال جنيد: هل جزاء من ترك الكل لنا وفينا إلا أن يكون عوضه عن الكل فضلاً منا وهل جزاء من عاملنا على المشاهدة في دنياه إلا أن نكرمه بالنظر إلينا في دار عقباه وأصل الإحسان قوله عليه السلام: «أن تعبد الله كأنك تراه»[2].

وقال ابن عطاء: هل جزاء الهداية في البداية إلا الانقطاع عما دونه والفخر به في النهاية وهل جزاء من أحسنت إليه في الأزل إلا حفظ الإحسان عليه إلى الأبد.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال: الإحسان الأول من الله والثاني من العبد أي هل جزاء من أحسنا إليه بالنعمة إلا أن يحسن لنا الخدمة وهل جزاء من

---

(1) نسب إلى كثير عزة. انظر سمط اللآلئ (1/ 40).

(2) سبق تخريجه.

أحسنا إليه بالولاء إلا بالحسنى لنا بالوفاء ويصح أن يكون الإحسان الأول من العبد والثاني من الله أي هل جزاء من أحسن من حيث الطاعة إلا أن يحسن إليه من حيث المثوبة وهل جزاء من أحسن من حيث الخدمة إلا أن يحسن إليه من حيث النعمة ويصح أن يكون كلا الإحسانين من الحق أي هل جزاء من أحسنا إليه في الابتداء إلا أن يحسن إليه في الانتهاء وهل جزاء من فاتحناه باللطف إلا أن يربي ذلك بالفضل والعطف ويصح أن يكون كلاهما من العبد أي هل من آمن بنا إلا أن يثبت بالمستقبل على إيماننا وهل / جزاء 202/ أ من عقد معنا عقد الوفاء إلا أن لا ينقضه بنكث الجفاء ويقال: هل جزاء من بعد من نفسه إلا أن نقربه منا وقت أنسه ويقال: هل جزاء من فني عن نفسه إلا أن يبقى بنا في مقام قدسه ويقال: هل جزاء من رفع إلينا خطوة إلا أن نكافئه بكل خطوة مائة ألف خطوة وهل هل جزاء من حفظ طرفه لدينا إلا أن نكرمه بالنظر إلينا.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 61] أي من أنواع الإحسان وأصناف الامتنان.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الآية 62] ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين.

وقال الأستاذ: أي من غير هاتين اللتين المذكورتين جنتان أخريتان وليس دونهما في الفضل انتهى ولا يبعد أن يقال: الأوليان من باب العدل والأخريان من طريق الفضل.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 63] أي بالجنتين الأولين أو الآخرتين.

﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [الآية 64] خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة فإن الدهمة السواد في أصل اللغة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 65] من الأزهار والأنوار.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الآية 66] فوارتان بالماء ليشتمل على حسن

الهواء وفيه إيماء إلى كثرة الماء في النماء.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الآيتان 67،68] في عطفهما بيان لفضلهما فإن ثمرة النخل في الدنيا فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء احتج به أبو حنيفة على أن من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رطباً أو رماناً لم يحنث لأن الأصل في العطف المغايرة أو بناء الأيمان على عرف أهل الزمان وهو مختلف في كل زمان ومكان.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 69] أي من جري الأنهار أو من كثرة الأثمار.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ﴾ [الآية 70] مخفف خيرات وقرىء به ﴿حِسَانٌ﴾ [الآية 76] في الخَلق والخُلق.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 71] أي من حسن الصورة ومن جميل السيرة.

﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الآية 72] قصرن في خدورهن أي مقصورات الطرف على أزواجهن في قصورهن.

وأفاد الأستاذ: أنهن لمن هو مقصور الجوارح عن الزلات مقصور القلب عن الغفلات مقصور السر عن مساكنة الأشكال والأعلال وملاحظة الأشباه والأمثال وفي/ التفاسير أن الخيمة من درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها ألف باب قصرن أنفسهن وقلوبهن وأبصارهن على أزواجهن يقلن نحن الناعمات فلا نيأس الخالدات فلا نبيد الراضيات فلا نسخط. 202/ب

وفي الخبر أن عائشة رضي الله عنها قالت: إن المؤمنات أجبنهن نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن قالت عائشة: فغلبنهن[1].

(1) انظر تفسير القرطبي (17/ 187)، والبحر المديد (6/ 216).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾﴾ أبنعمة الخيام والقصور أم بنعمة قصور نظر الحور.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الآيتان 74،73] كحور الجنتين الأوليين.

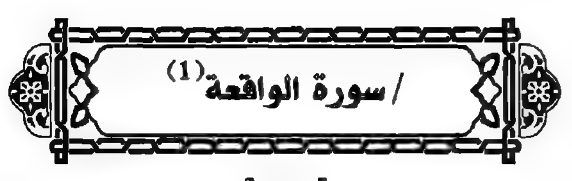
﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 75] أبنعمة لطافتهن أو بنعمة بكارتهن.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الآية 76] وسائد عظيمة ومساند وسيمة ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الآية 76] ثوب موشى مزين منسوب إلى عبقر يزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس في المبنى ولذا جمع حملاً على المعنى.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية 77]. أبنعمة اللباس الظاهرة أم بنعمة الفراش الطاهرة.

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الآية 78] تعالى اسمه وتعظم رسمه وتكاثر خيره وتواتر بره من حيث أنه من صفاته يطلق على ذاته فما ظنك بذاته ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الآية 78] صاحب الجلال والجمال الحاوي لنعوت الكمال وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم قال بعضهم: جل ربك وتنزّه وعظم قدرته عما يقول فيه المبطلون جميعاً لأن كل مُثنى يثنى عليه بقدر حالته وكل ذاكر يذكره على مقدار طاقته وعلمه وطبعه وفهمه والحق تعالى خارج عن أوهام المخلوقات لأن الثناء والمعارف دون الغايات فسبحانه ما أثنى عليه حق ثنائه غيره وما وضعه بما يليق به سواه عجزت الأنبياء بأجمعهم عن ذلك حتى قال أجلهم قدراً وأرفعهم محلاً لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

326/ أ



/ سورة الواقعة[1]

[مكيّة]

وهي سبع وتسعون آية[2]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز أزلي جبار صمدي قهار أحدي لكنه للمؤمنين ولي وبالعاصين حفي، ليس له في جماله كفيّ ولا في جلاله سمّي.

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ [الآية 1] أذكر إذا قامت القيامة، سماها واقعة لتحقق وقوعها ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾ [الآية 2] لأجل مجيئها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ [الآية 2] نفس كاذبة، فإن من أخبر عنها صدق فيها ﴿خَافِضَةٌ﴾ [الآية 3] لقوم ﴿رَّافِعَةٌ﴾ [الآية 3] لقوم، والنسبة مجازية. والمراد بيان لما يكون عند حلول تلك القضية من خفض الله أعداءه ورفعه أولياءه.

قال ابن عطاء: يخفض أقواماً بالعدل ويرفع أقواماً بالفضل.

وقال سهل: يخفض قوماً بالدعاوي ويرفع قوماً بحقائق المعاني.

وقيل: يخفض النفس ويرفع القلب. وقيل: يخفض قوماً بالكسب والطلب ويرفع قوماً بالتوكل على الرب.

وأفاد الأستاذ أن الكاذبة هنا مصدر كالعاقبة، أي ليس في وقوعها ريبة وشبهة خافضة لأهل الشقاوة رافعة لأهل الوفاق خافضة لأهل الشهوة، رافعة لأهل الصفوة، خافضة لمن جحد رافعة لمن وحّد.

---

(1) من هنا تم الاعتماد على النسخة الثانية من المخطوط لفقدان هذا الجزء من المخطوطة المعتمدة في التحقيق.

(2) كذا في الأصل المخطوط.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾ [الآية 4] بدل من إذا وقعت أي إذا حركت تحريكاً شديداً له أهوال بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبال ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الآية 5] أي سيرت في الهواء سيراً منتشراً ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الآية 6] فصارت غباراً منتشراً ﴿وَكُنتُمْ﴾ [الآية 7] يومئذ ﴿أَزْوَٰجًا﴾ [الآية 7] أصنافاً ﴿ثَلَٰثَةً﴾ [الآية 7] تفصيله قوله ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩﴾ [الآيتان 8،9] أي الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم، أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المرتبة الدنية، أو أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم، فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم، أو الذين هم عن يمين العرش وشماله، أو الذين كانوا على يمين آدم عليه السلام عند إخراج الذرية من ظهره وعلى شماله، أو الذين يؤخذ بهم ذات اليمين وإلى دار القرار والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى دار البوار، والجملتان/ الاستفهاميتان خبران لما قبلهما بإقامة الظاهر مقام الضمير 326/ ب فاستغنى عن الرابط لهما. والمعنى لا تسأل عن أحوالهما وأهوالهما في مآلهما.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ [الآية 10] أي الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعات، أو سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات هم الذين عرفت حالهم وعلمت مآلهم، كقول أبي النجم: وشعري شعري، أو الذين سبقوا إلى الجنات وما فيها من الدرجات العليا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ [الآيتان 11،12] أي الذين قربت درجاتهم في الجنة وأعليت منازلهم في الرتبة.

وفي «تفسير السلمي»: هم الذين سبقوا لهم من الله الولاية قبل كونهم هم المقربون في منازل الهداية.

وقال القاسم: أضاف الله تعالى الأفعال إلى عباده بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الآية 10] ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الآية 11] ولو لم يكونوا مقربين لما كانوا سابقين، ولو كان الأفعال إليهم حقيقة لكانوا متقربين ولم يكونوا مقربين.

وقال الأستاذ: أي السابقون إلى الخصال الحميدة هم السابقون إلى

الأفضال العديدة. ويقال: السابقون بصدق القدم أو السابقون بعلو الهمم. ويقال: الذين سبقت لهم من الله الحسنى سبقوا إلى ما سبق لهم من المنى. وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الآية 11] ولم يقل المتقربون، وهذا عين الجمع ليعلم الكافة أنهم سبقوا بتقريب ربهم لا بتقربهم فهم مقربون من بساط القربة وأنى بالبساط ولا بساط هناك ولا انبساط، مقربون من حيث الكرامة لا طريق المسافة، مقربون بنفوسهم من الجنة وتعلو بهم من بساط المعرفة والحق عزيز لا قرب ولا بعد ولا وصل ولا فصل.

﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [الآية 13] أي هم جماعة كثيرة من الأمم الماضية ﴿وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٤﴾ [الآية 14] يعني أمة محمد عليه السلام إلى تمام الأزمنة الآتية. وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: الفرقتان في أمة كل نبي في صدرها ثلة وفي آخرها ثلة[1]، أو هم كثير من متقدمي هذه الأمة وقليل من متأخري هذه الملة، وعليه كثير من الأئمة.

وروي مرفوعاً أنهما من هذه الأمة، والمعنى ثلة من الأولين المتقدمين من السلف وقليل من الأخيرين المتأخرين من الخلف ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ۝١٥﴾ [الآية 15] منسوجة بالذهب الفاخر مشبكة بالجواهر.

قال الأستاذ: جاء في التفسير أن طول كل سرير ثلاثمائة ذراع فإذا أراد الجلوس عليه اتضع وإذا استوى عليه ارتفع.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦﴾ [الآية 16] وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد فيها.

قال الأستاذ: وصفهم بصفاء المودة وتهذيب الأخلاق في المحبة ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 17] للخدمة، والطائف الخادم / الذي يأتيك بالرفق واللين ﴿وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الآية 17] غلمان مبقون أبداً على هيئة الولدان وطراوتهم في الأبدان، وقيل: مخلّدون مقرّطون. 327/أ

(1) انظر تفسير البحر المحيط (10/ 204)، والمحرر الوجيز (6/ 280).

وفي الحديث: «أولاد الكفرة خدَّام أهل الجنة»[1] ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ [الآية 18] حال الشرب وغيره، والكوب إناء بلا عروة ولا خرطوم، والإبريق بضده كما هو معلوم ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الآية 18] من خمر جار ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ [الآية 19] بخمار والمعنى أنه لا ينشأ عنها صداعهم ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الآية 19] لا يذهب عقولهم ولا ينقص علومهم، أو لا ينفذ شرابهم ويؤيد إذ قرأ الكوفيون بكسر الزاي.

وقال الصادق: لا يذهل عقولهم عن موارد الحقائق عليهم ولا تغيب عن مجلس المشاهدة أي سبب ورود موائد الوصلة لديهم.

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] أي يختارون ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الآية 21] يتمنون أو يتلذذون، وحور عين عطف على ولدان. وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفاً على جنات أي أولئك في جنات النعيم ومصاحبة ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الآيتان 22،23] المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء والضياء ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: الآية 24] جوزوا جزاء بأعمالهم على وفق أحوالهم وحسب آمالهم في تحسين مآلهم.

وقد روي: «أن درجات الجنة على قدر الأعمال وأما نفس دخولها فبالرحمة والإفضال»[2].

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [الواقعة: الآية 25] عبثاً أو ما يقتضي لوماً ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الآية 25] ما يوجب إثماً ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] بدل من قيلاً لقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [مريم: الآية 62] والتكرير للإعلام بغشو السلام. وقيل: سلاماً نعت لقيلا أي إلا قولاً سالماً فيشمل السلام وسائر الكلام وهو أولى في مقام المرام والظاهر أنه استثناء منفصل أو متصل، والمعنى لا لغو فيها إلا السلام ومن المعلوم أن السلام ليس في لغو الكلام فلا لغو في ذلك

---

(1) أورده البيهقي في الاعتقاد (1/ 135)، والقضاء والقدر (2/ 93). وانظر تفسير أبي السعود (8/ 191).

(2) انظر جامع الأحاديث (11/ 224) رقم (10627).

المقام فهو من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله:

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب[1]

قال سهل: ما هناك مشهد لغو ولا مكان إثم ولهو لأنه محل قدس بالأنوار للمقدسين من العباد في الأسرار فلا يظهر منهم ولا عليهم إلا ما يصلح لمقامهم.

وقال ابن عطاء: سلم بساط القربة عن اللغو والإثم لأنه محشو بالأنس مكشوف لأهلها عن محل السلامة ومجلس القدس وسماع السلام على درجات فمنهم من يكون من أهل سلام الجنس من الجن والأنس، ومنهم من يكون من أهل سلام الملائكة، ومنهم من يكون من أهل سلام الحق على مراتبهم وفق مناقبهم.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الآية 27] والمراد بهم الأبرار دون المقربين/ ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] متراكم بالحمل من أعلاه إلى أسفله ﴿وَطَلْحٍ﴾ [الآية: 29] وشجر موز ﴿مَّنضُودٍ﴾ [الآية 29] لا شوك له من أصله أو مثني أغصانه [من كوز حلو][2]. 327/ ب

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30] أي منبسط، ففي الصحيحين أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما قطعها إقرأوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الآية 30] وقيل دائم.

وأفاد الأستاذ: أنه كوقت الأسفار ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] مصبوب سائل جارٍ على الأرض من غير أخدود أين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب وتعيين حدود.

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] الأجناس غزيرة الأنواع والأصناف ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ [الآية 33] في زمان عنهم ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الآية 33] في مكان منهم.

---

(1) سيأتي التعليق عليه لاحقاً.

(2) كلمات غير واضحة، وهي مكتوبة بهامش المخطوطة.

قال الصادق: لم يقطع عنهم التأييد والمعونة ولو قطع عنهم لهلكوا ولم يمنعوا من السماع تلذذاً لمجاورة الحق ولو منعوا من ذلك لاستوحشوا هنالك ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] رفيعة القدر والمرتبة أو منضدة مرتفعة.

ففي الحديث: «ارتفاعها ما بين السماء والأرض»[1]، رواه الترمذي. وقيل: الفرش النساء، فإن العرب تسمي المرأة فراشاً ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] أي ابتدأناهن ابتداء جديداً من غير ولادة إبداءً أو إعادة فهن الحور العين. وفي الحديث: هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطاء رُمْصاً جعلهن الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً، فلما سمعت رسول الله عائشة ذلك قالت: وا وجعاه، فقال رسول الله ﷺ: ليس هناك وجع[2].

وقد قالت عجوز لرسول الله: ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: إن الجنة لا يدخلها العجائز. فولّت وهي تبكي، فقال عليه السلام: أخبروها بأنها يومئذ ليست بعجوز[3]، وقرأ الآية. والحديث رواه الطبراني والترمذي مطولاً وفيه: إنهن أفضل من الحور العين لصلاتهن وصيامهن كفضل الظهارة على البطانة وأن من يكون لها أزواج في الدنيا تخير فتختار أحسنهم خلقاً.

وعلى هذا التقدير فالمعنى: أعدنا إنشائهن. وأما على القول بأن الفرش على ظاهر معناه فالضمير لما دل عليه سياق الكلام ومبناه من ذكر الفرش ومقتضاه ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ﴾ [الآية 36] أو صيرناهن ﴿أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: الآية 36] استمراراً ﴿عُرُبًا﴾ [الآية 37] متحببات لأزواجهن أو متغنجات في حركاتهن وسكناتهن، ويسكن راءه حمزة وأبو بكر: ﴿أَتْرَابًا﴾ [الآية 37] مستويات في السن والحسن خلقاً

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 679) رقم (2540)، وابن حبان في الصحيح (16/ 418) رقم (7405)، وأبو يعلى في المسند (2/ 528) رقم (1395)، وأحمد في المسند (3/ 75) رقم (11737).

(2) انظر تفسير القرطبي (17/ 211)، وتفسير البغوي (8/ 14)، والكشاف (6/ 481).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (5/ 357)، وانظر تفسير ابن كثير (7/ 532)، وتفسير البغوي (8/ 14)، والكشاف (6/ 481).

وخلقاً فورد في حديث كما رواه محيي السنّة: «أن أهل الجنة كلهم في سن ثلاث وثلاثين ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨﴾ [الآية 38] متعلق بأنشأنا»[1] ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ٤٠﴾ [الآيتان 39،40].

328/أ قال الأستاذ: أي جماعة من أولي هذه الأمة / وجماعة من آخرها.

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢﴾ [الآيتان 41،42] في فيح حر نار تنفذ في المسام ﴿وَحَمِيمٖ﴾ [الآية 42] ماء متناه الحرّ على الدوام ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣﴾ [الآية 43] دخان أسود في غاية من الظلام ﴿لَّا بَارِدٖ﴾ [الآية 44] فيه الراحة ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الآية 44] حسن المنظر ونافع للاستراحة ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ﴾ [الآية 45] في الدنيا ﴿قَبۡلَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 45] من حول العقبى ﴿مُتۡرَفِينَ﴾ [الآية 45] منهمكين في الشهوات واللهوات مستغرقين في اللذات والغفلات ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ٤٦﴾ [الآية 46] يديمون على الذنب العظيم وهو الشرك فإنه أعظم السيئات.

﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ﴾ [الآية 47] في إنكار البعث على ما جاء به بعثة النبوة ﴿أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [الآية 47] كررت همزة الإنكار للمبالغة والإصرار كما دخلت أيضاً على الواو العاطفة في قوله: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ٤٨﴾ [الآية 48] وقرأ قالون وابن عامر أو بالسكون: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٥٠﴾ [الآيتان 49،50] وقرىء لمجمّعون ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الآية 50] الإضافة بيانية والمعنى إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معيّن عند الله تعالى.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الآية 51] عن التوحيد والنبوة ﴿ٱلۡمُكَذِّبُونَ﴾ [الآية 51] بالبعث والإعادة، والخطاب لكفار مكة وأضرابهم من أهل الكتاب ﴿لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ٥٢﴾ [الآية 52] من الأولى ابتدائية والثانية بيانية.

وأفاد الأستاذ: أنه جاء في التفسير أن الزقوم شجر في أسفل جهنم إذا طرح الكافر فيها لا يصل إليه إلا بعد أربعين خريفاً ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٥٣﴾

(1) انظر فيض القدير (1/ 117) وتفسير ابن عبد السلام (6/ 370).

[الآية 53] أي يأكلون ملاء بطونهم من شدة جوعهم ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾ [الآية 54] لغلبة عطشهم وكثرة حرارتهم، وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على معنى الشجر، ولفظه فإنه اسم جنس يؤنّث ويذكَّر.

﴿فَشَٰرِبُونَ﴾ [الآية 55] أي منه ﴿شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾ [الآية 55] وقرأ نافع وعاصم وحمزة بضم الشين أي مثل شرب الإبل العطاش التي بها الهيام وهي داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء، ففي الشرب الأول بيان الماهية، وفي الثاني بيان الكيفية، والفاء قد تأتي بمعنى الواو، وفي البحر الفاء تقتضي التعقيب في الشربين وأنهم لما عطشوا شربوا من الحميم فازدادوا عطشاً فشربوا بعده شرباً لا يقع به ري أبداً فهما يشربان من الحميم اختلفت صفتاه فعطفت في مبناه.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ﴾ [الآية 56] رزقهم الذي يعدهم وفيه تهكم بهم لأن النزل ما يعد للنازل تكرمة له ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الآية 56] يوم الجزاء، فما ظنك بما يكون لهم بعد ذلك من أنواع العناء ﴿نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ [الآية 57] ابتداء ﴿فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ﴾ [الآية 57] بالبعث انتهاءً فإن مَن قدر على البداءة قدر على الإعادة.

وأفاد الأستاذ: أنهم يوبخون/ ويُعاتبون ويعتذرون ولا ينفعهم ولا يسمع 328/ب منهم، وأشد العقوبات لهم أنهم من آلام نفوسهم وأوجاع أعضائهم يتفرغون إلى التحسُّر على ما فاتهم من ربهم. ويقال: أشد البلاء على هذه الطائفة اليوم على قلوبهم خوفهم من أن يشغلهم غداً بمقاساة آلامهم عن التحسر على ما تكدر عليهم من المشرب في هذه الطريقة وهذه محنة لا شيء أعظم منها على أصحاب الحقيقة وإن أصحاب القلوب اليوم يبتهلون إليه ويتضرعون لديه ويقولون: إن حرمتنا مشاهدة الأنس والوصال فلا تشغلنا بلذات تمنعنا عن التحسر على ما فاتنا عنك ولا بآلام تشغلنا عن التأسف على ما عدمنا منك.

﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الآية 58] ما تصبونه من النطف في الأرحام ﴿ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ﴾ [الآية 59] تصورونه وتجعلونه بشراً سوياً فيما بين الأنام ﴿أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الآية 59] أي المقدِّرون والمصوِّرون، فعلم أن الإبداء منا فلا ينكر الإعادة علينا فهم كانوا يقرون بالنشأة الأولى فاحتج عليهم بهذا على جواز النشأة الأخرى.

وقد روي عن علي كرَّم الله وجهه أنه لما قرأ هذه الآية قال: بل أنت[1]، وكذا عندما سيأتي في معناها من الآيات الآتية.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآية أصل في إثبات الصانع فإن أصل خلقة الإنسان من قطرتين، قطرة من صلب الأب وقطرة من تربية الأم، فيجتمع القطرتان في الرحم فيصير ولداً وينقسم الماءان المختلطان إلى هذه الأجزاء التي هي أعضاء الإنسان من العظم واللحم والشحم والعصب والعرق والجلد والشعر ثم تركّبها على هذه الصورة في الأعضاء الظاهرة، ثم في الأجزاء الباطنة وتشكل كل شكل بشكل آخر وكيفية العظام إلى غير ذلك من النظام، فليس يخلو إما أن يكون الأبوان يصنعانه وذلك محال لتقاصر علمهما وقدرتهما على ما هنالك وتمنيهما الولد ثم لا يكون وكراهتهما إياه ويكون والنطفة القدرة محال أن تقدر فعلها بنفسها إلى هذه الصورة لكونها مواتاً بعد ولا علم لها ولا قدرة ولا يجوز من غير صانع بضرورة فلم يبق إلا الصانع القديم الحكيم العليم.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ [الآية 60] قسمناه عليكم ووفقنا موت كلٍّ بوقت معين لكم فمنكم من يموت طفلاً ومنكم من يموت كهلاً أو بأسباب مختلفة وعلل متفاوتة. وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال من القدر بمعنى التقدير ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الآية 60] أي مغلوبين فيسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغيّر وقت الفوت أو عاجزين/ ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ [الآية 61] على أن نأتي بخلق مثلكم 329/ أ فنخلق بدلكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 61] أي وعلى أن نخلقكم فيما لا تعلمونه من الصور كالقردة والخنازير، ويلائم هذا المعنى بالسياق من قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: الآية 70] فإنه يدل على أنه سبحانه قادر على خلقه في صورة قبيحة لظاهره وعلى نوع غير منتفع به. وقيل: فيما لا تعلمونه من خلق أو خلق.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 518) رقم (3780)، والبيهقي في السنن الكبرى (2/ 311) رقم (3510).

قال الواسطي: من أسباب الشقاوة والسعادة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الآية 62] فهلا تعتبرون أن من قدر على البداءة قدر على الإعادة فإنها أقل صنعاً في العادة، وفيه دليل على صحة القياس لأنه مبني على طرق الاعتبار والاستبصار لا سيما قياس الأولى ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] تبذرون حبه ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ [الآية 64] أي تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الآية 64] المنبتون. وقد ورد: لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم[1].

ولعل وجهه أنه أسند الزرع إلى نفسه والحرث إلى غيره إلا أنه قد يجوز في إطلاق الزرع على الحرث الذي هو من سببه.

وأفاد الأستاذ: أن ذلك يدل على نبات الصانع وجوه الحكمة في إنبات الزرع وانقسام الحبة الواحدة على الشجرة النابتة منها في قشرها ولحائها وجذعها وأغصانها وأوراقها وأثمارها وأزهارها.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ [الآية 65] هشيماً تذروه الرياح ولا ينتفع به الأشباح من أصحاب الأرواح ﴿فَظَلْتُمْ﴾ [الآية 65] فصرتم ودمتم ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ [الآية 65] تعجبون عن فوت مرادكم أو تندمون على اجتهادكم. فعن الكسائي: التفكه من الأضداد يستعمل في التنعم والتحزُّن ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الآية 66]، وقرأ أبو بكر: أإنا لمغرمون، لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الآية 67] قوم حرمنا رزقنا ومنعنا رفدنا، وقيل: محدودون لا مجدودون أي ممنوعون لا محظوظون.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الآية 68] أي العذب الصالح للشراب ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ [الآية 69] أي السحاب ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الآية 69] بقدرتنا على خلق الأسباب ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ [الآية 70] شديد الملوحة ﴿فَلَوْلَا

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 409) رقم (1290)، وانظر تفسير القرطبي (17/ 218)، والكشاف (6/ 484).

تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 70] أمثال هذه النعم الضرورية الحسية.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الآية 71] تقدحون وتوقدون ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الآية 72] يعني الشجرة التي منها الزناد، فللعرب شجرتان المرخ والعفار يحك أحد غصنيها بالآخر فتتناثر منهما النار، وقيل: كل شجرة فيها نار إلا العنَّاب ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ [الآية 73] أي نار الزناد ﴿تَذْكِرَةً﴾ [الآية 73] تبصرة في أمر البعث والمعاد كما مر في سورة يٰس، أو تذكيراً / وأنموذجاً لنار جهنم ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الآية 73] منفعة للذين ينزلون القِوَاء وهي المفازة من الصحراء وخص بهم لأن انتفاعهم بالزند أو بمطلق النار أكثر من انتفاع غيرهم ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الآية 74] أي فجدِّد تسبيح ذاته وتقديس صفاته باستعانة ذكر اسمه العظيم أو اسم ذاته الكريم تعجُّباً وشكراً أو تنزيهاً عما يقولون إلحاداً وكفراً.

329/ ب

قال الواسطي: فسبِّحه باسمه فإن اسم الشيء هو الشيء بعينه.

وقال ابن عطاء: إن الله تعالى أعظم من أن يلحقه تسبيحات غيره أو يحتاج إلى شيء من أمره ولكنه شرَّف عبيده بأن أمرهم أن يسبِّحوه ليطهروا أنفسهم من أجل ما ينزهونه به.

وقال الأستاذ: أي اسْبَح بفكرك بِبحار عقلك وغص بقوة التوحيد تظفر بجواهر العلم في بحر التفريد وإياك أن تقصّر في الغوص عن أهبة الغوص فتغرق في بحار الشبه ويتلف رأس مالك وتخرج من دينك واعتقادك بشبه تداخلك، وهذه الآيات التي ذكرها الله سبحانه تمهيد لسلوك طريق الاستدلال أي لمن يكون في مقام الكمال. قال: وكما في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سنة، المراد بها هذه الفكرة التي نبَّه الله عليها.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ [الآية 75] إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم أو التقدير: فليس الأمر كما قال أهل الذكر ﴿أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الآية 75] بمساقطها ومغاربها وخص بها لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره أو بمنازلها في الدنيا أو انتشارها في العقبى أو المراد نجوم

القرآن، ومواقعها أوقات نزولها وهو الملائم لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الآية 76] أي وإن هذا الذي أقسمت به قسم عظيم لو تعلمون حق عظمته لما في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة. ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى بأن ينزل عليهم كتاب فيه هدى ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الآية 77] كثير المنفعة غزير البركة لاشتماله على أصول العلوم المهمة في إصلاح معاش العباد وبيان زاد المعاد ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الآية 78] محفوظ من الشياطين وهو اللوح أو في مكتوب مكنون محفوظ من الزيادة والنقصان ومثبت في قلوب أهل اليقين والعرفان وهو المصحف المصون ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الآية 79] أي لا يطلع على اللوح إلا المنزهون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة المقربون، أو لا يمس القرآن إلا المطهرون من الحدث الأكبر أو الأصغر أيضاً إن أُريد به المصحف / 330/ أ فهو نفي معناه نهي، أو لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر.

وقال بعضهم: لا ينال بركته إلا من طهّره يوم قسمته عن الشقاوة وخلوّ يوم خلقه مطهراً من المخالفة..

قال ابن عطاء في قوله ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الآية 75]: هو ما أظهر على سر النبي ﷺ من أنوار الحق وزوائد التحقيق مما خصه من الدنو والقربة التي لم يؤمر بإظهارها والإخبار عن أسرارها. وفي قوله ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الآية 77] يدل على مكارم الأخلاق والأحوال ومعالي الأمور وشرائف الأعمال وكريم لنزوله من عند كريم بواسطة كريم إلى أكرم الخلق إلى أكرم الأمم.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الآية 80] أي هو منزل من عنده لتبليغ عبده إلى قومه، ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [الآية 81] يعني القرآن الذي حدث زمان إنزاله وتجدد عهده في ظهور كماله.

﴿أَنتُم﴾ [الآية 81] أيها المشركون ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ [الآية 81] متهاونون به ومداهنون في قبوله ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [الآية 82] أي نشكر رزق ربكم الذي هو الماء النازل من السماء ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الآية 82] بمانح العطاء حيث تنسبونه إلى

الأنواء، وهذا المعنى مسند إلى النبي كما نقله الإمام أحمد والترمذي[1].

وقال الحسن ومجاهد: أي تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن تكذيبكم ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ [الآية 83] أي النفس ﴿ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ﴾ [الآيتان 83،84] يا آله ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ [الآية 84] حاله ومآله، والجملة حالية وكذا قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ [الآية 85] أعلم بحال المحتضر منكم أيها الحاضرون، عبر عن العلم بالقرب الذي هو أقوى سبب الاطلاع لديه ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 85] لا تدركون كنه ما يجري عليه أو لا تعرفون قدرنا ولا تبصرون قربنا.

وقال الأستاذ: نحن أقرب إليه منكم بالعلم والرؤية والقدرة ويقال قرب العبد من الحق يكون باستيلاء ذكره وشهوده عليه فينتفي إحساس العبد برؤية غيره على حسب انتفاء العلم والإحساس من الأغيار حتى من نفسه، فالعبد يتحقق الحق في سرّه وهذا إنما يكون في أوان صحوه ولم يؤخذ بعد عن نفسه فإذا أخذ عنه ودخل في مقام محوه فلا يكون إلا الحق فلا قرب هنالك ولا بعد عند ذلك.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦﴾ [الآية 86] محاسبين مجزيين أو مملوكين مقهورين ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ [الآية 87] تردون النفس إلى مقرها بعدما بلغت الحلقوم من قهرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية تكرير للتأكيد في المعنى وهو بما في خبره دليل جواب الشرط وهو قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 87] والمعنى هلا ترجعونها إذا بلغت مقرها إن كنتم غير مدينين صادقين في أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء من ثواب وعقاب.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ [الآية 88] المحتضر أو المتوفى ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الآية 88] أي السابقين ﴿فَرَوْحٌ﴾ [الآية 89] فله استراحة فقد / ورد الموت بحق المؤمن ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ [الآية 89] ورزق طيب ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الآية 89] ذات نعمة. 330/ ب

(1) انظر ما أخرجه أبو يعلى في المسند (7/ 17) رقم (3911)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 291) رقم (5143).

وعن محمد بن كعب أنه لا يفارق من الدنيا أحد من المقربين حتى يؤتى بعض من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه. وفي حديث تميم الداري على ما نقله الترمذي وغيره: ينطلق إلى وليّ الله ملك الموت مع خمسمائة من الملائكة معهم ضبائر الريحان أصل الريحان واحد وفي رأسها عشرون لوناً لكل لون ريح سوى ريح صاحبه(1).

ذكره السيد الصفوي. وقال: الضبائر الجماعات واحدتها ضبارة كعمارة وعمائر وقرئ، فروح بضم الراء وقد نسبت إليه ﷺ والمعنى لهم فيها حياة دائمة ورحمة كاملة.

وفي «تفسير السلمي»: الروح لقلوبهم والريحان لنفوسهم والجنة لأبدانهم. وقيل: روح في الدنيا وريحان في القبر وجنة نعيم في الآخرة.

وقال ابن عطاء: الروح النظر إلى وجهه الكريم، والريحان الاستماع لكلامه القديم. وجنة نعيم هو أن لا يحجب العبد عن مولاه إذا قصد زيارته في مقامه العظيم وللمقربين ذلك في الدنيا أيضاً روحهم المشاهدة وريحانهم سرور الخدمة وجنة نعيم الحضور في مقام القربة.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١﴾ [الآيتان 90،91] فيقال لك يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين من إخوانك المؤمنين، أي يسلِّمون عليك في كل زمان وحين. وقال بعضهم: أخبر الله نبيه أن أصحاب اليمين سلموا من درك الشقاء وسوء القضاء وأنهم نالوا الكرامة لحفظهم الأمانة.

وقال الأستاذ: أي نحن نخبرك بسلامة أحوالهم ويقال أمان لك في بابهم فلا تشغل قلبك بهم.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية 92] لله نبيه ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الآية 92] في أمر دينه، والمراد بهم أصحاب الشمال وعدل عنه بما وصفهم من الأعمال زجراً

(1) أخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد (2/ 133) رقم (1/ 1852)، وابن حجر في المطالب العالية (13/ 71) رقم (4682).

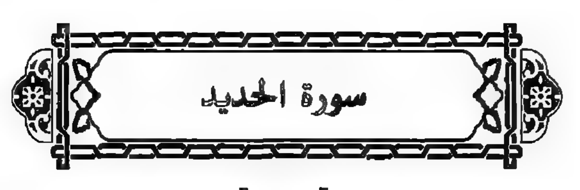
لغيرهم عن تلك الأحوال وإشعاراً بما أوجب لهم ما أوعدهم به من المآل ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الآيتان 93،94] أي إدخال فيها وعدم خروج منها ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ [الآية 95] الذي ذكر في السورة أو في شأن الفرق المصورة ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الآية 95] حق الخبر اليقين أو حق هو اليقين. وقيل هو من إضافة المترادفين للمبالغة، وقيل من إضافة الصفة إلى الموصوف في مذهب الكوفية.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الآية 96] فنزِّهه بذكر اسمه سبحانه عما لا يليق بعظمة شأنه. وفي البحر ظهر أن الباء للتعدية وقد ورد لما نزلت قال عليه السلام: «اجعلوها في ركوعكم»[1]. ولما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى: الآية 1] قال: «اجعلوها في سجودكم»[2].

وقال ابن عطاء: أمر الله عباده بتسبيحه وقد سبَّح نفسه في الأزل فغيب فيه تسبيحه عن عباده فسبَّحه الخلق على عادتهم/ إلى أن يتحقق تسبيحهم تسبيحه فيتحقق له التسبيح يعني أزلاً وأبداً على بيان ولسان الخلق. 331/ أ

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 347) رقم (817)، والطبراني في المعجم الكبير (17/ 322) رقم (890)، وابن ماجه في السنن (1/ 287) رقم (887)، والدارمي في السنن (1/ 341) رقم (1305)، وأبو يعلى في المسند (3/ 279) رقم (1738).

(2) انظر تخريج الحديث السابق.



سورة الحديد

[مدنيَّة]

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: سماع هذا الخطاب شراب يسقي به الحق سبحانه قلوب الأحباب فإذا شربوا طربوا وإذا طربوا انبسطوا ثم لشهود حقه تعرضوا وبنسيم قربه استأنسوا وعن الإحساس به غابوا، فعقولهم تستغرق في لطفه وقلوبهم تستهلك في كشفه.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 1] ذكر التسبيح بلفظ الماضي في بعض المواضع وفي بعضها بلفظ المضارع إشعاراً بأن من شأن ما أسند إليه أن يسبحه في جميع أوقاته لديه، وعدي باللام مع أنه معدى بنفسه إيماء بإيقاع الفعل لأجل الله وخالصاً لوجهه.

وأفاد الأستاذ: أن التسبيح هو التقديس والتنزيه ويكون بمعنى سباحة الأسرار في بحار الأنوار فيظفرون بجواهر التوحيد وينظمونها في عقود المعرفة ويرصعونها في أطواق الوصلة، وما يحتمل أن يكون بمعنى من فمن في السماوات والأرض يسبِّحون له طوعاً وعبادة وكرهاً تسبيح علامة ودلالة، ويحتمل أن يكون على ظاهره فما من مخلوق من عين أو أثر إلا وهو يدل على الصانع وإثبات جلاله واستحقاقه لنعوت كبريائه، فهو العزيز المنيع الحكيم البديع في الصنيع.

قال القاسم: وهو الذي لا يدركه العبارة لتمام عزته ولا يلحقه الإشارة لكمال حكمته.

وقال الأستاذ: العزيز المعز لمن طلبه بل العزيز المقدس عن وجود الوصول به إذ ما وصل إلا إلى حظه ونصيبه وصفته التي تليق به. ويقال: ما تقلّب أحد من الساجد والجاحد إلا في قبضة العزيز الواحد وما صرفهم إلا من خلقهم. ويقال: كلّفهم ثم على ما شاء صرّفهم فمن مطيع إليه ألبسه نطاق وفاقه وذلك فضله، ومن عاصٍ ربط بقلبه الخذلان وذلك عدله.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 2] فإنه الموجد لها والمتصرف فيها وفي [أهلها] ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية 2] حسيّاً ومعنوياً ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية 2] ومنها الإحياء والإماتة ﴿قَدِيرٌ﴾ [الآية 2] تام القدرة..

قال ابن عطاء: هو مالك الكل وله الملك أجمع يُحيي من يشاء بالإقبال على المُلك ويُميت من يشاء بالاشتغال بالملك.

وأفاد الأستاذ: أن الملك مبالغة في الملك والملك القدرة على الإبداع ولا مالك إلا الله، أي بهذا المعنى بالإجماع وإذا قيل لغيره مالك فعلى المجاز والاتساع يحيي النفوس ويميتها ويحيي القلوب بإقباله عليها / ويميت بإعراضه عنها. 331/ب

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ [الآية 3] أي القديم بلا ابتداء ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ [الآية 3] الباقي بلا انتهاء ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ [الآية 3] باعتبار صفاته ووجود مصنوعاته ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الآية 3] حقيقة ذاته والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين المتقابلين والمتوسطة للجمع بين المجموعين المتكاملين، وقدَّم الأول لسبق وجوده وقدَّم الظاهر لحق شهوده، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 3] يستوي عنده الجلي والخفي.

وقال محمد بن الفضل: أول ببرِّه وآخر بعفوه وظاهر بإحسانه وباطن بستره وغفرانه.

وقال الواسطي: من كان حظه من اسمه الأول كان شغله لما سبقه، ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطاً بما يستقبله، ومن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته، ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في سرائره من موائد موارده.

وقال الصادق: هو الذي أول الأول وآخر الآخر وأظهر الظاهر وأبطن الباطن فسقط هذه المعاني وبقي.

وقال ابن عطاء: من كان شغله الأول كان شغله لما سبق في سبق الأزل من مشيئته وقضائه ومنعه وعطائه، ومَن كان شغله الباطن دهش وذهل وخرس لسانه فلا له عبارة يعبر عنه ولا له إشارة يشير إليه، كوشف له على قدر طاقته وذهل عنها في ساعته إلا مَن تولاه ببرّه وقام عنه بنفسه.

وأفاد الأستاذ أنه الأول لاستحقاق صفة القدم والآخر لاستحالة نعت العدم، والظاهر بالعلو والرفعة، والباطن بالعلم والحكمة. ويقال: الأول فلا افتتاح لوجوده والآخر فلا انقطاع لثبوته وشهوده، والظاهر فلا خفاء في جلال عزّه الباطن فلا سبيل إلى إدراك حقه.

ويقال: الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا خفاء والباطن بنعت العلاء وعزة الكبرياء.

ويقال: الأول بالعناية والآخر بالهداية والظاهر بالرعاية والباطن بالولاية.

ويقال: الأول بالخلق والباطن بالرزق والظاهر بالإحياء والباطن بالإماتة والإفناء. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الرُّوم: الآية 40].

ويقال: الأول لا بزمان والآخر لا بأوان، الظاهر بلا اقتراب الباطن بلا احتجاب.

ويقال: الأول بالوصلة والآخر بالخلة والظاهر بالأدلة والباطن بالبعد عن مشابهة الجملة.

ويقال: الأول بالتعريف والآخر بالتكليف والظاهر بالتشريف والباطن بالتخفيف.

ويقال: الأول بالإعلام والآخر بالإلزام، والظاهر بالإنعام، والباطن بالإكرام.

332/ أ ويقال: الأول بأن اصطفاك والآخر بأن هداك والظاهر/ بأن رعاك والباطن بأن كفاك.

ويقال: من كان الغالب على قلبه اسمه الأول كانت فكرته في حديث سابقته بماذا سماه مولاه وما الذي جرى له في سابق حكمه أأسعده أم أشقاه، ومَن كان الغالب على قلبه اسمه الآخر كانت فكرته في أنه بماذا يختم له حاله وإلى ماذا يصير مآله أعلى التوحيد يخرج من دنياه أم ـ والعياذ بالله ـ في دار أخرى غداً مثواه. ومَن كان الغالب على قلبه اسمه الظاهر فاشتغاله بشكر ما يجري في الحال من توفيق الإيمان وتحقيق الإحسان وجميل الكفاية وحسن الرعاية. ومن كان الغالب على قلبه اسمه الباطن كانت فكرته في استبهام أمن عليه وتغيّره لديه ولا يدري أفضل ما يعامله به أم مكر ما يستدرجه فيه ربه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 4] سبق عليه الكلام، ولعل ذكره هنا تمهيد لمقام المرام ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 4] كالبذور والكنوز والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [الآية 4] كالعيون والمعادن وأنواع النبات، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 4] كالأمطار والملائكة والأقضية ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الآية 4] كالأرواح الطيبة والأعمال الصالحة والدعوات المقبولة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الآية 4] بنصرته وعلمه وقدرته ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الآية 4] في مملكته ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 4] فيجازيكم على أعمالكم وفق أحوالكم.

قال سهل: يعلم ما يدخل عليه من الفساد والصلاح وما يخرج منها من فنون الطاعة وصنوف الفلاح فيتبين آثارها وتظهر أنوارها الممكنة في الأرواح على صحائف الجوارح والأشباح.

وقال الحسين: ما فارق الحق الأكوان ولا قاربها، كيف يفارقها وهو موجدها وحافظها وكيف يقارب الحدث وبه قوام الكل وهو بائن عن الكل

ألا تراه يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الآية 4].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعلم ما يلج إذا دفن العبد ما الذي كان في قلب الموحد من إخلاصه وتوحيده وحسرته وحزنه وفي قلب الجاحد من مثله وشركه ووصف مذمومه، وما ينزل من السماء على قلوب أوليائه من الألطاف والكشوفات وفنون الأحوال الصافيات وما يعرج فيها من أنفاس الأولياء إذا تصاعدت وحسراتهم إذا غلت.

﴿لَّهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 5] ذكره مع الإعادة كما ذكره مع البداءة لأنه لهما بمنزلة المقدمة ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الآية 5] ترد أو تصير فنِعم المولى ونعم النصير ونعم المسير ونعم المصير ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 6] باختلاف الزمان وتفاوت الزيادة والنقصان ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 6] بمكنوناتها من الأمور.

قال سهل: [الليل] نفس/ الطبع والنهار نفس الروح فإذا أراد الله بعبد 332/ ب خيراً ألّف بين طبعه وروحه على إقامة الذكر وإدامة الفكر فأظهر بذلك عليه آثار الخشوع وأنوار الخضوع.

وقال أيضاً: الله الأعظم مكنى عنه في ست آيات من أول سورة الحديد. وقال أيضاً: ليس في الأسماء من المعنى إلا المعرفة بالمسمى.

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟﴾ [الآية 7] أي صدقوا بهما وتصدقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الأموال التي جعلكم الله خلفاء بالتمكن منها والتصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم بل هي رعاية عندكم وفيه حث على الإنفاق وتهوين للنفس على مكارم الأخلاق.

قال أبو عثمان: الأموال عواري في أيدي أربابها فمن أدركه التوفيق أنفق من تلك العواري طلباً لراحة يوم المعاد، ومَن لم يوفّق جمع إلى العارية عارية وأفنى أيامه حتى يسلمها بأجمعها إلى مَن يخلفه فيها بعده من العباد.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية 7] ثواب كثير، وزاد الأستاذ

فيما أفاد: لأن ما تحويه الأيدي من المال في معرض الزوال فالسعيد من صرفه فيما لديه في الآخرة عمارة حاله دون ما يضره وبال مآله.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [الآية 8] أي وما تصنعون غير مؤمنين به ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ [الآية 8] إلى قربه لتؤمنوا بربكم وتفوزوا بحظكم، والمعنى أي عذر لكم في ترك الإيمان، والحال أن الرسول يدعوكم إلى مقام الإحسان ﴿وَقَدْ أَخَذَ﴾ [الآية 8] أي ربكم ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ [الآية 8] بالإيمان في عالم الذر قبل ذلكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية 8] أي ثابتين على إيمانكم. وقرأ أبو عمرو: أخذ بالبناء للمفعول ورفع ميثاقكم.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الآية 9] أفضل الكائنات ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم﴾ [الآية 9] أي الله أو رسوله أو كتابه المعبر عنه بالآيات ﴿مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الآية 9] من ظلمات الجهل والكفر والكفران إلى نور العلم والإيمان والإحسان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 9] حيث نبهكم بالرسول والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقليات ولم يكتف بما علم في الأزل من أحوال الكائنات.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا﴾ [الآية 10] أو أي شيء يمنعكم من أن لا تصرفوا أموالكم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 10] في طريق رضاه ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 10] يرث كل شيء فيهما مما يفنى فإنفاقه بحيث يستخلف عوضاً يبقى وهو الثواب في دار العقبى كان أولى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ [الآية 10] مكة أو الحديبية ﴿وَقَاتَلَ﴾ [الآية 10] أي من قبل فصار من السابقين الأولين والمقربين الأفضلين ومن أنفق وقاتل من بعد الفتح فصار من أبرار المؤمنين ﴿أُولَٰئِكَ﴾ [الآية 10] أي الأولون ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ [الآية 10] أي/ مرتبة في الجنة ومنزلة في المقام القربة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا من بعد الفتح إذ عزّ به الإسلام وكثر أهل الوفاق وقلّت الحاجة إلى المقاتلة والإنفاق وسهل أمرهما بعدما كان من أشق المشاق ولذا قيل: السباق قولاً وفعلاً حذّر النفس حسرة المسبوق ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 10] أي وعد الله كلاً من الفريقين

333/ أ

المثوبة الحسنى وهي الجنة المأوى والمنزلة الأسنى. وقرأ ابن عامر: وكل بالرفع على الابتداء أي وكل وعده الله الحسنى من الجزاء ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 10] أي بظواهره وسرائره فيجازيكم على حسب مقداره. والآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه فإنه مَن أنفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضُرِبَ ضرباً أشرف به على الهلاك.

قال جعفر الصادق: الإرادات القوية السليمة للمهاجرين وأهل الصفة وإمامهم وسيدهم أبو بكر الصديق الأكبر وهم الذين لم يرثوا الدنيا على الأخرى بل بذلوها ولم يعرجوا عليها ولم يلتفتوا إليها واعتمدوا في ذلك على الله وطلبوا رضاه وموافقة نبي الرحمة فخصهم الله من بين الأمة بقوله: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ [الآية 10].

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الآية 11] من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله وطريق رضاه رجاء أن يعوضه في دنياه أو عقباه فإنه كمن يقرضه ويأخذ عوضه وحسن الإنفاق بالإخلاص في الحال وتحري أكرم المال، ومن وجه الحلال وعدم المن والأذى في المآل ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [الآية 11] أي فيعطيه أجره أضعافاً كثيرة كما في آية أخرى ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 11] ثواب عظيم في الجنة. وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى المرام فكأنه قال: أيقرض الله أحد فيضاعفه. وقرأ ابن كثير يضعفه مرفوعاً، وابن عامر: يضعفه منصوباً.

قال سهيل: أعطى الله العباد فضلاً ثم سألهم قرضاً.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الآية 12] ظرف مقدر باذكر ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ [الآية 12] بما يوجب تجارتهم من المحنة وهدايتهم إلى الجنة ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 12] قدّام السابقين ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الآية 12] وهم أصحاب اليمين ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ [الآية 12] أي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة والله سبحانه من غير الواسطة: بشراكم أيها الجماعة والمبشر به جنات، أو بشراكم دخول جنات وحصول درجات أو بشراكم من الله ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 12]

تحت قصورها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 12] مقدرين دخولها ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الآية 12] من أثر فضل الكريم.

قال سهل: نور المؤمن يسير بين يديه هيبة له في قلوب الموافق والمخالف، فالموافق / يعظِّمه ويعظِّم شأنه والمخالف يهابه ويخافه، وهو النور الذي جعله الله في أوليائه لا يظهر ذلك النور لأحد إلا انقاد له لكمال ضيائه وذلك من نور الإيمان وظهور الإحسان. 333/ب

وأفاد الأستاذ: إنه نور يعطى كل أحد من المؤمنين بقدر أعمالهم الصالحة، وكما أن لهم هذا النور في العرصة كذلك اليوم لهم في قلوبهم نور يمشون في ضيائه ويهتدون بصفائه، فقد ورد: المؤمن ينظر بنور الله. وقد قال تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزُّمَر: الآية 22] وربما يبسط ذلك النور على مَن يقرب منهم.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾ [الآية 13] حين ينطفىء نورهم ويصعب عليهم أمورهم وربما يقع من ذلك على قلوبهم فهو لا محالة لأوليائه الذين آمنوا وهم في مقام ظهورهم [وحال سرورهم وخصومهم] ﴿انظُرُونَا﴾ [الآية 13] انتظرونا فإنه يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف، أو انظروا إلينا فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين أيديهم. وقرأ حمزة: ﴿أَنظِرُونَا﴾ [الآية 13] من الإنظار على أن انتظارهم ليلحقوا بهم إمهال لهم ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الآية 13] نُصِبْ منه وراء ظهوركم ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ [الآية 13] إلى الدنيا فالتمسوا نوراً للعقبى بتحصيل المعارف الإلهية والأخلاق الإنسانية فإنه متولِّد منهما ومنتج عنهما أو هو تهكُّم بهم وتخييب لهم من المؤمنين والملائكة.

قال الأستاذ: ارجعوا إلى حكم الأزل واطلبوا هذا من قسمة اليوم الأول، وهذا على جهة صرف المثل لاستبعاد حصول ذلك الأمل.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ [الآية 13] بين الفريقين من المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٍ﴾ [الآية 13] بحائط كمال ظهور.

قال الأستاذ: هو جبل أصحاب الأعراف له باب يدخل منه المؤمنون

﴿بَاطِنُهُۥ﴾ [الآية 13] في باطن السور أو الباب ﴿فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ [الآية 13] لأنه يلي الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ﴾ [الآية 13] من جهته ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾ [الآية 13] لأنه يلي نار العقوبة.

﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ [الآية 14] في ظاهر الوفاق ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الآية 14] أوقعتموها في الفتنة الموجبة للعقوبة بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾ [الآية 14] انتظرتم بالمؤمنين دائرة السوء ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ [الآية 14] شككتم في الأمر ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ [الآية 14] كامتداد العمر ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 14] وهو الموت أو ظهور العقبى ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الآية 14] الشيطان أو الدنيا.

قال سهيل: ﴿فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ [الآية 13] أي بعقولكم التي كنتم تدبرون بها أموركم في الدنيا فيرجعون إلى ورائهم فيضرب الله بين أنفسهم وعقولهم سرّ الحيرة فلا يصلون إلى مقام المعرفة.

وقال حاتم: لا تصح الموافقة إلا بالأسرار المقتضية لظهور الأنوار قال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الآية 14] بمخالفة السرائر للظواهر.

وأفاد الأستاذ: أن مخالفة الضمائر والسرائر لا تنكتم بموافقة الظواهر والأسرار لا تنكتم عند الاختيار/. 334/ أ

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ﴾ [الآية 15] أيها المنافقون ﴿فِدۡيَةٞ﴾ [الآية 15] فداء. وقرأ ابن عامر بالتأنيث ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [الآية 15] ظاهراً وباطناً ﴿مَأۡوَىٰكُمُ﴾ [الآية 15] مثواكم جميعكم ﴿ٱلنَّارُۖ﴾ [الآية 15] على اختلاف مقامكم ﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ [الآية 15] أولى بكم. وقرأ بها إليكم، ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 15] مصيركم بسوء مسيركم.

﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الآية 16] ألم يأت بهم وقت خشوعها وزمان خضوعها ﴿لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 16] عموماً ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 16] أي القرآن خصوصاً. وقرأ نافع وحفص بتخفيف الزاي.

روي أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه من المجاهدة في الطاعة.

﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 16] عطف على تخشع. والمراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ [الآية 16] أي الزمان بطول أعمارهم أو آمالهم أو ما بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الآية 16] والقسوة تنشأ من الغفلة كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: الآية 22].

وقال سهل: حصول القسوة باتباع الشهوة. وقال أبو بكر: القسوة تتولد من قلة المراقبة. واختيار الأستاذ أن القسوة إنما تحصل من اتباع الشهوة والصفوة لا تجتمعان إذا حصلت الشهوة رحلت الصفوة. ويقال: موجب القسوة انحراف القلب عن مراقبة الرب، ويقال: موجب القسوة أوله الخطرة فإن لم تدارك صارت فكرة، فإن لم تدارك جرت المخالفة فتصير قسوة وبعد ذلك طبع درين وسوء خاتمة، نسأل الله العافية.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾ [الآية 17] تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة أو لإحياء الأموات ترغيباً في الخشوع وزجراً عن القساوة.

وقال الأستاذ: يحيي الأرض بعد موتها بإنزال المطر عليها وإخراج النبات منها ويحيي القلوب الميتة بحسن إقباله عليها بعد إعراضه عنها ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 17] كي تكمل عقولكم بالتأمل فيها.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ [الآية 18] وقد قرىء به، وقرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد أي المصدقين بالله ورسوله والمقرّين بهما ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الآية 18] عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لأن معنى الكلام: إن الذين تصدقوا أو صدقوا وأقرضوا بإنفاق المال واكتساب سائر الأعمال ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 18] أي نعيم مقيم.

334/ب ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾ [الآية 19] وأطاعوا / كلاً منهما في أمره ونهيه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ﴾ [الآية 19] المبالغون في الصدق فإنهم صدقوا جميع أخبار

الله ورسله ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية 19] القائمون بالشهادة على الأمم يوم القيامة ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ [الآية 19] في الجنة ﴿وَنُورُهُمۡۖ﴾ [الآية 19] في القيامة، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 19] بذاتنا وصفاتنا ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الآية 19] النازلة من عندنا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الآية 19] ملازموها لا ينفكون عنها، فيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار لأن الصحبة تدل عرفاً على الملازمة.

وأفاد الأستاذ: أن الصديق من استوى ظاهره وباطنه في مقام التحقيق. ويقال: هو الذي يحمل الأمر على الأشق من الطاعات ولا ينزل إلى المرخصات ولا يجنح إلى التأويلات والشهداء الذين يشهدون بقلوبهم مواطن الوصلة ويعتكفون بأسرارهم في أوطان القربة ونورهم ما كحل الحق بصائرهم من أنوار التوحيد وضمائرهم من أسرار التفريد.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ [الآية 20] لما بيَّن عَظَمَة الأحوال الأخروية حقّر الأمور الدنيوية وحجبها الحسيّة المانعة من وصول المقامات الرضية وحصول الدرجات العلية وذكر أنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جداً إتعاب الصبيان في الملاعب من غير عائدة ولهوٌ يلهون به أنفسهم عما يهمهم من خدمة مولاهم وينفعهم في أخراهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالإنساب والأحساب وتكاثر بالعدد والعُدد، أو المراد بهذه الأحوال مراتب الإنسان من صغره إلى كبره في الانتقال فإنه أولاً في مقام اللعب، ثم في اللهو بلذة الشهوة، ثم في خيلاء الزينة، ثم في المفاخرة بكمال نسبه وجمال حسبه، ثم الحرص على جمع الأموال وكثرة الأولاد والأحفاد فإنهما وسيلة الجاه بين العباد في البلاد وكلها أمور خيالية وأحوال وهمية قليلة الغناء كثيرة العناء سريعة الفناء.

﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الآية 20] مخضراً ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ [الآية 20] أي ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾ [الآية 20] يصير منكسراً، ثم عظّم أمور الآخرة مكرراً بقوله: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ [الآية 20] للكفار ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ﴾ [الآية 20] للأبرار كأن ذلك تنفيراً عن الانهماك في الدنيا وتحريضاً على

ما يوجب الكرامة في العقبى، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الآية 20] لمن أقبل عليها ولم يطلب الآخرة بما لديها.

335/أ وأفاد الأستاذ: أن الدنيا حقيرة وأحقر منها / قدراً طالبها وأقل منه خطر المزاحم فيها وأخسّهم من يخل بها، فما هي إلا جيفة وطالب الجيفة ليس له قيمة، وهذه الدار المذمومة هي ما يشغل العبد عن الآخرة وكل ما يشغل العبد عن المولى فهو الدنيا.

﴿سَابِقُوٓاْ﴾ [الآية 21] سارعوا وبادروا ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية 21] إلى موجباتها من التوبة وغيرها ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 21] فما ظنك بطولها. والمراد به البسط والسعة كقوله تعالى: فذو دعاء عريض ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية 21] وسائر الأنبياء، ذلك الموعود ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 21] من عباده من غير إيجاب عليه في مراده ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية 21].

وقال الأستاذ: لما سمعت أذان الموحدين بهذا الخطاب المستطاب ابتدرت الأرواح مقتضية هذه المسابقة في جوارح الأشباح وصارت مستجيبة لمطالبتها مستبشرة لمطالعتها حيث وجدوا هذا الاستدعاء من الحق سبحانه.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 22] كجدب وعاهة ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية 22] كمرض وآفة ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الآية 22] مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله المحيط بها وبغيرها ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الآية 22] نخلقها، والضمير للمصيبة أو الأرض أو الأنفس أن ذلك تثبيته في كتاب القدرة على الله يسير هيِّن لاستغنائه فيه عن العُدّة والمدة.

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ﴾ [الآية 23] إلى كتب أو أثبت لئلا تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الآية 23] من نعم الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الآية 23] أي أعطاكم الله منها فإن مَن علم أن الكل بالقضاء والقدر هان عليه الأمر. وقرأ أبو عمرو: بما أتاكم من الإتيان ليعادل ما فاتكم، وعلى الأول فيه إشعار بأن فواتها يلحقها إذا خلّيت وطباعها، وأما حصولها وبقاؤها فلا بد لها من سبب يوجد لها.

أو المراد به نفي الأسى المانع عن التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للاختيال والافتخار ولذا عقبه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الآية 23] إذ قلّ مَن يثبت في حاليّ الضراء والسراء.

قال جنيد: مَن عرف الله بالربوبية وافتقر إليه في إقامة العبودية وشهد بسره ما كشف الله له من آثار القدرة بقوله ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 22] فسمع هذا من ربه فعقله وقع في الروح والراحة وهان عليه ما يصيبه من المحنة.

وقال الواسطي: الفرح بالكرامات من الاغترارات والجهالات والتلذذ بالأفضال نوع من الإغفال والخمود تحت جريان الأمور زين لكل مأمور، قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الآية 23] الآية.

وأفاد الأستاذ: أن المصيبة خصلة تقع وتحصل فنقول سبحانه لم يحصل / في الأرض ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الآية 22] شيء إلا هو مثبت في 335/ ب اللوح المحفوظ على الوجه الذي سبق به العلم وحق فيه الحكم قبل أن يخلق فكل ما حصل في الأرض من خصب أو جدب أو ضيق أو سعة أو فتنة أو استقامة وما حصل في النفوس من حزن أو سرور أو موت أو حياة كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل وقوعه بزمان طويل. وفي قوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الآية 22] دليل على أن أكساب العباد مخلوقة لله تعالى وللعبد من العلم بأن ما يصيب من بسط وراحة وشيء من واردات القلوب من الله أشد سروراً وأتم أنساً حيث علم أنه أفرده بذلك بظهر غيب منه بل وهو في كتم العدم ولهذا قالوا:

سقياً لمعهدك الذي لو لم يكن   مما كان قلبي للصبابة معهدا

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ﴾ [الآية 23] الآية هذه صفة المتحررين عن رق النفوس وقيمة الرجال إنما تبين بتغيرهم فمن لم يتغير بما يرد عليه مما لا يريده من جفاء أو مكروه أو محنة فهو كامل في المعرفة، ومن لم يتغير بالمسار كما لا يتغير بالمضار ولا يسرّه الوجود كما لا يحزنه العدم فهو سيد وقته. ويقال: إذا أردت أن تعرف الرجل فاطلبه عند الموارد. فالتغير من علامات بقاء النفس بأي وجه كان

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الآية 23] لأنّ الاختيال من بقاء النفس ورؤيتها والفخر من رؤية خطر ما به يفتخر وينبغي تنزُّه النفس عن خطرتها.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [الآية 24] بدل من كل مختال فإن المختال يضره غالباً بالمال ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ [الآية 24] يعرض عن مقام الكمال بإنفاق المال وتصحيح الحال ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ [الآية 24] عنه وعن إنفاقاته ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [الآية 24] المحمود في ذاته وصفاته لا يضره الإعراض عن شكره ولا ينتفع بالتقرب إليه شيء من نعمه. وقرأ نافع وابن عامر بحذف ضمير الفصل.

وفي «تفسير السلمي» قيل: البخيل أن يرى لنفسه ملكاً.

وأفاد الأستاذ: أن البخل على لسان أهل العلم منع الواجب فأما على بيان هذه الطائفة فقد قالوا: البخل رؤية قدر الأشياء، وقالوا: البخيل الذي لا يعطي إلا عند السؤال. وقيل: من كتب على خاتمه اسمه فهو بخيل.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ [الآية 25] أي الملائكة إلى الأنبياء أو الأنبياء إلى الأمم ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 25] بالآيات أو المعجزات ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ﴾ [الآية 25] مع بعضهم ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 25] لتبيين الحق وتمييز الصواب أو في جملتهم الكتب المنزلة ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الآية 25] ليقام به العدل ويظهر الإحسان ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية 25] بالعدل والفضل وإنزاله إنزال أسبابه والأمر بإعداده ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [الآية 25] بأسباب سماوية في إيجاده.

336/أ وقال الأستاذ: أنزلنا/ الحكم بالميزان وخلقنا ﴿ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 25] فإن آلات الحروب متخذة منه ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 25] إذ ما من صنعة إلا ومن الحديد له آلة ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 25] أي أنزله ليعلم ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ [الآية 25] إلى سبله ﴿وَرُسُلَهُۥ﴾ [الآية 25] باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفرة ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 25] حال من المستكن أو البارز في نصره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ [الآية 25] قادر على إهلاك من أراد هلاكه من غير سبب وإنه ﴿عَزِيزٌ﴾ [الآية 25] غالب على مراده غير مفتقر إلى نصرة وإنما أمر العباد بالجهاد لينتفعوا بغنائم الأموال في الدنيا ويستوجبوا ثواب الامتثال في العقبى.

وقال الأستاذ: أرسلناهم مؤيدين بالحجج اللائحة والبراهين الواضحة وأرحنا العلة لمن أراد سلوك المحجة المثلى ويسرنا السبيل على من آثر اتباع الهدى على ابتداع الهوى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ [الآية 26] في بعض نسل كل منهما ﴿النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الآية 26] بأن استنبأناهم وأوحينا الكتاب إليهم على طريق الأصالة أو سبيل التبعية ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾ [الآية 26] فمن الذرية قوم مهتدون بالدين القويم ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الآية 16] خارجون عن الطريق المستقيم.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الآية 27] أي أرسلنا بعد نوح وإبراهيم ومن أرسلنا إليهم رسلنا من أنبياء بني إسرائيل واحداً بعد واحد ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الآية 27] أي أتينا به بعدهم ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ [الآية 27] هدى من الضلالة ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الآية 27] والرأفة شدة الرحمة، ولعل اختلاف الصفة باختلاف طوائف الأمة أو يتفاوت المرؤوف بهم والمرحوم عليهم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ [الآية 27] أي وابتدعوا رهبانية ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ [الآية 27] من تلقاء أنفسهم وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الخلق بالعزلة منسوبة إلى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي ﴿مَا كَتَبْنَاهَا﴾ [الآية 27] ما أوجبنا عليهم ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الآية 27] أي ولكنهم ابتدعوها طلباً لمرضاة الله ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الآية 27] بسبب الكفر والسمعة ونحوها فلم يفوا بما وعدوا ولم يصدقوا فيما عقدوا ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية 27] أتوا بالإيمان الصحيح ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الآية 27] خارجون عن حق الاتباع في أمرهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا﴾ [الآية 28] بالرسل المتقدمة ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 28] أي احذروا مخالفته أو خافوا عقوبته ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ [الآية 28] محمد عليه السلام ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ [الآية 28] نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِ﴾ [الآية 28] لإيمانكم برسوله وإيمانكم بمن قبله، والظاهر أن الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره / ولم يقولوا بالتثليث ونحوه ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الآية 28] تسلكون فيه 336/ب

طريق الحق في الدنيا أو نوراً يسعى بين أيديكم وبأيمانكم في العقبى ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الآية 28] ما صدر عنكم قبلاً وبعداً ما عدا كفركم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية 28] لكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 28] بكم أو غفور لذنوبكم رحيم بقبولكم.

وقال جنيد: يا أيها الموحدون اتقوا الله أن لا يسلبكم حلاوة معرفته وسرور محبته وآمنوا برسوله واقتدوا به في محبته لمولاه واستسلام نفسه له فيما قدّره وقضاه ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الآية 28] نورين من نوره نور تقوون به في ذكره وعبادته ونور تقوون به على مشاهدته، ويخصكم بنور ساطع في أرواح أهل محبته الذي به يقوون على استماع الذكر وكلامه والتمتع بمخاطبته ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الآية 28] ملاحظاتكم لأنفسكم.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 29] أي ليعلموا ولا مزيدة، ويؤيده أنه قرىء ليعلم ولكي يعلم، ولأن يعلم أهل الكتاب ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 29] إن هي المخففة والمعنى أنهم لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لأنهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالإيمان به، ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ﴾ [الآية 29] مطلقاً لا سيما فضل النبوة والإيمان والمعرفة ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 29] كسائر الأشياء ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية 29] وقيل لا غير مزيدة، والمعنى لئلا يعتقدوا أن لا يقدر النبي ومن معه على شيء من فضل الله فيكون، وأن الفضل عطفاً على ألا يعلم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في هذه الآية: اتقوا الله بحفظ الأدب معه ولا تأمنوا مكره بأن يسلبكم ما وهبكم من أوقاتكم وكونوا على حذر من أن يغتال تقديره في تغير ما أذاقكم من أنس محبته واتبعوا الرسول وحافظوا على اتباعه في سنّته يؤتكم نصيبين من فضله عصمة ونعمة، فالعصمة من البقاء عنه والنعمة في البقاء به، ويقال: يؤتكم كفلين من رحمته نصيب من التحقيق في وجوده وحظ من التحقق بشهوده.



سورة المجادلة

[مدنية]

وهي ثلاث وعشرون آية(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[المجادلة] بكسر الدال وهو الصحيح.

قال الأستاذ: بسم الله كلمة من عرفها بذل الروح في طلبها وإن لم يحظ بوصولها كلمة من طلبها اكتفى بالطلب عن قبولها، كلمة جبارة لا تنظر إلى كل أحد، كلمة قهارة لا يوجد من دونها ملتحد، كلمة فيها بلاء الأحباب لكن فيها شفاء الألباب.

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 1] في همّها وإزالة غمّها.

روي أن خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها أوس/ بن الصامت فاستفتت 337/ أ رسول الله ﷺ فقال: حَرُمتِ عليه، فقالت: ما طلقني، فقال: حرمت عليه. فاغتمّت لصغر أولادها وشكت إلى الله تعالى، فنزلت هذه الآيات الأربع.

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [الآية 1] تراجعكما الكلام بينهما والخطاب لها وللنبي ﷺ على تغليبه عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية 1] للأقوال ﴿بَصِيرٌ﴾ [الآية 1] بالأحوال.

وأفاد الأستاذ: أنها لما صدقت في شكواها إلى الله وأيست من استكشاف ضرها من غير الله أنزل الله في شأنها ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ [الآية 1]. ويقال: تضرعت إلى الله ورفعت قصتها إلى الله ونشرت غصتها بين يدي الله فنظر

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

إليها الله وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 1].

ويقال: صارت واقعتها فُرجة ورخصة للمسلمين إلى يوم القيامة في مسألة الظهار ليعلم العالمون أن أحداً لا يخسر على الله في الخبر أنها قالت: يا رسول الله إن أوساً تزوجني شابة غنية ذات أهل ومال كثير فلما كبر عنده سنّي وذهب مالي وتفرّق أهلي جعلني عليه كظهر أمه وقد ندم من قوله وأن لي صبية صغار إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا[1].

ففي رواية أنه ﷺ قال لها: ما أمرت بشيء في شأنك، وفي رواية قال لها: بنت عنه[2]، فترددت إلى رسول الله ﷺ في ذلك إلى أن أنزل الله حكم الظهار[3].

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ [الآية 2] الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، مشتق من الظهر وألحق بها الفقهاء تشبيهاً بجزء محرَّم كالبنت والأخت وبعضو محرَّم كالبطن والفخذ. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: يظّهرون بتشديد الظاء والهاء وأصله يظهرون. وابن عامر وحمزة والكسائي: يظّاهر بتشديد الظاء من أظّاهر وأصله تظاهر. وعاصم: يظاهرون من ظاهر وهو أظهر في المبنى وأشهر في المعنى ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ﴾ [الآية 2] على الحقيقة ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الآية 2] أي ما أمهاتهم ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ﴾ [الآية 2] فإن الأمهات مخدومات والزوجات خادمات فلا يشبه بهن في الحرمة إلا ما ألحقها الله بهن كالمرضعات والأزواج الطاهرات ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ [الآية 2] أي أهل الجاهلية ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الآية 2] إذ الشرع أنكره ﴿وَزُورًاۚ﴾ [الآية 2] محرفاً عن الحق من الكلام فإن الزوجة لا تشبه الأم في مقام المرام ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الآية 2] لما سلف من هذا الكلام قبل ظهور أحكام الإسلام.

---

(1) انظر تفسير البغوي (8/ 47)، والكشاف (7/ 8)، وتخريج الأحاديث والآثار (3/ 423) رقم (1301).

(2) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (23/ 89) رقم (6967)، وانظر تفسير القشيري (7/ 395).

(3) انظر تفسير القشيري (7/ 395).

وأفاد الأستاذ أن المرأة لما سمعت رسول الله ﷺ قوله: نبت عنه، كان الواجب عليها السكوت والصبر ولكن الضرورة / أنطقتها بالمراودة وحملتها 337/ ب على المعاودة وحصل من هذا مسألة وهو أن كثيراً من الأشياء ظاهر العلم يحكم فيه بشيء ثم الضرورة تغيِّر ذلك الحكم لصاحبها.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ [الآية 3] أي إلى نقض مقولهم فيها بالعزم على جماعها وهو مذهب أبي حنيفة ومالك رضي الله عنهما، وعند الشافعي رحمه الله بإمساك المظاهر عنها في النكاح زماناً يمكنه طلاقها فيه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [الآية 3] أي فعليهم أو فالواجب إعتاق أمة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ [الآية 3] أي يجامعا، وفيه دلالة على حرمة المجامعة قبل الكفارة ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ [الآية 3] لأنه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه بالندامة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 3] لا يخفى عليه خافية.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ [الآية 4] أي الرقبة أو قيمتها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ [الآية 4] أي الصوم لهرم أو مرض مزمن أو سبق مفرط فإنه عليه السلام رخص للأعرابي المفطِر أن يعدل إلى الإطعام لأجل شبقه المفرط(1) ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ﴾ [الآية 4] فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعاً من غيره عند أبي حنيفة وإنما لم يذكر التماس مع الطعام لجوازه في خلال الإطعام كما قال الإمام ذلك البيان والإعلام أو التعليم للأحكام ﴿لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية 4] لتصدقوا بقول الله وحكم رسوله ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 4] لا يجوز قربها فضلاً عن تعديها ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 4] الذين لا يقبلونها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 4] فيما يفعلونها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 5] أي يخالفونهما أو يختارون حدوداً غير حدودهما ﴿كُبِتُواْ﴾ [الآية 5] أخزوا وأذِلّوا أو أهلكوا ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ [الآية 5] يعني كفار الأمم الماضية ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ﴾ [الآية 5] تدل

---

(1) شدّة طلب النكاح. انظر لسان العرب (10/ 171).

على صدق الرسول وما جاء به من الأحكام الباقية ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية 5] يذهب عزّهم وتكبُّرهم يوم القيامة.

قال الأستاذ: نزل في المنهزمين يوم الخندق أجرى الله سنّته بالانتقام من أهل الإجرام ومن ضيَّع سنّةً للرسول عليه السلام أو أحدث بدعة في أحكام الإسلام انخرط في سلك هذا النظام.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ [الآية 6] أجمعين أو مجتمعين ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ [الآية 6] فيجازيهم بأعمالهم على حسب أحوالهم ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 6] أحاط به علماً ﴿وَنَسُوهُ﴾ [الآية 6] لكثرته عدداً أو تهاونهم به حكماً ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية 6] يعلم السر وأخفى.

وفي «تفسير السلمي» قيل: من نسي جرائمه ولم يكثر عليها بكاءه ولم يتأسف عليه بالتوبة والندامة فقد ضيّع عمره وندم يوم القيامة/ . 338/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه إذا حوسب أحد في القيامة على عمل عمله تصوّر له ما فعله وتذكّره حتى كأنه في تلك الحالة قام من بساط الزلة فيقع عليه من الخجالة والندامة ما ينسى في جبته كل عقوبة فضلاً عن الملامة فسبيل المسلم أن لا يحوم حول مخالفة أمر مولاه فإن جرى التقدير ووقع في هُجنة التقصير فلتكن زلّته على البال وليتضرع إلى الله بحسن الابتهال.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 7] كليّاً وجزئياً ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ [الآية 7] ما يقع من تناجي ثلاثة ﴿إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 7] أي الله سبحانه ﴿رَابِعُهُمْ﴾ [الآية 7] يجعلهم أربعة من حيث أن يشاركهم في الاطلاع على نجواهم والاستثناء من أهم الأحوال ﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾ [الآية 7] ولا نجوى خمسة ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [الآية 7] وتخصيص العددين إما لمخصوص الواقعة فإن الآية نزلت في تناجي المنافقين أو لأن الله وتر يحب الوتر والثلاثة أول الأوتار في عدد المحاسبين ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ﴾ [الآية 7] تعميم بعد تخصيص ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [الآية 7] يعلم ما يجري بينهم ﴿أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾ [الآية 7] فإن علمه بالأشياء ليس لقرب مكان ولا بخصوص زمان حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة أو الأزمنة

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الآية 7] تفضيحاً لهم في حال الندامة وتقريراً لما يستحقونه من الملامة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 7] لا يخفى عليه خافية.

وأفاد الأستاذ أن معية الحق سبحانه وإن كانت على العموم بالعلم والروية وعلى الخصوص بالفضل والرحمة فلهذا الخطاب المستطاب في الباب أرباب المعرفة أثر عظيم لرفع الحجاب وإلى أن ينتهي الأمر بهم إلى التأويل فللوله والهيمان في خمار سماع هذا عيش راغد طويل. ويقال: أصحاب الكهف وإن جلّت رتبتهم واختصت من بين الناس مزيتهم فالحق سبحانه يقول: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: الآية 22]، ولما انتهى إلى هذه الآية يقول: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [الآية 7] فشتان بين من رابعه كلبه وبين من رابعه ربّه انتهى. وسبق له مثل هذا في سورة الكهف ولا يخفى أن عدم حسن المقابلة مبنى ولا وجود تخصيص هذه الأمة بمضمون هذه الآية معنًى.

ثم قال ـ ونِعْم ما قال ـ: حيث ما كنت فأنا معك، إن حضرت المسجد فأنا معك بإسباغ النعمة ولو بعداً، وإن أتيت المصطبة ـ بكسر الميم كالدكان للجلوس عليه منه ـ فأنا معك بإسبال ستر المغفرة ولكن بعداً.

هبك تباعدت وخالفتني تقدر أن تخرج عن ملطفي

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الآية 8] نزلت في اليهود والمنافقين/ كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله ﷺ عنه ثم عادوا بمثل فعلهم ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ [الآية 8] بما هو إثم عليهم وعدوان للمؤمنين عموماً وتواص بمخالفة الرسول خصوصاً. وقرأ حمزة: يتناجون يفتعلون من النجوى ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ﴾ [الآية 8] السلام عليك يا مصطفى والله سبحانه يقول: ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل: الآية 59]. ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 8] في بواطنهم أو فيما بينهم ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [الآية 8] في حق الرسول لو كان صادقاً في نزول ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الآية 8] كافيهم عذابها

338/ ب

﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ﴾ [الآية 8] يدخلونها ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 8] جهنم ومثواها.

وأفاد الأستاذ: أنهم آذوا قلوب المسلمين بما كانوا يتناجون بينهم ولم يكن في تناجيهم فائدة لهم إلا قصدهم بذلك شغل قلوب المؤمنين ولم ينتهوا عنه لما نهوا وأصروا على ذلك ولم ينزجروا عما هنالك فتوعدهم على تلك الفعلة، فتكون عقوبتهم بتغامز الملائكة غداً فيما بينهم في بابهم وهم شاهدون نتيجة ظنونهم ومعذّبون بقساوة قلوبهم، ثم لا ينكشف بهم الحال إلا بما يزدادون حزناً على الحزن ووبالاً على الوبال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ﴾ [الآية 9] كما يفعله أعداؤكم فإنه غير مناسب لكم ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [الآية 9] بما يتضمن البر والإحسان للمؤمنين والاتقاء عن العدوان ومخالفة سيد المرسلين ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الآية 9] فيما تأتون وتذرون فإنكم بالكل مجزيون ومحاسبون.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ [الآية 10] أي بالإثـم والعدوان ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [الآية 10] لأنه المزين لها والحامل عليها ﴿لِيَحۡزُنَ﴾ [الآية 10] أي الشيطان أو التناهي أو المتناجي ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 10] همهم أنها في نكبة أصابتهم ومحنة قاربتهم ﴿وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ﴾ [الآية 10] بضار المؤمنين ﴿شَيۡـًٔا﴾ [الآية 10] من المضار ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 10] ألا مضرّة تعلّقت بمشيئته ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 10] فليعتمدوا على مولاهم ولم يبالوا بنجواهم.

قال سهل: النجوى هو إلقاء من العدو إلى نفس الطبع كما ورد للملك لمة وللشيطان لمة.

وقال الأستاذ: وإذا كانت المشاهدة غالبة والقلوب حاضرة والتوكل صحيحاً صادقاً والنظر من موضعه صائباً فلا تأثير لمثل هذه الحالات وإنما هو للضعفاء في المقامات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ [الآية 11] توسعوا فيه ليسع بعضكم، والمراد/ بالمجلس الجنس، ويدل عليه قراءة عاصم في المجالس 339/ أ

أو مجلس رسول الله ﷺ فإنهم كانوا يتضامُّون تنافساً على القرب منه وحرصاً على استماع كلامه عنه. ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية 11] فيما تريدون التفسح فيه من الأمر كالمكان والرزق والصدر. وقال فارس: وسعوا صدوركم لقبول الحق يمنّ الله عليكم بحصول الحقيقة. ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا﴾ [الآية 11] انهضوا للتوسعة أو لما أُمرتم به من العبادة أو ارتفعوا في مجلس العادة ﴿فَانشُزُوا﴾ [الآية 11] وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بخلاف عنه بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ [الآية 11] بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وبالإيواء في غرف الجنات في الأخرى ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [الآية 11] أي ويرفع العلماء منكم خاصة درجات بما جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح فإن العلم مع علو الدرجة مقتضٍ للعمل المقرون به مزيد الرفعة وقد ورد فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم(1).

وفي رواية: كفضل ليلة البدر على سائر الكواكب(2).

وفي الحديث العيسوي عليه السلام: من علم وعمل وعلَّم يدعى في الملكوت عظيماً(3).

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 11] فيجازيكم به وفيه وعد ووعيد.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لكمال رحمته بهم وتمام رأفته عليهم علّمهم مراعاة حسن الأدب بينهم فيما كان لهم من أمور العادة دون أحكام العبادة بالتفسح في المجلس والتضام في حال الرحمة والكثرة وأعزِزُ بأقوام أمرهم بالدقائق لقيامهم بأصول الدين وتحققهم بأركان الحقائق.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (8/ 233) رقم (7911)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 50) رقم (2685)، والدارمي في السنن (1/ 100) رقم (289).

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 212) رقم (1696)، وابن حبان في الصحيح (1/ 289) رقم (88)، وأبو داود في السنن (3/ 354) رقم (3643).

(3) أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم (2/ 349) رقم (797)، والغزالي في إحياء علوم الدين (1/ 922 و(3/ 38).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ [الآية 12] فتصدَّقوا قدّامها، وفي هذا الأمر تعظيم الرسول ونفع الفقراء والميز بين الموافق والمنافق ومحب المولى ومحب الدنيا، واختلف في وقوع هذا الأمر ندباً أو وجوباً لكنه منسوخ بقوله: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ [الآية 13] وهو أن اتصل به تلاوة وحصولاً لم يتصل به نزولاً حتى لا يمكن العمل به، فعن علي كرَّم الله وجهه أن في كتاب الله أنه ما عمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهم[1]. وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم ينفق للأغنياء نجوى في مدة بقائه إذ روي أنه لم يبق إلا عشراً وقيل إلا ساعة[2] ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 12] التصدُّق ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [الآية 12] في عاقبة أمركم ﴿وَأَطۡهَرُۚ﴾ [الآية 12] وأزكى وأنمى لأنفسكم من الزينة وحب الحزينة وهو يُشعر بالندبية، إلا أن قوله: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 12] لمن لم يجد حيث رخص له في النجوى بلا صدقة أدل/ على الفرصة القويمة. 339/ ب

﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ [الآية 13] أخفتم الفاقة من تقديم الصدقة عند إرادة تناجي الحضرة وجمع الصدقة للجماعة المخاطبة أو لكثرة التناجي الموقعة لهم في الخشية ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية 13] أي أديموهما ولا تقصروا في أدائهما ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ [الآية 13] في سائر أمرهما وزواجرهما ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 13] ظاهراً أو باطناً فيجازيكم بهما.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ﴾ [الآية 14] والَوا وصافوا ﴿قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [الآية 14] يعني اليهود ﴿مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ [الآية 14] لأنهم منافقون مذبذبون ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ﴾ [الآية 14] من ادِّعاء الإسلام وغيره من الأحكام ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 14] أنهم كاذبون فهم بين الكفر وقول الزور جامعون.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ﴾ [الآية 15] لشدة كفرهم وحدة أمرهم ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ

(1) انظر تفسير الطبري (23/ 248)، والكشاف (7/ 16)، وتفسير أبي السعود (8/ 221).
(2) انظر تفسير أبي السعود (8/ 221).

مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 15] من شقاقهم ونفاقهم.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ [الآية 16] التي حلفوا بها ﴿جُنَّةً﴾ [الآية 16] وقاية دون دمائهم وأموالهم ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 16] المؤدِّي إلى الجنة ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية 16] ذو إهانة ومذلة، وعيد ثانٍ بوصف آخر لعذابهم وإيماء إلى كثرة حجابهم أو أحدهما في الدنيا والآخر للأخرى أو للأول لعذاب القبر والثاني بعد الحشر.

﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 17] لن تدفع من عذابه شيئاً أو لن تنفعهم عوضه أو بدل طاعته شيئاً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 17] ملازموها ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 17] مقدرون دوامها.

وأفاد الأستاذ: أن من استتر بجنة طاعته لتسلم دنياه أو تحصل هواه تكشّف لسهام التقدير من حيث لا يشعرهم لا دينه يبقى ولا دنياه تسلم.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ [الآية 18] أي لله على أنهم مسلمون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [الآية 18] في الدنيا حيث يتفوهون بأنهم منكم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [الآية 18] في أيمانهم الكاذبة لأنه تمكن النفاق في نفوسهم بحيث تخيّل إليهم في العقبى أن اليمين الكاذب يجوز على الله كما يجوز عليكم في الدنيا ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [الآية 18] المبالغون في الكذب حد الغاية حيث يكذبون لدى عالم الغيب والشهادة، وفي الآية إشارة إلى أن أيمانهم حال البأس ووقت العيان ما وجدت فيها الشرائط والأركان ولذا قيل: كما يعيشون يموتون ويحشرون.

وأفاد الأستاذ: أن عقوبتهم الكبرى ظنهم أن ما عملوا مع الخلق يتمشى في معاملة الحق وفرط الأجنبية وغاية الجهالة وأكبّهم على مناخرهم في وهدة ندمهم.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية 19] استولى عليهم في دنياهم بحيث أثر في عقباهم ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 19] فلا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم طلباً لرضاه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية 19] / أشياعه وأتباعه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ 340/ أ

﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الآية 19] لأنهم فوّتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للجحيم المخلّد.

قال شاه شجاع الكرماني: علامة استحواذ الشيطان أن يشغله بعمارة ظاهره من المأكل والمشرب والملبس ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله ونعمائه وعن القيام بشكرها، ويشغل لسانه عن ربه بالغيبة والكذب ونحوه، ويشغل قلبه عن التفكر في أمر الآخرة وعن المراقبة والمحاسبة بتدبير الدنيا وجمعها بالحرص والشره.

وأفاد الأستاذ أن الشيطان إذا استحوذ على عبد أنساه ذكر الله والنفس إذا استولى على إنسان أنساه الله ولقد خسر حزب الشيطان وأخسر منه مَن أعان نفسه التي هي أعدى عدوه إلا أن يسعى في قهرها لعله ينجو من شرها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الآية 20] يخالفونهما ويجاوزون في حدهما ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [الآية 20] في جملة من هو أذلّ الخلائق أجمعين.

وأفاد الأستاذ: أن من أقمأه[1] شقوته لم تنعشه قوّته ومن قصمه التقدير يعصمه التدبير ومن استهان بالدين انخرط في سلك الأذلين.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 21] في اللوح ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [الآية 21] بالحجة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ [الآية 21] قادر على نصرة أوليائه ﴿عَزِيزٌ﴾ [الآية 21] غالب منتقم من أعدائه.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ [الآية 22] إيماناً كاملاً وإيقاناً شاملاً كافلاً ﴿يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 22] ظاهراً وباطناً إذ لا مناسبة بين الأعداء والأحباء، والمعنى أنه لا ينبغي أن يوادوهم ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ [الآية 22] أي وأجدادهم ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [الآية 22] وكذا أحفادهم ﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾ [الآية 22] لعل عدم ذكر الأمهات والبنات والأخوات أن العرب ما كانوا يعتنون بحبهن أو لأن أمرهن مبني على تسترهن فأدخلهن تحت شمول قوله ﴿أَوْ

(1) قمأ: ذلّ وصغُر.

عَشِيرَتَهُمْ﴾ [الآية 22] من سائر أقربائهم، والمعنى ولو كان المحادون أقرب الناس إليهم وأعز الخلق لديهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية 22] أي الذين لم يوادوهم ﴿كَتَبَ﴾ [الآية 22] ربهم ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الآية 22] بقلم الإحسان ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ﴾ [الآية 22] من عنده وهو نور قلب عبده أو قوَّاهم بالقرآن أو بالنصرة على أهل العدوان.

وقال سهل: الكتابة في القلب موهبة الإيمان والإسلام التي وهبها لهم قبل خلقهم في الأصلاب والأرحام ثم أبدى سطراً من نور الرب في القلب ثم كشف الغطاء عنه حتى زال ببركة نور الإيمان أنواع الظلام ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ [الآية 22] دائمين في جنته ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [الآية 22] بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [الآية 22] بمثوبته وبقضائه أو بما وعدهم من جزائه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 22] جند دينه/ وأنصار نبيّه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ 340/ب ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية 22] الفائزون بطاعته في الدنيا وبمشاهدته في العقبى.

قال أبو عثمان: حزب الله من يغضب لله ولا يأخذه لومة لائم في الله.

وأفاد الأستاذ: أن من جنح إلى منحرف عن دينه أو داهن مبتدعاً في عقده نزع الله نور التوحيد من قلبه فهو بخيانته جائر على عقيدته فسيذوق قريباً وبال أمره وحالته، وأن أولياء الله أثبت في قلوبهم الإيمان بالله، ويقال جعل قلوبهم مطرزة باسم الله وأعزز بحلّة الأسرار قوماً طرازها بسم الله.



[مدنيّة]
وهي أربع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله عزيز الكون بجملته في طلبه وهو عزيز عند عبده والشموس والأقمار والنجوم والأنوار والليل والنهار وجميع ما خلق من الأعيان والآثار متنادية على أنفسها بلسان الأسرار وبيان الإقرار: نحن عبيد مَن لم يزل نريد من لم يزل.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 1] نزَّهه جميع المخلوقات من العلويات والسفليات بلسان القال والحال ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 1] الغالب على مراده ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 1] في خلق أصناف عباده.

وقال الأستاذ: قدّسه الله ونزَّهه كل شيء على وفق إرادته، وذلك دليل علمه وحكمته ورتّب كل مخلوق في مرتبة ذاته وصفاته وترتيبه شاهد مشيئته وإرادته ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 1] فلا شبيه يساويه ولا شريك في ملكه ينازعه ويضاهيه ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 1] الذي لا يوجد في حكمته عيب ولا يتوجه عليه عتب ولا ريب.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الآية 2] حصونهم وعقارهم ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الآية 2] لأول حشرهم من جزيرة العرب إذ لم يصيبهم قبل ذلك هذا الذلّ والتعب أو في أول حشرهم إلى الشام وآخر حشرهم إجلاء عمر رضي الله عنه إياهم من خيبر إلى ذلك المقام، أو في أول حشر الناس إلى

الشام وآخر حشرهم يوم القيامة فإنهم يحشرون إليه عند قيام الساعة[1].

روي أنه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني النضير على أن لا يكونوا له ولا عليه، فلما غلب النبي ﷺ يوم بدر قالوا: إنّه النبي المنعوت في التوراة بالنصر، فلما انهزم بعض المسلمين يوم أُحد ارتابوا في إيمانهم ونكثوا أيمانهم وخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً منهم إلى مكة وحالفوا أبا سفيان ورجعوا إلى المدينة، فأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة أخا كعب من الرضاعة فقتله بالجداعة[2] بأن أوهم أنه جاءه يشكو من الرسول عليه السلام أنه حمل عليهم في أخذ الصدقة فوق ما لهم من الطاقة ثم صبّحهم بأصحابه الفضلاء وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا أكثرهم/ إلى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فأنزل الله هذه السورة إلى 341/ أ قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البَقَرَة: الآية 284].

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ﴾ [الآية 2] لشدة منعتهم وقوة شوكتهم ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 2] أي من بأسه على ما قضاه ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 2] أي عذابه وهو الرعب وما يعقبه من العناء والاضطرار إلى الجلاء ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ [الآية 2] لقوة وثوقهم على أنفسهم ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الآية 2] وألقى فيها الخوف الذي يملأ القلب ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 2] ضنّاً بها على أهل الإسلام وإخراجاً لما يحسنوا من آلاتها المعدة في ذلك المقام. وقرأ أبو عمر: ويخربون بالتشديد للمبالغة والتأكيد، ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الآية 2] فاتعظوا بحالهم وسرعة زوالهم. واستدل به على أن القياس حجة من حيث أنه أمر بالمجاوزة من حالة وحملها عليها في حكم من الأقضية كما بيّنها من المشاركة المقتضية.

وقال أبو علي الجورجاني: المعتبر يعتبر إذا رأى شيئاً من الدنيا ليس له

---

(1) انظر تفسير الرازي (15/ 289)، وتفسير النيسابوري (7/ 148)، وتفسير البيضاوي (1/ 316).

(2) انظر تفسير الطبري (8/ 468)، وتفسير البغوي (8/ 64).

إليه حاجة فكأنه جاء من الآخرة وهو يريد العود إليها يرى الدنيا للفناء وينظر إلى من فيها للموت وإلى عمرانها للخراب. والمراد بأولى الأبصار أهل البصائر في أمر الله وطاعته رأوا الدنيا بعين الفناء والآخرة بعين البقاء.

وقال الأستاذ: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الآية 2] كيف نصر المسلمين ـ مع قلّتهم ـ عليهم مع كثرتهم، وكيف لم ينفعهم حصونهم إذا كانت الدائرة عليهم وإذا أراد الله قهر عدو استنوق أسره أي صار أسدهُ ناقة ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره.

قلت: وقد ورد: السعيد مَن وُعِظَ بغيره، ويقال: بحسب الإشارة المأخوذة من ظاهر العبارة يخربون قلوبهم باتباع شهوات نفوسهم. ويقال: أركان دينهم بما يمزجون به من البدع من تلقاء أنفسهم.

﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ﴾ [الآية 3] والخروج من أوطانهم ﴿لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الآية 3] بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة بعدهم ﴿وَلَهُمۡ﴾ الآية 3] مع ذلك ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ الآية 3] بوصف القرار، والمعنى أنهم وغيرهم بكفرهم بالله ورسوله استحقوا العذاب في الدارين، أو هم إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب العقبى.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ﴾ [الآية 4] خالفوا أمرهما وأصروا على عصيانهما ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الآية 4].

﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ [الآية 5] أي شيء قطعتم من نخلة ما عدا البرني والعجوة ﴿أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا﴾ [الآية 5] الضمير لما وتأنيثه لأنه مفسر باللينة والمعنى أو أبقيتموها ﴿قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] فبأمره لرسوله أو بقضائه أو قدره أو بتسهيله وتيسيره ﴿وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الآية 5] أجره. روي أنه عليه السلام لما أمر بقطع نخيلهم قالوا: يا محمد كنت تنهي عن الفساد/ في البلاد فما بال قطع النخل وتحريقها[1] مع أنها نافعة للعباد. فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار

341/ب

(1) انظر تفسير ابن كثير (8/ 61)، وتفسير القرطبي (18/ 6)، وتفسير البغوي (8/ 71).

الكفار وقطع ما لهم من الأشجار زيادة لغيظهم.

وأفاد الأستاذ أن في هذه الآية دلالة على أن أحكام الشريعة غير معلّلة وإذا جاء الأمر الشرعي وثبت الدليل بطل طلب التعليل وسكتت الألسن عن المطالب بلمسه، والشيوخ قالوا: من قال لأستاذه وشيخه: لِمَ لَمْ يفلح.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الآية 6] وما أعاده عليه بمعنى صيّره له ﴿مِنْهُمْ﴾ [الآية 6] من مال بني النضير ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 6] فما أجريتم على تحصيله بسرعة سير ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الآية 6] أي إبل لأن قراهم كانت قريبة من المدينة فمشوا إليها رِجالاً غير النبي ﷺ فإنه ركب جملاً أو حماراً ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الأنصار منه شيئاً إلا ثلاثة كانت بهم حاجة شديدة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 6] بقذف الرعب في قلوبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 6] فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها.

وأفاد الأستاذ أن الغنيمة ما كان بقتال وإيجاف خيل وركاب وخصّ رسول الله ﷺ بأموال هؤلاء فقراء المهاجرين واستأثر لنفسه بما شاء من الأمتعة والعقار فطابت بذلك نفوس الأنصار فشكر الله لهم بحسن الجوار وتحرُّر القلب عن الأعواض صفة السادة من الأبرار ومن أسرته الأخطار وبقي في شح نفسه الغدار فهو في تضييقه ومصادمة معاملته ومطالبة الناس في استيفاء حظه ولذته وأهل الصفاء لم يبق من هذه الأشياء عليهم بقية ومن بقي عليه من هذا شظية فمترسم سوقي ولا متحقق صوفي.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الآية 7] بيان للأول أو استئناف لبيان المحل لقوله فلله خَلقاً ومُلكاً وللرسول اختصاصاً أو حكماً ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 7] عموماً، وتفصيل هذه القضية في الكتب الفقهية ﴿كَىْ لَا يَكُونَ﴾ [الآية 7] أي الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء ﴿دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الآية 7] وهي ما يتداوله الأغنياء ويدور بينهم دون الفقراء كما كان الفيء في الجاهلية. وقرأ هشام في رواية بالتأنيث مع رفع دولة وفي أخرى بالتذكير مع الرفع على كان التامة، أي كي لا يقع دولة جاهلية بين الأغنياء

الإسلامية ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [الآية 7] ما أعطاكم من الفيء ومن الأمر ﴿فَخُذُوهُ﴾ [الآية 7] فاقبلوه على وجه الاستطابة أو فتمسكوا به لأنه واجب الطاعة ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [الآية 7] عن أخذه أو عن إتيانه/ ﴿فَٱنتَهُوا۟﴾ [الآية 7] اجتنبوا منه بقدر الاستطاعة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 7] في مخالفة رسوله في أمره ونهيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية 7] لمن خالف في هذا الباب. 342/أ

وأفاد الأستاذ أن هذا أصل في وجوب متابعته ولزوم طريقته وسيرته على ما في العلم تفصيله والواجب على العبد عرض ما وقع له من الخواطر وتكاشف به من الأحوال على العلم فما لم يقبله الكتاب والسنَّة فهو ضلال وجهالة.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الآية 8] بدل من لذي القربى، وما عطف عليه فإن الرسول لا يسمى فقيراً ولا يتيماً إجلالاً وتكريماً، وقيل هو عطف عليه بترك العاطف وهذا أوفق بمذهب الواقف ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [الآية 8] إلى بلادهم ﴿وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الآية 8] مواشيهم وعقارهم فإن كفار مكة صاروا سبباً لخروجهم وأخذوا أموالهم بعد بروزهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الآية 8] حال مقيدة بما يوجب تفخيم شأنهم حيث لم يكونوا كارهين لما قدِّر لهم ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الآية 8] بأبدانهم وأموالهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الآية 8] في أحوالهم حيث ظهر صدقهم في إيمانهم.

قال ابن عطاء: هم الذين تركوا كل سبب وعلاقة ولم يلتفتوا من الكون إلى شيء فيه حلاوة وفرَّغوا أنفسهم لعبادة ربّهم واتِّباع رسوله فيما أمرهم ووقفوا مع الحق راضين بجريان حكمه فيهم وأشغلهم خروجهم بما وفق لهم عن حب الأهل والأولاد والأموال والبلاد.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه أراد أن هذا الفيء لهؤلاء الفقراء وكانوا مقدار مائة رجل ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الآية 9] رزقاً في الدنيا ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ [الآية 9] ثواباً في العقبى ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الآية 9] لزموا دار الهجرة والتزموا الإيمان والطاعة عطف على المهاجرين، والمراد بهم الأنصار ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾

[الآية 9] قبل نزول المهاجرين لديهم ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 9] ولا يثقل عليهم[1] من أهل مكة وغيرهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ [الآية 9] ما يحمل عليه الاحتياج في الطلب والحرازة والحسد والغبطة ﴿مِّمَّا أُوتُوا﴾ [الآية 9] من أجل ما أعطي المهاجرون من الفيء وغيره من الأثرة ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 9] يقدِّمون الناس عموماً والمهاجرين خصوصاً على ذواتهم ومتعلقاتهم حتى إن من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوَّجها من أحدهم وكذا في البيوت والبساتين والأمتعة ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الآية 9]/ حاجة مختصة بهم أو 342/ ب مجاعة شديدة فيهم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ [الآية 9] يحفظ ويكفى شرّ بخلها.

وقال سهل: حرص نفسه على شيء غير ربه ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية 9] الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل.

سئل أبو الحسين النوري عن التصوُّف فقال: فراغة القلب وخلو اليدين وقلة المبالاة بالخلق. أما فراغة القلب ففي قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الآية 9] الآية، وأما خلو اليدين ففي قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ [الآية 8]، وأما قلة المبالاة ففي قوله: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: الآية 54].

وقال ابن عطاء: يؤثرون به جوداً وكرماً ولو كان بهم خصاصة جوعاً وفقراً. وقال يوسف بن الحسين: من رأى لنفسه ملكاً لا يصح الإيثار لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه وإنما الإيثار لمن يرى الأشياء للحق فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل إليه شيء من ذلك يرى يده فيه يد غصب أو أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤديها إلى مودعها.

وقال الأستاذ: قيل نزلت الآية في رأس شاة وهب إنسان من غيره فطاف على سبعة أبيات حتى انتهى إلى الأول. وقيل: نزلت فيمن أطفأ السراج ليلة ضيفه يوهم أنه يصلحه وقد قدّم الطعام وأوهم أنه يأكل معه وآثر به الضيف على نفسه وعياله. ويقال: لم يقل الله ومن يتق شح نفسه، بل

(1) في المخطوط بالهامش: ضيق النفس مثله.

قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ [الآية 9]، ويقال: الزاهد يؤثر بدنياه غيره والعارف يؤثر بالجنة غيره وعزيز مَن لا يطلب من الحق لنفسه شيئاً لا من الدنيا من الجاه والمال ولا في الجنة من الإفضال ولا منه أيضاً ذرة من الإقبال والأحوال والوصال، كذا وصف الفقير يكون بسقوط كل أرب، انتهى.

ولا يخفى أنه مبني على مقام التفويض وترك السؤال وهو مختلف بتفاوت أحوال أرباب الكمال واختلاف مراتبهم في مقامات الانتقال من الحال إلى الحال.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية 10] الذين هاجروا بعدما قوي الإسلام أو التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيام، ولذا قيل أن الآية قد استوعبت مؤمني الأمة إلا الروافض[1] والخوارج[2] من أهل البدعة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾ [الآية 10] أي في الدين ﴿ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الآية 10] في قيام اليقين ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 10] حقداً عليهم وغشّاً لديهم. والمراد بهم أعم ممن قبلهم، أو المراد بالأولين الأموات وبالآخرين الأحياء.

وقال الأستاذ: من لا شفقة له على جميع المسلمين فليس له نصيب من الدين ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 10] فحقيق بأن يجيب دعاءنا فيهم وفينا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 11] يريد بينهم وبينهم أخوة الكفر أو الصدقة أو الموالاة من اليهود ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ [الآية 11] من دياركم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ [الآية 11] أو في آثاركم ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ [الآية 11]/ في شأنكم من فعالكم أو خذلانكم ﴿أَحَدًا﴾ [الآية 11] من رسول الله والمؤمنين ﴿أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ [الآية 11] لنعاوننكم ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ

343/ أ

(1) إحدى الفرق، وسموا رافضة لرفضهم خلافة الصدِّيق والفاروق وبراءتهم منهما فإنهم يقولون: لا ولاء إلا ببراء، أي لا ولاء لعلي إلا بالبراءة من أبي بكر وعمر. انظر الملل والنحل (1/ 146)، والفرق بين الفرق ص (15).

(2) هم الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه حيث رضي بالتحكيم في خلافة مع معاوية وقالوا بتكفيره ومن رضي بالتحكيم. انظر الملل والنحل (1/ 114)، والفصل في الملل والأهواء (5/ 51).

﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الآية 11] لعلمه بأنهم لا يفون بما يقولون كما أخبر عنهم بقوله: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ [الآيـة 12] وكـان كذلك، فإن ابن أُبيّ وأصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اختلفوهم هنالك، وفيه دليل على صحة النبوة وإعجاز القرآن من حيث تحقق الإخبار قبل الواقعة ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ [الآية 12] أي أرادوا نصرهم على الفرض والتقدير ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ [الآية 12] بالإنهزام والفِرار ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الآية 12] بعد ذلك بل نخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين هنالك.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ [الآية 13] مرهوبية وأكثر مهابة ﴿فِى صُدُورِهِم﴾ [الآية 13] فإنهم كانوا يضمرون مخالفتهم من المؤمنين ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 13] على ما يظهرونه نفاقاً فإن استبطان رهبتكم سبب لإظهار رهبة الله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية 13] لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويفهموا أن الحقيق بأن يخشى منه لا من غيره، ولذا قيل: إن الله يدفع بالسلطان ما لا يدفع بالقرآن.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [الآية 14] يعني اليهود أو المنافقين ﴿جَمِيعًا﴾ [الآية 14] مجتمعين ﴿إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ [الآية 14] بالسور والخندق ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ الآية 14] لفرط الرهبة، وقرأ ابن كثير وأبو عمر: وجدار ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ [الآية 14] أي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فإنه يشتد بأسهم إذا وقع الحرب بينهم بل يقذف الله الرعب في قلوبهم ولأن الشجاع يجبن والعزيز يذل إذا حارب الله ورسوله ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية 14] مجتمعين متفقين في الباطن ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الآية 14] متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 14] ما فيه صلاحهم وفلاحهم.

وقال الأستاذ: ولئن يساعدوهم في بعض الحروب فإذا رأوا من يجاهدهم ينهزمون والمسلمون أشد رهبة في صدورهم من الله لعلة يقينهم وإعراض قلوبهم عن معرفة دينهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الآية 14] اجتماع النفوس مع تنافر القلوب واختلافها أصل كل فساد وموجب كل تخاذل

ومقتضى تجاسر العدو واتفاق القلوب والاشتراك في الهمة يوجب كل ظفر وكل سعادة ولا يكون هذا قط من جهة الأعداء.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [الآية 15] مثل اليهود كمثل المهلكين من الأمم الماضية وكوجود مثل أهل بدر ﴿قَرِيبٗاۖ﴾ [الآية 15] في زمان قريب منهم ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الآية 15] أي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية 15] في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن مثل قريظة كمثل النضر ذاق النضير وبال أمرهم قبل قريظة بسنة.

343/ ب ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [الآية 16] مثل المنافقين/ في إغراء اليهود على قتال المؤمنين ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾ [الآية 16] أغراه على الكفر إغراء الآمر المأمور بالأمر ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾ [الآية 16] تبرّأ عنه مخافة العقوبة الدنيوية ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 16] إذ لا يتصور أن لا يخاف مربوب عن ربّه بالكلية ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ﴾ [الآية 17]. والمراد من الإنسان الجنس. وقيل: أبو جهل، قال له إبليس يوم بدر: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ [الأنفال: الآية 48] الآية، وقيل: راهب حمله على الفجور وآل أمره الارتداد ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 17].

قال الأستاذ: وكذلك أرباب الفترة وأصحاب الزلة كلهم في درجة واحدة وإن كان بينهم تفاوت لا تنفع صحبتهم. قال: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: الآية 67] وكل أحد اليوم يألف شكله صاحب الدعوى إلى الدعوى وصاحب المعنى إلى المعنى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ﴾ [الآية 18] راقبوا أموالكم وحاسبوا أنفسكم في دنياكم قبل أن تحاسبوا في عقباكم ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الآية 18] ليوم القيامة، سماه به لكمالي دنوه أو لأن الدنيا كيوم الآخرة غده وتنكيره للتعظيم وتنكير نفس للتعميم كما في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾ [الانفطار: الآية 5].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 18] كرّره للتوكيد أو للمبالغة في التهديد أو الأول في أداء الواجبات والثاني في ترك المحرمات، أو الأول لمراقبة العقبى والثاني لمراقبة المولى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 18] فيجازيكم على أعمالكم بحسب محاسبة أموالكم.

وفي الخبر: أن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونيّاتكم[1].

وأفاد الأستاذ: أن من لا محاسبة له في أعماله لا مراقبة في أحواله، وعلامة مَن نظر لغده أن يُحسن مراعاة يومه ولا يكون كذلك إلا إذا فكّر فيما عمله في أمسه. والناس في هذا أقسام: مفكّر في أمسه الذي قسم له في الأزل، وآخر مفكِّر في غده ما الذي سيلقاه ومشتغلٍ بوقته فيما أُلزم ومصطلم عن شاهده موصول بربه اندرج في مذكوره لا تطلُّع له لماضيه ومستقبله وموقَّت بوقت شغله عن وقته.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 19] نسوا حقه وتركوا ذكره ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الآية 19] حظها بأن جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها عما يضرّها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية 19] الناسون ﴿هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الآية 19] الخارجون عن دائرة الإنسان فإن منشأ العصيان هو النسيان. قيل: من ابتلاه الله بنسيان نفسه ومشاهدة ذاته وقلته كان ذلك بدؤ عقوبته من الله إياه على إعراضه عن الله وإغماضه عن صنعته، ثم يزداد على جرأته في جريمته لقلة مشاهدته فمن كان كذلك لا يرجى له السلامة لوجدان آثار الملامة.

﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ [الآية 20] الذين استمهنوا أنفسهم فاستحقوا العقوبة والذين استكملوها / فاستأهلوا الجنة ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [الآية 20] بأنواع النعمة وأصناف المنّة. 344/ أ

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2564/ 33)، وابن ماجه في السنن (2/ 1388) رقم (4143)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 328) رقم (10477)، وابن حبان في الصحيح (2/ 119) رقم (394).

وقال الأستاذ: وكذا لا يستوي أهل الغفلة مع أهل الوصلة ولولا النسيان لما حصل العصيان، والذي نسي أمر نفسه فهو الذي لا يجتهد في تحصيل توبته ويسوِّف ما لزمه في الوقت من طاعته.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 21] متشققاً من آثار هيبته وإظهار عظمته، قيل: تمثيل كما مر في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: الآية 72] ولذا عقّبه بقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 21] فإن الإشارة إلى الشرطية المتقدمة وأمثالها والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشُّعه عند تلاوة كتاب الله وسماع خطابه لقساوة قلبه وقلة تدبُّره.

قال ابن عطاء: إشارة فضله إلى أهل معرفته أن شيئاً من الأشياء لا تقوم لصفاته ولا يبقى مع تجلياته إلا من قوّاه الله وهو قلوب العارفين قاموا له به لا بغيره. وقيل: في الآية مدح للنبي ﷺ أي لا تثبت له الجبال وثبت له يا محمد زين الرجال للقوة الربانية التي أودعناكها وجعلناك من أهل الكمال، فالخطاب ليس من باب العتاب والله أعلم بالصواب.

وقال الأستاذ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ [الآية 21] ليعقلوا ويهتدوا أي بذلك أمرناهم وإن كان غير ذلك أردنا منهم.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الآية 22] أي المعدوم والموجود أو السر والعلانية.

وأفاد الأستاذ: أن الغيب ما استأثر الحق بعلمه والشهادة ما يعرفه الخلق، وفي الجملة لا يعزب عن علمه معلوم. قلت: ولا موجود ولا معدوم ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 22] مفيض جلائل النعماء ودقائق الآلاء فتخلّقوا بأخلاقه وفق الأسماء فارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 23] كرّر التوحيد للتأكيد في التفريد بالملك،.

قال الأستاذ: مبالغة في وصف الملك والملك القدرة على الإيجاد ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الآية 23] البالغ في النزاهة عما يوجب المنقصة ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الآية 23] ذو السلامة من كل آفة، مصدر وصف به للمبالغة.

وقال الأستاذ: الذي يسلم على أوليائه ويسلم المسلمين من أعدائه ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الآية 23] واهب الأمْنَ من المحنة أو الغفلة.

وقال ابن عطاء: المؤمن الذي أمن المؤمنين عن خوف ما سواه.

وقال الأستاذ: الذي يصدق عبده في توحيده فيقول له صدقت ويصدق نفسه في إخباره أي يعلم أنه صادق في وعده ووعيده ويؤمن المؤمن من عذابه. قال بعضهم: الذي لا يخاف من ظلمه. ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الآية 23] الرقيب الحافظ لكل شيء من بلاده وعباده وإن لم يحفظوا أوامره وزواجره/ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ 344/ ب [الآية 23] المنيع الذي لا مقام له أو البديع الذي لا مثل له أو الغالب على مراده والمعز إن شاء من عباده ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ [الآية 23] الذي جبر العباد على ما أراد أو جبر حالهم وأصلح بالهم ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الآية 23] المتعالى من أن يُدرك كنه ذاته وحقيقة صفاته ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 23] به من مخلوقاته.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ [الآية 24] المقدر للأشياء على مقتضى حكمته ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ [الآية 24] الموجد لها بريئاً من التفاوت وفق إرادته ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الآية 24] الموجد لصورها وكيفياتها وكمياتها المتميزة بين خليقته ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 24] لأنها دلالة على الصفات العلى ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية 24] لتنزُّهه عن النقائص كلها ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 24] أي الكامل في القدرة والعلم فهو الجامع للكمالات بأسرها.

قال القاضي: ومن أراد الإطناب في شرح هذه الأسماء فعليه بكتابي المسمّى بـ«منتهى المنى».

وقال الأستاذ: وقد استقضينا الكلام في معاني هذه الأسماء في كتابنا المسمى بـ«البيان والأدلة في معاني أسماء الله تعالى» انتهى، ولقد بيضت زبدة هذه المباني وعمدة هذه المعاني في شرح «المرقاة للوصول إلى المشكاة».



سورة الممتحنة

[مدنيّة]

وهي ثلاث عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم مَلِكٍ مَلَكَ الخلق بأجمعهم لكنه اختار قوماً لرفعهم لا ينتفع بهم بل لنفعهم وردّ آخرين وأذلّهم بمنعهم وَوضعهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى﴾ [الآية 1] فيه تنبيه إلى غاية غضبه على الكفار ونهاية حبه للأبرار، وفي تقديمه إيماء إلى ما سبق لهم من البوار مع الإشارة إلى حسن الملاطفة في ضمن المشاركة حيث قال: ﴿عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية 1] نزلت في حاطب بن أبي بلتعة فإنه لما علم أن رسول الله ﷺ يغزو أهل مكة كتب إليهم: أن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم، وأرسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل وأخبره فبعث رسول الله ﷺ علياً وعمّاراً وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال: انطلقوا حتى روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلُّوها فإن أبت فاضربوا عنقها. فأدركوها فجحدت فسل علي رضي الله عنه السيف فأخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله ﷺ حاطباً وقال: ما حملك عليه؟ فقال: ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرءاً ملصقاً في قريش وليس لي فيهم من يحمي أهلي فأردت أن آخذ عندهم يداً وعلمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئاً. فصدّقه رسول الله ﷺ وعذره[1].

---

(1) انظر تفسير البغوي (8/ 93)، والكشاف (7/ 36)، وتفسير أبي السعود (8/ 235).

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الآية 1] أي توصّلون/ إليهم المودة أي بالمخافة 345/ أ منهم بنحو المكاتبة والباء مزيدة أو إخبار رسول الله بسبب تحصيل المودة، والجملة حال من فاعل ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟﴾ [الآية 1]، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 1] حال من أحد الفعلين ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الآية 1] أي من مكة حال من كفروا أو استئناف بيانه ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الآية 1] لأن تؤمنوا به أو كراهة إيمانكم بربكم من غير جنح أضر بكم ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ [الآية 1] عن أوطانكم ﴿جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ [الآية 1] علة للخروج وجواب الشرط محذوف دل عليه ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟﴾ [الآية 1] أي فلا تتخذونهم أولياء ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الآية 1] أي أتسرون أو خبر أريد به التوبيخ ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ﴾ [الآية 1] أي منكم ﴿بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ [الآية 1] بسركم وعلنكم ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ﴾ [الآية 1] أي الإيجاد ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 1] أخطأ الطريق المستقيم وعدل عن الدين القويم.

قال أبو الحسين: بما أخفيتم في باطنكم من المعصية وما أعلنتم في ظاهركم للخلق من الطاعة.

وقال أبو حفص: من أحب نفسه فقد اتخذ عدو الله وعدوه ولياً.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام قال: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»[1].

وأوحي إلى داود عليه السلام: عاد نفسك فليس لي في المملكة منازع غيرها، فمن عادى نفسه قام بحق هذه الآية ومن لم يعاد نفسه لحقه هذه الوصمة فأصل الإيمان الموالاة والمعاداة في الله. قلت: وفي الحديث أفضل الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ [الآية 2] يجدوكم ويظفروا بكم ﴿يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾ [الآية 2]

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (3/ 294) رقم (3445)، والبيهقي في الزهد الكبير (1/ 359) رقم (355).

وإلقاء المودة إليهم لا ينفعكم ﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الآية 2] بما يسوؤكم من قتلكم وفتنتكم ﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية 2] والحال أنهم قد تمنوا ارتدادكم.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ الآية 3] أقاربكم عموماً ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ [الآية 3] خصوصاً من الذين توالون لأجلهم أعداءكم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 3] وقت الملامة والندامة ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية 3] يفرق بينكم بما يصيبكم من هول ذلك اليوم فيفر بعضكم من بعض فما لكم تتركون اليوم حق الله عليكم لمن يفرغوا عنكم. وقرأ عاصم بالبناء للفاعل وحمزة والكسائي بالتشديد معلوماً، وابن عامر به مجهولاً ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 3] فيجازيكم على القليل والكثير.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الآية 4] قدوة مستحسنة ﴿فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الآية 4] أي وفيمن شاركوه في تلك الصفقة واقتدوا به في تلك الحالة.

وقال الأستاذ: أي ومن قبله من الأنبياء ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ﴾ الآية 4] أي بريؤون من موالاتكم في جميع حالاتكم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 4] أي من معبوداتكم غير الله ومن عباداتكم لما سواه كفرنا بكم بدينكم أو معبودكم ﴿وَبَدَا﴾ [الآية 4] ظهر ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ﴾ [الآية 4] ظاهراً ﴿وَٱلْبَغْضَآءُ﴾ [الآية 4] باطناً ﴿أَبَدًا﴾ [الآية 4] دائماً سرمداً ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الآية 4]/ 345/ب أي منفرداً فينقلب العداوة والبغضاء إلفة ومحبة ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الآية 4] استثناء منقطع من قوله ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الآية 4] فإن استغفاره لأبيه الكافر ليس مما ينبغي أن يقتدى به فإنه كان قبل النهي عن الاستغفار للكفار أو قبل تحقق كفر أبيه كموعدة وعدها إياه فلما تبين أنه عدو لله تبرأ منه ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [الآية 4] من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه. والحاصل أن استغفار الكفار منهي عنه ولو مع هذا القول الذي بانفراده يستحسن الاقتداء به ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 4] مرجعنا.

والجملة من جملة قول إبراهيم والذين معه وكذا قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا

﴿فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 5] بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا طاقة لنا به واغفر لنا ما فرط منا إنك أنت العزيز الغالب على مراده الحكيم فيما يفعل بعباده، ويحتمل أن يكون الجملتان تلقين لنا أن نذكرهما في دعائنا ولا يبعد أن يقدر قولوا.

قال ابن عطاء: الأسوة بالخليل في ظاهر من الأخلاق الشريفة كالسخاء وحسن الخلق واتباع ما أمر به على وفق الصدق وفي الباطن من الأحوال المنيفة كالإخلاص لله تعالى في جميع الأفعال والإقبال عليه في كل الأحوال وطرح الكل في ذات الله.

وأفاد الأستاذ أن الفائدة في هذه الآية تخفيف الأمر على قلب النبي ﷺ والمؤمنين بالتعريف أن من قبلهم كذبوا أنبياءهم فإن الله أهلك أعداءهم.

﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ﴾ [الآية 6] بدل من لكم كدرٌ لمزيد الحث على التأسي بإبراهيم فإنه مقام عظيم ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ [الآية 6] يعرض عن هذا الأمر الأكيد ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ [الآية 6] عن طاعة مخلوقاته ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الآية 6] في ذاته وصفاته.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ﴾ [الآية 7] لما نزل ما صدر في الآية عادى المؤمنون أقاربهم الكفرة وتبرؤوا عنهم بالكلية فوعدهم الله بذلك وأنجز وعده هنالك إذ أسلم أكثر الأعداء فصاروا لهم من الأولياء ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ﴾ [الآية 7] على ذلك إذا تعلقت الإرادة هنالك ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ [الآية 7] لما فرط منكم في موالاتهم ﴿رَّحِيمٞ﴾ [الآية 7] بما صدر عنكم من معاداتهم.

وفي الحديث: أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغضيك يوماً ما وأبغض بغيضك هوناً، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما[1].

قال ابن عطاء في الآية: أي لا تبغضوا عبادي كل البغض فأنا قادر

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (5/ 213) رقم (5119)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 360) رقم (1997)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 260) رقم (6593)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 260) رقم (35876).

على أن أنقلهم إلى المحبة كنقلهم من الحياة إلى الممات ومن الموت إلى الحشر والنشر.

346/ أ ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ/ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ [الآية 8] أي عن مبرّة هؤلاء لأن قوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [الآية 8] بدل اشتمال من الموصول ﴿وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 8] وتفضوا إليهم بالعدالة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الآية 8] العادلين في جميع الحالات ويحب الرفق في جميع أمور الخلق وقضية المؤلفة قلوبهم شاهدة لهذه الجملة.

روي أن قتيلة قدمت بيت مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن بالدخول لها فنزلت: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟﴾ [الآية 9] وعاونوا ﴿عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾ [الآية 9] كمشركي مكة ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ [الآية 9] أي تتولوهم وتوالوهم بدل اشتمال من الموصول ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 9] لوضع الولاية في موضع العداوة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الآية 10] فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن ألسنتهن في إظهار إيمانهن ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ [الآية 10] فإنه المطلع على قلوبهن ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الآية 10] أي العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات وإنما سماه علماً إيذاناً بأنه كالعلم في وجوب العلم به ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الآية 10] فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفرة لقوله: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الآية 10] والتكرير للمطابقة والمبالغة وللأول لحصول الفرقة والثاني للمنع عن استئناف الوصلة ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ [الآية 10] ما دفعوا إليهن من مهورهن وذلك لأن صلح الحديبية جرى على أن من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي لزمه رد مهورهن، إذ روى عنه عليه السلام كان بعد الحديبية إذ جاءته سبيعة بنت الحارث الأسلمية فأقبل زوجها مسافر المخزومي طالباً لها

فنزلت فاستحلفها رسول الله فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضي الله عنه[1].

وفي الحديث إشارة إلى أن حكم الآية في دفع المهر منسوخ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [الآية 10] فإن الإسلام حال بينهن وبين أزواجهن من الكفار ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ الآية 10] مهورهن شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذاناً بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مهرهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟﴾ [الآية 10] وقرأ البصري بالتشديد ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الآية 10] جمع عصمة أي بما يعتصم به الكافرات من عقد ونسب، والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات من غير الكتابيات ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ [الآية 10] من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ [الآية 10] من مهور أزواجهم المهاجرات إلى الإبرار ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية 10] جميع ما ذكر في الآية ﴿حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] على الأمة ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية 10] استئناف ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية 10] فأحكام شريعته على مقتضى حكمته/ .

346/ ب

﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ [الآية 11] سبقكم أو انفلت معكم ﴿شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ [الآية 11] أي من مهور نسائكم ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ [الآية 11] فجاءتكم عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر شبه الحكم بأداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وألئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ الآية 11] من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر، إذ روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة أبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر فنزلت، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 11] فإن الإيمان به يقتضي التقوى منه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الآية 12] نزلت يوم الفتح فإنه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾ [الآية 12] يريد وأد البنات ﴿وَلَا يَأْتِينَ

---

(1) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 460) رقم (1330).

بِبُهْتَٰنٍ﴾ [الآية 12] أي بكذب ﴿يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الآية 12] أي من تلقاء أنفسهن ويدخل فيه إلحاق ولد الغير بأزواجهن ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ﴾ [الآية 12] في حسنة تأمرهن بها، والتقييد بالمعروف مع أن الرسول لا يأمر إلا به تنبيه على أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما ورد.

قال ابن عطاء: أي لا يخالفنك في شيء من الطاعة.

وقال الأستاذ: يدخل في ذلك النياحة وشق الجيوب ونتف الشعر عند المصيبة وتخميش الوجه والتبرج وإظهار الزينة وأمثالها ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾ [الآية 12] فيما فرط منهن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية 12] لذنوبهن ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 12] في بيعة سنهن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 13] من اليهود وغيرهم ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الآية 13] لكفرهم أو لعلمهم بأنّه لا حظ لهم ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الآية 13] من أن يبعثوا أو يثابوا، وقيل من بيانية.



[مدنيَّة]

وهي أربع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: هي كلمة من وفّقه الله لعرفانه لم يصبر عن ذكرها بلسانه ثم لا يفتر حتى يصل إلى المسمّى بها بجنانه وفي البداية يتأمل في برهانه لمعرفة سلطانه ثم لا يزال يزيد في إحسانه ثم في نهاية شأنه فبالتحقيق مما هو كعيانه.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①﴾ [الآية 1] سبق تفسيره وتقدم تحريره.

وأفاد الأستاذ: أن من أراد أن يصفو له تسبيحه فليصفّ قلبه عن آثار غيره ومن أراد أن يصفو له في الجنة عيشه فليصفّ عن أوضار ذنبه نفسه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ②﴾ [الآية 2] روي أن المسلمين قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فأنزل/ 347/ أ الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ [الآية 4] فولّى بعضهم يوم أُحد فنزلت، ولِمَ مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والأكثر حذف ألفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معاً واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ③﴾ [الآية 3] المقت أشد البغض ونصبه على التمييز وفي الكلام مبالغة في المنع عن الدعوى من غير تحقق المعنى.

ففي «تفسير السلمي» هذه الآية زجر وتهديد لأهل التحقيق والمشاهدة إذ ليس للعبد فعل ولا تدبير لأنه أسير في قبضة الغرة تجري عليه أحكام القدرة وتصاريف المشيئة، فمن قال فعلت أو أتيت أو شهدت فقد نسي مولاه وأعرض عن بره وادعى ما ليس له.

قال الأستاذ: وفي الجملة خلف الوعد مع كل أحد قبيح ومع الله أقبح. ويقال: لم يتوعد على زلة بمثل ما على هذه المخالفة. ويقال: إظهار التجلد مع الخلق من غير شهود مواضع الفقر إلى الحق في كل نفس يؤذن بالبقاء عما حصل به الدعوى والله يحب التبري من الحول والقوة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الآية 4] مصطفين مصدر وصف به مبالغة ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الآية 4] محكم في تراصهم من غير فرجة في خلالهم.

وأفاد الأستاذ: أن المحبة توجب إيثار تقديم مراد حبيبك على مراد نفسك وتقديم محبوب حبيبك على محبوب نفسك، فإذا كان الحق تعالى يحب من العبد أن يقاتل على الوجه الذي ذكره فمن لم يؤثر محبوب ربّه على محبوب نفسه انسلخ من محبته لربّه ومَن خلا من محبة الله وقع في الشق الآخر فخسرانه يؤدي إلى زوال كمال إيمانه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ [الآية: 5] من بني إسرائيل ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ [الآية 5] بالمعصية والرمي بالأدرة ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية 5] بما جئتكم من أنواع المعجزة، والجملة حال مقررة للإنكار فإن العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع إيذاءه، وقد لتحقيق العلم ولا يبعد أن يكون لتقليله فإن أدنى العلم بالنبوة العلية يمنع الأذية ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ الآية 5] عن طريق الحق ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الآية 5] صرفها عن قبول الحق أو زاد زيغ قلوبهم عن معرفة ربهم، أو لما زاغوا بحسب الظاهر تبين أن الله أزاغهم بحسب الباطن ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الآية 5] أي الخارجين عن الطاعة هداية موصلة إلى حصول

المعرفة، أو إلى دخول الجنة.

قال جعفر: لما تركوا مراعاة أمر الخدمة نزع الله عن قلوبهم نور المعرفة وجعل للشيطان إليهم طريقاً / يضلهم فأزاغهم عن طريق الحق 347/ ب وأدخلهم في مسالك الباطل.

قال الواسطي: فلما زاغوا في العلم والمعرفة أزاغ الله قلوبهم في الجنة.

وقال الأستاذ: لما زاغوا بترك الحد أزاغ الله قلوبهم بنقض العهد. ويقال: فلما زاغوا عن طريق الرشد أزاغ الله قلوبهم بالصد والرد والبُعد عن الرد. ويقال: فلما زاغوا بظواهرهم أزاغ الله سرائرهم. ويقال: فلما زاغوا عن العبادة أزاغ الله قلوبهم عن الإرادة.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾ [الآية 6] لما تقدم من قبلي أو لما هو موجود قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الآية 6] أي الكتاب المنزل على موسى ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الآية 6] يعني محمداً ﷺ. والمعنى أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه السابقة واللاحقة واكتفى بذكر أول الكتب المشهورة الذي حكم به أكثر النبيين وبخبر النبي الذي هو خاتم المرسلين، وأحمد يحتمل أن يكون أفعل تفضيل للفاعل أو المفعول، أي أكثر الناس حامدية أو محمودية فهو لهذا الاعتبار أبلغ من نعت المحمدية، ولعل الاقتصار في القرآن على اسمه محمد للإيماء إلى غلبة رتبته المحبوبية وحالته المجذوبية.

وقال ابن عطاء: هو أحمد الحامدين حمداً وأحمد المطيعين له طاعة، وأحمد العارفين له معرفة، وأحمد المشتاقين إليه شوقاً ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 6] بالمعجزات الواضحات ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 6] والإشارة إلى ما جاء به أو إلى الجائي وتسميته سحراً للمبالغة، ويؤيده قراءة حمزة والكسائي: هذا ساحر، على أن الإشارة إلى عيسى المرتضى أو أحمد المصطفى.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ [الآيـة 7] أي لا أحد أظلم ممن يدعى إلى دين الإسلام الظاهر حقيقة ما فيه من الأحكام المقتضي له في الدارين خير المرام فيضع موضع قبوله الافتراء على الله بتكذيب رسوله فإن الافتراء يعم إثبات المنفي ونفي الثابت بحسب الاقتضاء ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 7] إلى مقام التحقيق حيث وضعوا التكذيب موضع التصديق.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟﴾ [الآية 8] أي أن يطفؤوا كما في آية أخرى، وقيل: تقديره يريدون الافتراء ﴿لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الآية 8] يعني دينه أو كتابه بطعنهم فيه ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ [الآية 8] مبلِّغٌ غايته وموصل نهايته بنشره وإعلائه. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالإضافة ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 8] أي إرغاماً لا يفهم وإلزاماً بحالهم.

348/ أ وأفاد الأستاذ: أن ما أنار الله من برهان / وأعلنه من شأن فمن احتال وهْنَهُ أو رام وهيه انعكس عليه كيده ومكره وانتقض عليه تدبيره ويأبى الله إلا أن يتم نوره. وكما قالوا:

ولله سرٌ في علاكَ وإنما كلام العدى نوع من الهذيان

وقيل: مثل من يتمنى أن يطفىء نور الإسلام بكيده كمن يحتال ويزاول إطفاء شعاع الشمس بنفخه ونفثه وذلك من المحال في نفسه.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية 9] بالقرآن أو المعجزة والبرهان ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 9] أي الثابت المطلق ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الآية 9] ليعلِّيه ويغلِّبه على أفراد جنس الدين جميعه ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الآية 9] نافية من محض توحيد الذات وتفريد الصفات.

وقال الأستاذ: لقد أرسل الله نبيه لدينه موضحاً وبالحق مفصحاً ولتوحيده معلناً ولجهده في الدعاء إلى الله مستفزعاً فأفرغ بنصحه قلوبنا نكراً وبصّر بنور تبليغه عيوناً عمياً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ [الآيـة 10] وقـرأ ابـن عـامـر

بالتشديد أي تخلصكم وتنجيكم ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 10].

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الآية 11] استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الإيمان والمجاهدة المؤدي إلى كمال المعزة في الدنيا والآخرة. والمراد به الأمر، وإنما جيء بلفظ الخبر إيذاناً بأن ذلك مما لا يترك ولا يتأخر ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية 11] أي ما ذكر من الاعتقاد والاجتهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 11] تميِّزون الخير من الشر والنفع من الضر.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الآية 12] جواب للأمر المدلول عليه بلفظ الخبر ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الآية 12] بساتين إقامة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية 12] الإشارة إلى ما ذكر من حصول المغفرة ودخول الجنة.

وأفاد الأستاذ: أنه سمى الإيمان والجهاد تجارة لما فيها من الربح والخسارة ونوع تكسُّب من التاجر في تلك الحالة فكذا في الإيمان والجهاد ربح الجنة وخسرانها وفي ذلك اجتهاد العبد في تحصيل شأنها ثم بيّن الربح على تلك التجارة بقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الآية 12] فقدم ذكر أهم الأشياء وهو المغفرة ثم بعد فراغ القلوب عن العقوبة ذكر إدخال الجنة وما فيها من أنواع اللذة. ثم قال: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ [الآية 12] إذ لا تطيب تلك المساكن إلا بالرؤية ولذا قالوا:

أجيراننا ما أوحش الدار بعدكم ... إذا غبتم عنها ونحن حضور[1]

وقالوا نحن في أكمل السرور ... ولكن ليس إلا بكم يتم السرور

عيب ما نحن فيه يا أهل ودِّي ... أنكم غُيَّب ونحن حضور[2]

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ [الآية 13] أي ذلكم نعمة أخرى محبوبة عاجلة ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 13] بيان لها أو أخرى مبتدأ خبره ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الآية 13]

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 133) و(7/ 423).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 145) و(4/ 200) و(7/ 423).

348/ب في العاجل ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 13] / بحصول العاجل ووصول الآجل وهو معطوف على محذوف مثل قل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الآية 10].

قال جعفر الصادق: بشارة إلى رؤيته في مقعد صدق.

وقال الأستاذ: ذلكم نعمة أخرى تحبونها ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 13] في حفظ الإيمان والإسلام وتثبيت الأقدام في ميدان الأحكام اليوم على طريق الاستقامة وغداً على صراط القيامة ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الآية 13] الرؤية والزلفة. ويقال: دوام الشهود وبقاء الوجود ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 13] بأنهم لا يبقون عنك في هذه الوصلة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 14] أي أعوان دينه ونبيه، وقرأ الجرجاني وأبو عمرو بالتنوين واللام للدلالة على الإخلاص في المقام ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [14] أي مَن أعواني، متوجهاً إلى نصرة الله ليطابق قوله ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 14] والتشبيه باعتبار المعنى أدخل المبنى قل لهم كما قال عيسى أو كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى.

وفي العدول عن ظاهر العبارة إلى ما يستفاد منه البشارة دلالة على ثبوت أنصار محمد عليه الصلاة والسلام بوصف الكمال والدوام حيث كان بأمر الله سبحانه بخلاف أنصار عيسى عليه السلام حيث كان بقوله فاختلفوا في قبوله ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 14] بعيسى فأكرموا وكفرت طائفة بعيسى فأذلُّوا والحواريون أصفياؤه من الحور وهو البياض وضياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً، وأما نبينا ﷺ فكثر له الأنصار من المهاجرين والأنصار حتى بلغوا على ما قيل مائة وعشرين ألفاً من الصحابة الأبرار.

وقال الأستاذ: لما تقاعد قومه عن نصرته وانتدبت أعداؤه لتكذيبه وجحدوا ما شاهدوه من صدقه قيّض له أنصاراً من أمته هم نزّاع القبائل وآحاد الأفاضل وسادات الأماثل وأفراد المناقب وأوتاد المراتب فبذلوا في

إعانته ونصرة دينه مهجتهم ولم يؤثروا عليه شيئاً من كرائمهم ووقوه بأرواحهم وحفظوه بأشباحهم وأمدهم الله لنصرة دينه أولئك أقوام عجن الله بماء السعادة طينة أشباحهم وخلق من نور التوحيد طيبة أرواحهم وأهَّلهم يوم القيامة للسيادة على أضرابهم وأشباههم.

﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ [الآية 14] بالحجة وبالمحاربة، وتلك بعد رفع عيسى إلى مقام الرفعة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الآية 14] فصاروا غالبين.



سورة الجمعة

[مدنية]
وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

349/أ قال الأستاذ: اسم عزيز/ إذا تجلى لعبد بوصف جماله تجمعّت أفكاره على بساط جوده فلم تتفرق بسواه ومن تجلّى لسرّه بنعت جلاله اندرجت جملته واستهلكت في وجوده فلم يشعر بكرائم دنياه ولا بعظائم عقباه.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الآية 1].

قال الأستاذ: يسبّح في بحار توحيد الحق أسرار أهل التحقيق ويجريهم بلا شاطىء، فبعدما حصلوا فيها فلا خروج فحازت أيديهم جوائز التفريد فوضّعوها في تاج العرفان ولبسوه يوم اللقاء الملك المتفرد باستحقاق الجبروت القدُّوس المنزَّه عن الدرك والوصول في الملك والملكوت، ليس بيد الخلائق إلا عرفان الحقائق بنعت المتعالي والتردد في شهود أفعاله. وأما الوقوف على حقيقة آليته فجلّت الصمدية عن إشراف عرفان عليه أو طمع إدراك في حال رؤيته أو جواز إحاطة في العلم به ليس الإقالة بلسان مستنطق وحاله بشهود حق مستغرق وقلن لنا نحن الأهلة إنما تطفىء لمن يسري بليل ولا تقرى.

﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ [الآية 2] أي في العرب لأن أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرأون ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية 2] من جملتهم أمياً مثلهم ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 2] مع كونه أمياً نحوهم لم يعهد منه صنعة كتابة ولا تعلُّم قراءة

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الآية 2] من خبائث الأحوال والأعمال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية 2] القرآن والشريعة أو معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يوجد له معجزة سواه لكان كفاه كما قال صاحب البردة:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة   في الجاهلية والتأديب في اليتم[1]

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 2] من الشرك والجهل وهو بيان لشدة حاجتهم إلى نبي مرشد لهدايتهم. وإن هي المخففة واللام الفارقة.

وقال الأستاذ: جرده عن تكلُّف تعلُّم علم وعن اتصاف يتطلب وقوف على حكم ثم بعثه فيهم فأظهر عليه من الأوصاف ما فاق به على جميعهم، أيتمه في الابتداء عن أبيه وأمه ولكن آواه بلطفه وكرمه فكان ذلك أبلغ وأتم وأفرده عن تكلُّفه للعلم ولكن قال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النِّساء: الآية 113] ألبسه لباس المعزّة وتوَّجه بتاج الكرامة وخلع عليه حسن التولِّي ليكون آثار البشرية عنه مندرسة وأنوار الحقائق عليه لائحة.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 3] أي بعث في آخرين منهم وهم العجم ومن يأتي إلى يوم القيامة من الأمم، فهو ﷺ مبعوث إليهم وقبول حكمه واجب عليهم ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الآية 3] أي لم يلحقوا بهم وسيلحقون إليهم ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 3] الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 3] ذو الحكمة في تدبيره وتقديره/ . 349/ ب

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 4] تفضله بالإيمان والمعرفة والتوفيق والطاعة ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية 4] الذي يستحقر دونه نعم الدنيا والآخرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قطع الأسباب بالجملة في استحقاق الفضل إذ أحاله على المشيئة.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ [الآية 5] علّموها وكلِّفوا بعملها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الآية 5] لم يعلموا بها ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الآية 5] كتباً من

(1) نسب إلى البوصيري. انظر دواوين الشعر العربي (9/ 75).

العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بما على ظهرها من حملها حال أو صفة لأن الحمار في المعنى نكرة.

وأفاد الأستاذ: أنه يلحق بهؤلاء في الوعيد من حيث الإشارة الموسومون بالتقليد في أي معنى شئت إن شئت في علم الأصول وما طريقه أدلة العقول، وإن شئت في هذه الطريقة مما طريقه المنازلة انتهى. والتحقيق أن التقليد صحيح في باب التصديق والله وليّ التوفيق ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] أي مثل المكذبين بآيات الله الدالة على نبوة رسول الله ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية 5] إلى ما فيه رضاه.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾ [الآية 6] مالوا عن طريق الحق وتهودوا ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 6] إذ كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه وكانوا يدَّعون أن الدار الآخرة خالصة لهم وخاصة بهم ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ [الآية 6] فاطلبوا من الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية والملامة إلى محل الكرامة والسلامة ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الآية 6] في زعمكم أنها لكم خالصة.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 7] بسبب ما قدموا من الكفر والمعصية ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية 7] فيجازيهم على أعمالهم بحسب تفاوت أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن هذا من معجزاته ﷺ صرف قلوبهم عن تمني الموت إلى هذه المدة فدل على صدق صاحب النبوة.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ [الآية 8] أي تتنفرون منه بجنانكم وتخافون أن تتمنوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤاخذوا بأعمالكم ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ﴾ [الآية 8] لاحق بكم أو يقابلكم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الآية 8] أي السر والعلانية، والمعنى ترجعون إلى حكمه فيكم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 8] فيجازيكم بأعمالكم وفق أحوالكم.

وأفاد الأستاذ أن الموت جسر والمقصد عند الله، وفي الخبر: من كره لقاء الله كره الله لقاءه فمن لم يعش عفيفاً فليمت ظريفاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية 9] أي أُذِّن لها ﴿مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الآية 9] بيان لإذا أو من بمعنى في، والمراد به الأذان الأول وهو وقت تحقق الزوال والثاني وهو ما بين يديّ الخطيب، والأظهر الثاني والأحوط/ الأول، 350/ أ فتأمل ففي الحديث: «إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول على مراتبهم»[1].

وكانت الطرقات في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مضيقة بالمبكرين إلى الجمعة. وقيل: أول بدعة أُحدثت في الإسلام ترك البكور في أيام الجمعة. وعن ابن مسعود: أنه بكّر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتمَّ وأخذ يعاقب نفسه ويقول: أراك رابع أربعة وما رابع أربعة بسعيد[2]. وسمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة.

وأول جمعة جمّعها رسول الله ﷺ إذ نزل قباء عند الهجرة وأقام بها إلى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف[3].

وفي الحديث: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُهْبِط إلى الأرض، وفيه تقوم الساعة، وهو عند الله يوم المزيد[4]. وعنه عليه السلام: إن لله تعالى في كل جمعة ستمائة عتيق من النار[5].

---

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (3/ 493) رقم (2640)، والزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (4/ 21) رقم (1345).

(2) أخرجه البزار في مسنده (2/ 308) رقم (1524)، والطبراني في المعجم الكبير (10/ 78) رقم (10013)، وابن ماجه في السنن (1/ 348) رقم (1094)، وانظر تخريج الأحاديث والآثار (4/ 22) رقم (1346).

(3) انظر تخريج الأحاديث والآثار (4/ 14) رقم (1340)، والروض الأنف (2/ 331).

(4) ورد من دون لفظ «وهو عند الله يوم المزيد»، انظر ما أخرجه مسلم في الصحيح (854/ 18)، الترمذي في الجامع الصحيح (2/ 359) رقم (488)، والبيهقي في السنن الكبرى (3/ 251) رقم (5800).

(5) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3/ 113) رقم (3042)، وأبو يعلى في المسند (6/ 156) رقم (3434).

﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 9] فامضوا إليه وبادروا بالوصول لديه. والمراد به الخطبة والصلاة والأمر بالسعي إليهما يدل على وجوبهما ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الآية 9] واتركوا كل شاغل عنهما ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ [الآية 9] أي السعي إلى ذكر الله ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [الآية 9] من جميع الدنيا، فإن نفع الآخرة خير وأبقى ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 9] الخير والشر وتميزون بين النفع والضر.

وأفاد الأستاذ: أن منهم من يحمل ترك البيع على النظائر في المعاملة مع الخلق، ومنهم من يحمله عليه وعلى معنى آخر وترك الاشتغال بملاحظة الأعواض والتناسي عن جميع الأغراض إلا معانقة الحق، ومنهم من يسعى إلى ذكر الله جهراً بجهر ويسعى إلى الله سرّاً بسرّ.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ [الآية 10] أُدّيت بكمالها وفرغ من أعمالها ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 10] فأُبيح لكم الانتشار والتفرق فيها بعد الاجتماع ببعضها ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] رزقه بالتجارة والزراعة والصناعة ونحوها، أو الانتشار في طلب المباح من الدنيا والابتغاء في تحصيل الأخرى.

وفي الحديث: وابتغوا من فضل الله ليس لطلب الدنيا وإنما هو عبادة وحضور جنازة وزيارة أخٍ في الله.

وقال الأستاذ: إنما ينصرف مَن كان له مرجع يرجع إليه أو شغل يقصد ويشتغل به ومن لا شغل له ولا مأوى فإلى أين يرجع، قلت: قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ [العلق: الآية 8]. ثم قال: إنما يقال ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] إذا كان له إرب فاءَ من سكن عنه المطالبات وكفي داء الطلب فما له وابتغاء ما ليس يريده ولا هو في رقه. قلت: فما بقي إلا ابتغاء / وجه ربه الأعلى. ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأنفال: الآية 45] في جميع حالاتكم وسائر أوقاتكم ولا تخصوه بساعات صلاتكم ﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الآية 10] تفوزون بعلوّ مقاماتكم. 350/ب

﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الآية 11] تفرقوا إلى التجارة، واكتفى بها لأن اللّهو كان تابعاً لها، وقرىء إليه وإليهما. روي أنه عليه السلام كان يخطب

للجمعة فمرّت عير تحمل الطعام فخرج الناس إليهم إلا اثني عشر فنزلت، وأو للتنويع للدلالة على أن منهم من انفضّ لمجرد سماع الطبل ورؤيته، ومنهم من انفضّ لاشتراء الطعام بعذر شدة حاجته ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ﴾ [الآية 11] على المنبر واقفاً بذكر الله وطاعته.

وأفاد الأستاذ: أن من أشركته أخطار الأشياء استجاب لكل داع جرّه إليه الهوى. وجملة على سهو ومن ملكه سلطان الحقيقة لم ينحرف ولم يلتفت عن حال الشهود ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 11] من المثوبة والقربة ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾ [الآية 11] المشغلة عن مقام الوصلة ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الآية 11] فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق لديه.

وأفاد الأستاذ أن ما عند الله للعباد والزهد غدا خير مما نالوه من الدنيا نقداً، وما عند الله للعارفين من واردات القلوب وبواده الحقيقة في الدنيا خير مما يؤمل غيرهم في المستأنف من الدنيا والعقبى.



[مدنية]
وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسمٌ مَن تحقق به صدق في أقواله ثم صدق في أعماله ثم صدق في أخلاقه ثم صدق في أحواله ثم صدق في أنفاسه فصدقه في القول أن لا يقول إلا عن برهان، وصدقه في عمله أن لا يكون للبدعة عليه سلطان، وصدقه في أخلاقه أن لا يلاحظ إحسانه مع الكافة بعد المبالغة فيه بعين النقصان، وصدقه في أحواله أن يكون على كشف وبيان، وصدقه في أنفاسه أن لا يتنفس إلا على وجود كالعيان.

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [الآية 1] الشهادة إخبار عن علم من الشهود وهو الحضور ولذا صدّق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [الآية 1] لاطِّلاعه على أنهم لم يعتقدوا ذلك ولم يثبتوا هنالك.

قال سهل: لأنهم أقروا واعترفوا بلسانهم ولم يعرفوا بجنانهم فلذا سماهم الله منافقين ومن عرف بقلبه واعترف بلسانه ولم يعمل بأركانه ما فرض الله عليه من غير عذر في شأنه فهو من الفاسقين شبيه بالمنافقين.

351/أ وقال الأستاذ: كذبهم فيما قالوا إنَّا نشهد عن بصيرة نعتقد تصديقك/ في سريرة فلم يكذبوا فيما كانوا يشهدون ولكن في قولهم إنَّا مصدقون وفي دعواهم إنَّا مخلصون. ويقال: صدق القالة لا تنفع مع قبح الحالة، ويقال: الإيمان يوجب الأمان فالإيمان يوجب للمؤمن إذا كان عاصياً خلاصه من

العذاب أكثره وأقله لا ما ينقله من أعلى جهنم إلى أسفله.

﴿اتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ [الآية 2] الكاذبة ﴿جُنَّةً﴾ [الآية 2] وقاية عن القتل والسبي والمذلّة ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 2] صدودات واشتغالاً وإعراضاً أو صداً ومنعاً واعتراضاً ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 2] من نفاقهم وشقاقهم وصدودهم.

قال الأستاذ: تستروا بإقرارهم وتكشفوا بنفاقهم عن أستارهم فافتضحوا وذاقوا وبال أحوالهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 3] القول الشاهد على سوء إسرارهم ﴿بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 3] بسبب أنهم آمنوا بظواهرهم ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ [الآية 3] بسرائرهم، فثمَّ بمعنى الواو أو للاستبعاد عن مخالفة حالتهم لظاهر قالتهم وآمنوا عند أهل الوفاق وكفروا فيما بين أهل الشقاق كما هو شأن أهل النفاق لو آمنوا إذا رأوا آية ثم كفروا حيث ما سمعوا من شياطينهم شبهة ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الآية 3] لما صدر عنهم من بعد مرة فاستمروا على الكفر واستحكموا في الغدر ﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [الآية 3] حقيقة الأمر.

وقال الأستاذ: استضاؤوا بنور الإجابة فلم يبسط عليهم شعاع نور السعادة فانطفأ نورهم بقهر الحرمان من الطاعة والعبادة ونفوا في ظلمات القساوة بحكم الشقاوة على ما مضى لهم من القسمة السابقة.

﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ [الآية 4] لضخامتها وفخامتها وصباحتها وملاحتها ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾ [الآية 4] لحلاوة كلامهم وحِدَة لسانهم في تأدية مرامهم ﴿كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾ [الآية 4] قرأ قنبل وأبو عمرو والكسائي بسكون الشين تخفيفاً والجملة حال من الضمير المجرور في قولهم، والمعنى تسمع لما يقولونه مشبّهين بأخشاب منصوبة مسندّة إلى الجدار لا هي مركبة في البناء ولا مغروسة في موضع النماء فينتفع بها من بين الأشياء فكأنهم أشباح ليس فيها أرواح لخلوهم عن النظر في الابتداء أو التدبر في الانتهاء ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية 4] يتوهمون أن كل صيحة يسمعوها واقعة عليهم باتهامهم فيما لديهم وبجنبهم إذ ليس لهم انتعاش بربّهم ولا استقلال بعزّهم لعدم إيمانهم

بقلبهم ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [الآية 4] ولا يغرنك تبسطهم في الكلام على وجه التودُّد والتقرُّب في المقام ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 4] دعاء عليهم بمعنى أنه سبحانه طلب/ في ذاته أن يلعنهم أو تعليم للمؤمنين بأن يقولوا ذلك في حقهم ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الآية 4] يُصرفون عن طريق الحق وسبيل الصدق.

351/ب

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] لما صدر عنكم وفرط منكم ﴿لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾ [الآية 5] قرأ نافع بتخفيف الواو أي عطفوها إعراضاً واعتراضاً على وجه الاستكبار ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ [الآية 5] يعرضون عن الاستغفار ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية 5] عن الاعتذار.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية 6] فيما صدر عنهم من الأمر ﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [الآية 6] لرسوخهم في الكفر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الآية 6] الخارجين عن مظنة الاستصلاح لأنهما في الكفر والاستقباح.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ [الآية 7] للأنصار أو لأتباعهم في الدار ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [الآية 7] أي يتفرقوا، يعنون فقراء المهاجرين ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 7] بيده الأرزاق وقسّم الأخلاق ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية 7] ذلك لجهلهم بالخلاق والرزاق.

قال جنيد: خزائنه في السماوات الغيوب وخزائنه في الأرض القلوب فما انفصل من الغيوب وقع في القلوب، وما انفصل من القلوب صار إلى الغيوب والمرتهن بشيئين بتقصير الخدمة وارتكاب الذلة.

وقال الواسطي: من طالع الأسباب في الدنيا والأعواض في الأخرى لم يفقه قلبه وهو حجاب نفسه ومراده.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [الآية 8] روي أن أعرابياً نازع أنصارياً في بعض الغزوات على ماء فضرب الأعرابي رأسه بخشبة فشكاه إلى ابن أُبيّ فقال: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [الآية 7] وإذا رجعنا إلى المدينة فليخرج الأعز الأذل. عنى بالأعز نفسه وبالأذل

رسول الله ﷺ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 8] ولله الغلبة والقوة ولمن أعزّه من رسوله وأتباعه من الأمة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 8] من فرط جهلهم وغرورهم.

قال الواسطي: عزَّة الله أن لا يكون شيء إلا بمشيئته وإرادته وعزَّة رسله أنهم آمنون عن زوال الإيمان بعصمته، وعزَّة المؤمنين أمنهم عن دوام عقوبته.

وقال الأستاذ: إنما وقع لهم الغلط في تعيين الأعز والأذل فتوهموا أن الأعزّ هم المنافقون والأذل هم المسلمون وكان الأمر بالعكس فلا جرم غلب المؤمنون وأذلّ المنافقون.

ثم قال: ولله عِزّ الإلٰهيَّة وللرسول عزّ النبوَّة، وللمؤمنين عزّ الطاعة، وجميع ذلك لله، فعزَّة الألوهية صفة لله أبداً وأزلاً، وعزّ الرسول والمؤمنين له فعلاً ومنه فضلاً، فإذاً لله العزَّة / جميعاً. ويقال عن الأنبياء أن لا عزل لهم 352/ أ أصلاً، ويقال: لا عزّ إلا في طاعة الله ولا ذلّ إلا في معصية الله وما سوى ذلك فلا اعتبار له عند الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 9] لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بأمرها عن الصلوات المنتجة للشهود وسائر العبادات المذكورة للمعبود ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 9] أي اللَّهو وهو الشغل عن الأهم منهما ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الآية 9] لأنهم باعوا الخطير الباقي بالحقير الفاني.

وقال الأستاذ: لا تضيِّعوا أمر دينكم وأحوال معادكم بسبب أموالكم وأولادكم بل آثروا حق الله واشتغلوا بطاعة مولاكم يكفكم أمور دنياكم وأخراكم، فإذا كنت لله كان الله لك. ويقال: حق الله ما ألزمك القيام به وحقك ضمن القيام به فاشتغل بما كلّفت لا بما كفيت.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ [الآية 10] بعض أموالكم ادِّخار لمعادكم ومآلكم ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [الآية 10] أي يرى دلائل الفوت ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ﴾ [الآية 10] لولا أمهلتني ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية 10] أمد غير بعيد

﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ [الآية 10] فأتصدق على المحتاجين ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 10] بالتدارك في مقام التائبين. وجزم أكن للعطف بالمعنى على مواضع الفاء ومدخولها. وقرأ أبو عمرو: وأكون منصوباً عطفاً على أصدق.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ [الآية 11] ولن يمهل نفساً ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ﴾ [الآية 11] آخر عمرها ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 11] وقرأ أبو بكر بالغيبة.

قال الأستاذ: لا تغتروا بسلامة أوقاتكم وترقبوا بغتات آجالكم فتأهبوا لما بين يديكم من الرحيل ولا تفرحوا في أوطان التسويف.



[مكيّة أو مدنيّة]
وهي ثماني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله كلمة عزيزة مَن ذكرها يحتاج إلى لسان عزيز في الغيبة غير مبتذلة وفي ذكر الأغيار غير مستعملة، ومن عرفها يحتاج إلى قلب عزيز ليس في كل ناحية منه خليط ولا في كل زاوية منه ربيط.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 1] بدلالتها على كماله واستغنائه بصفات جماله ونعوت جلاله ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الآية 1] باطناً وظاهراً ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [الآية 1] أولاً وآخراً ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 1] أي على ما شاءه وعيَّن له قدراً.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [الآية 2] أي متفقين في محبس الأنس مختلفين في مجلس الأنس ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ [الآية 2] مقدر كفره قبل خلقه موجّه إليه ما يحمله عليه من أمره ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [الآية 2] مقدر إيمانه قبل ظهور شأنه موفق لما يدعوه إليه من إحسانه/ فكل ميسر لما خُلق له ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 2] 352/ ب فيعاملكم بما يناسب أعمالكم ويوافق أحوالكم.

قال القاسم: خاطبهم مخاطبة قبل كونهم فسماهم كافرين ومؤمنين في أزله فأظهرهم حين أظهرهم على ما سماهم وقدّر عليهم فأخبر أنه علم ما يعملون من خير أو شر في جميع أعمارهم.

وقال الأستاذ: أي فمنكم كافر في سابق حكمه سماه كافراً وعلم أنه

يكفر وأراد به الكفر وكذلك كانوا ومنكم مؤمن في سابق حكمه سماه مؤمناً وعلمه في أزله مؤمناً وخلقه مؤمناً وأراده وكذلك كانوا.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 3] بالحكمة البالغة والهيئة الكاملة ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [الآية 3] فصوركم من جملة ما خلق فيهما بأحسن صورة من الهيئات حيث زيّنكم بصفوة أوصاف الكائنات وخصّكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم أنموذج لجميع المخلوقات وصيّركم مظاهر الجمال والجلال من بدائع الصفات ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 3] المرجع والمسير في جميع الحالات، فأحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه لم يقل لشيء من المخلوقات هذا الذي قال لنا ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [الآية 3] فصورة الظاهر شاهد لكمال قدرته والباطن شاهد لكمال قربته.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [الآية 4] مما تقولون وتفعلون ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 4] فلا يخفى عليه شيء من الكائنات سواء كان من الكليات أو الجزئيات.

وقال الأستاذ: قصِّروا حيَلكم من مطلوبكم فإنه يتقاصر عنه علومكم فاطلبوه مني فإني أعلمه وأقدر عليه دونكم واحذروا دقيق الرّياء في خفايا ذات صدوركم واتّقوا أن يخالف سرائركم ظواهركم، ففي قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ [الآية 4] أمر بالمراقبة بينه وبين الحق. وفي قوله: ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [الآية 4] أمر بالصدق في المحاسبة والمعاملة مع الخلق.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ [الآية 5] أيها الكفار ﴿نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 5] كقوم نوح وهود وصالح ونحوهم ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ [الآية 5] ضرر كفرهم وثقل وزرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 5] في العقبى.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 6] ما ذُكِرَ من الوبال وعذاب النكال ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ [الآية 6] بسبب أن الشأن ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 6] بالمعجزات الواضحات ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [الآية 6] أنكروا وتعجبوا أن يكون الرسول بشر أو لم ينكروا ولم

يتعجبوا أن يكون الإله حجر ﴿فَكَفَرُوا۟﴾ [الآية 6] بالرسل وبما جاؤوا به من الآيات ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾ [الآية 6] أعرضوا عن التدبُّر في البيّنات ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ [الآية 6] عن كل شيء فضلاً عما يصدر عنهم من الطاعات ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ [الآية 6] عن عبادتهم وغيرها ﴿حَمِيدٌ﴾ [الآية 6] يدل على حمده المخلوقات بأسرها/ .

353/ أ

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ [الآية 7] الزعم ادعاء العلم ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [الآية 7] أكد جوابهم بزيادة القسم لهم ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [الآية 7] بالمحاسبة عليه والمجازاة لديه ﴿وَذَٰلِكَ﴾ [الآية 7] البعث والإعادة ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الآية 7] هيِّن لقبول المادة وحصول القدرة التامة.

وأفاد الأستاذ: أن موتهم نوعان: موت النفس وموت القلب، ففي القيامة يُبعثون عن موت النفس فأما موت القلب فلا يُبعثون عنه عند كثير من محققي هذه الطائفة، قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: الآية 52] لو عرفوا حقيقة ما هنالك لما قالوا ذلك.

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية 8] محمد ﷺ ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [الآية 8] يعني القرآن بإعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره بما فيه شرحه وبيانه من أمره ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 8] فجاز عليه وفق ما ظهر لديه.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [الآية 9] ما فيه من الحساب والجزاء والثواب والعقاب، والجمع جمع الملائكة والثقلين ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [الآية 9] يغبن فيه بعضهم بعضاً كنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على أن التغابن الحقيقي هو التغابن في أمور الآخرة لعظمها ودوامها لا في أمور الدنيا لحقارتها حال بقائها وسرعة زوالها حين فنائها. وقد ورد: ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها.

وأفاد الأستاذ أن المطيع في غبن إن لم يستكثر الطاعة والعاصي في غبن إن استكثر الزلّة وليس كل الغبن إلا التفاوت في الدرجات بحسب الكثرة والقلة، ولكن الغبن في الأحوال أكثر، فالمؤمن في الجنة والكافر في العقوبة.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الآية 9] من طاعاته ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الآية 9] وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 9] أي مجموع ما ذكر ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية 9] لأنه جامع للمصالح من دفع المضرة وجلب المنفعة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] ولعل الآيتين بيان للتغابن وحاله وتفصيل لإجماله.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 11] إلا بتقديره وإرادته لها ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 11] أي بذاته وصفاته وتقدير مصنوعاته ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [الآية 11] للثبات عليها والإسراع عند حلولها / ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 11] حتى بالقلوب وأحوالها. 353/ ب

وقال الأستاذ: أي خصلة حصلت فمن قلبه خلقاً وبعلمه وإرادته حكماً، ومن يؤمن بالله يهد قلبه حتى يهتدي إلى الله ربّه اليوم في المسرة والمضرة وفي الآخرة يهديه بنفسه إلى الجنة. ويقال: يهد قلبه لاتباع السنّة واجتناب البدعة.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية 12] فيما يأمران به وينهيان عنه ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية 12] أعرضتم عما أُمرتم فالضرر راجع إليكم ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 12] وقد بلّغ رسالته وبلغ في النصيحة غايته.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 13] فإنه موجود ومعبود ومقصود ومشهود ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 13] لا على غيره إذ غيره لا يقدر على نفعه وضرّه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ﴾ [الآية 14] وهم الذين يشغلونكم عن طاعة ربكم وزاد معادكم ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ [الآية 14] فكونوا أعداء لهم ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [الآية 14] ولا تأمنوا شرّهم ولا تطاوعوا أمرهم ﴿وَإِن تَعْفُوا۟﴾ [الآية 14] عن ذنوبهم بترك المعاقبة عليها ﴿وَتَصْفَحُوا۟﴾ [الآية 14] بالإعراض وترك

التثريب عليهم فيها ﴿وَتَغْفِرُواْ﴾ [الآية 14] بإحقاقها وتمهيد معذرتهم في الإتيان بها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 14] يعاملكم بمثل أعمالكم ويتفضّل عليكم بالزيادة على أحوالكم.

قال سهل: من حملك من أزواجك وأولادك على جمع الدنيا والركون إليها فهو عدو لكم، ومن حثك على بذلها وإنفاقها في محلها ودلك على القناعة بقليلها وعلى التوكل في تحصيلها فليس بعدو لك.

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾ [الآية 15] اختبار لكم في اختياركم ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 15] لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الأموال والأولاد والسعي لهم.

وفي «تفسير السلمي» قيل: أي نظركم إليهما فتنة أي بلية موجبة للغفلة عن الحضرة.

وقال ابن عطاء بأن تلهيهم عن تأدية واجباتهم وتزيين البخل لتوفر لهم الدنيا في تحصيل شهواته ولذا ورد: كثرة العيال فضيحة الرجال[1]. وعنه عليه السلام: أنه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل إليهما فأخذهما ووضعهما في حجره على منبره فقال: صدق الله ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾ [الآية 15] رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما. ثم أخذ في خطبته[2]، كذا في «الكشاف»[3].

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [الآية 16] أي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم في بذل طاعتكم ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ [الآية 16] مواعظه ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ [الآية 16] أوامره وزواجره ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ [الآية 16] أموالكم في وجوه الخير خالصاً لوجهه ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ﴾ [الآية 16] أي يكن إنفاقكم خيراً لها في دنياها وآخرتها ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ

---

(1) العزلة للخطابي (1/ 86).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 424) رقم (1059)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 466) رقم (11016)، وابن خزيمة في الصحيح (3/ 151) رقم (1801).
(3) الكشاف (7/ 77).

354/أ ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الآية 16] الناجون من الحرقة والفرقة الفائزون بالجنة/ والوصلة والقربة.

قال ابن عطاء: قوله ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [الآية 16] لمن رضي من الله ثوابه وأما مَن لم يرض منه إلا به فإن خطابه ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: الآية 102].

وقال الأستاذ: إن التقوى بعد أن لا تقصير في التقوى غاية التقوى ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [الآية 17] بصرف المال الحلال فيما أمره من الأحوال مقروناً بإخلاص نيَّة وطيب طوية ﴿يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ﴾ [الآية 17] يجعل لكم بالواحد عشرة إلى سبعمائة وأكثر. وقرأ ابن كثير وابن عامر: يضعّفه لكم ويغفر لكم ببركة إنفاقكم ذنوبكم والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة خصوصاً على البخيل ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الآية 18] السر والعلانية ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الآية 18] تام القدرة وكامل العلم المقرون بالحكمة.

وقال الأستاذ: يتوجه الخطاب في هذا الباب على الأغنياء في بذل أموالهم على الفقراء في إخلاء أيامهم وأوقاتهم عن مراداتهم وإيثار مراد الحق على مراد أنفسهم، فالغني يقال له: آثر حكمي على مرادك في مالك، والفقير يقال له: آثر حكمي في نفسك وقلبك ووقتك وحالك.



سورة الطلاق

[مدنية]
وهي اثنتا عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم مَن لا سبيل إلى وصاله ولا غنية في غيره من أفعاله، ويقال اسم مَن علمه وقع في سكون وراحة، ومَن عرفه وقع في اضطراب وفتنة، العلماء بشراب علمهم به استقوا فما استراحوا والعارفون بسلطان حكمه اصطلموا عن شواهدهم فبادوا وطاحوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الآية 1] خصّ النداء وعمَّ الخطاب لأن الكلام معه والحكم يعمّه وغيره. والمعنى إذا أردتم تطليقهن ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الآية 1] أي في وقتها وهو الطهر، ومن عدّ العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات ويؤيده ما روي أن في قراءة رسول الله ﷺ من قبيل عدتهن، وقد صح أن ابن عمر لما طلق امرأته حائضاً أمره عليه السلام بالرجعة[1] وهو سبب نزول الآية ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ [الآية 1] واضبطوها وأكملوا ثلاثة قرؤ في المدة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الآية 1] في تطويل العدة وقصد المضرة ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الآية 1] من مساكنهن وقت الفرقة حتى تنقضي العدة ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ [الآية 1] باستبراءهن ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الآية 1] مستثنى من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على أن خروجها فاحشة وهو قول النخعي وبه أخذ

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (1471/ 1)، وأبو داود في السنن (2/ 222) رقم (2187)، والطبراني في المعجم الكبير (12/ 394) رقم (13456).

354/ب أبو حنيفة، أو من الأول. والمعنى إلا أن تبذؤ على الزوج أو على أحمائه/ فإنه أي لما فيه من الحرج منه كالنشوز في إسقاط حقها وهو قول ابن عباس[1]، وبه قال الشافعي، أو إلا أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها وهو قول ابن مسعود[2] وبه أخذ أبي يوسف.

وأفاد الأستاذ أن الطلاق وإن كان فراقاً فلم يجعله الحق محظوراً وإن كان من وجه مكروهاً ومحذوراً ولذا ورد: أبغض الحلال إلى الله الطلاق، ومنه جعل الطلاق وقتين سنَّة وبدعة وثالثة وهي مباحة، فالسنيَّة أن يطلق في طهر لم يباشر فيه طلقة واحدة، والبدعية أن يطلق في حال حيض أو طهر جومعت فيه، والمباحة هي طهر لم تجامع فيه والعدة وإن كانت في الشريعة لتحصين ماء الزوج والمحاماة على الأنساب ولئلا يختلط ماء الزوج بماء الآخر في هذا الباب فالغالب والأقوى في معناه الوفاء للصحبة الماضية في وصلة النكاح والإشارة فيه أنه بعد أن انقضت الوصلة فلا أقل من الوفاء في قليل من المدة، ويشهد لهذا أن الصغيرة والآيسة عليهما العدة لما ذكرناه من مراعاة الحرمة، وعدة الوفاة يشهد لهذه الجملة في كونها أطول لأن حرمة الميت أعظم وكذلك الإحداد في أيام العدّة المعنيّ فيه ما ذكرنا من مراعاة الوفاء والحرمة، ثم تحريم الطلاق في غير أيام السنة لئلا يطول الوقت على المرأة ولا تتضاعف عليها محنة الفرقة وطول المدة.

تلك الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 1] أي أحكامه المثبتة وأعلامه المعيّنة فلا تعتدوها ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الآية 1] بأن عرضها لعقاب ربّه.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: التهاون بالأمر قلة المعرفة بالآمر.

وأفاد الأستاذ: أن العبودية هي الوقوف عند الحد لا بالنقصان عنه ولا بالزيادة عليه ومَن راعى مع الله حدّه أخلص لله عهده.

---

(1) أخرجه مالك في الموطأ (2/ 483) رقم (558).
(2) انظر تخريج الحديث السابق.

وفي «تفسير السلمي» قيل: العبد يتقلب في جميع الأحوال والأوقات على الحدود لكل وقت حد ولكل حال حد ولكل عمل حد، فمن أخطأ الحدود دخل في هتك حرمة المعبود ﴿لَا تَدْرِى﴾ [الآية 1] أي النفس أو أيها المطلق ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطّلَاق: الآية 1] وهو الرغبة في المطلقة برجعة أو تجديد وصلة.

وفي تفسير الأستاذ قالوا: أراد ندماً، وقيل ولداً، وقيل ميلاً له إليها أو لها إليه فإن القلوب تختلف في تقلُّبها والإشارة في إباحة الطلاق إن كان الصبر مع الإشكال حق للحرمة المتقدمة فالخلاص عن مساكنة الأمثال والتفرد لعبادة الملك المتعال أولى وأحق في جميع الأحوال.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [الآية 2] شارفن آخر عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الآية 2] فراجعوهن بحسن عشرة/ وجميل صحبة ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الآية 2] 355/ أ بإيفاء حقهن واتقاء ضررهن بأن لا يراجعها ثم يطلقها تطويلاً لمدة عدتها ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الآية 2] على الرجعة أو الفرقة براءة عن الريبة ومقاطعة للمنازعة وهو مستحب كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: الآية 282] وقيل واجب في الرجعة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ [الآية 2] أيها الشهود عند الحاجة ﴿لِلَّهِ﴾ خالصاً لوجهه إلا لفرض سوى إقامة حكمة ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الحث على جميع ما في الآية ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [الآية 2] فإنه المنتفع به وهو المقصود في تذكيره.

قال سهل: لا يقبل الموعظة إلا مؤمن والموعظة هو ما خرج من قلب سليم من غل وحسد خال عن محض أنف ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الآية 2] مخلصاً عن مضار الدارين ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ [الآية 3] أي الفوز وغيرهما ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الآية 3] في أمرهما.

روي أن سالم بن عوف بن مالك الأشجعي أسره العدو فشكا أبوه إلى رسول الله ﷺ وقال: أسر ابني وشكا إليه الفاقة فقال: ما أمسى عند آل محمد إلّا مد فاتّقِ الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله،

ففعل، فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها[1] فنزلت.

وفي «تفسير السلمي»: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الآية 2] أرى من يتبرأ من الحول والقوة والأسباب كلها دون الرجوع إليه ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الآية 2] مما يخافه بالمعوذ عليه وبالعصمة من الطوارق لديه.

وقال سري السقطي: المتقي من لا يكون رزقه من حيث يكتسب لأن الله يقول: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الآية 3] كافيه.

قال سهل: من يكل أموره إلى ربّه فإن الله يكفيه جميع مهمه.

وقال شاه الكرماني: التوكل سكون القلب مع الربّ في الموجود والمفقود. وقال أيضاً: التوكل قطع القلب عن كل علاقة والتعلق بالله في كل حالة. وقيل: التوكل مقرون مع إيمان الكل وكل إنسان توكل في شأنه على قدر إيمانه.

وقال ابن عطاء: من فارق ما شغله عن الله أقبل الله عليه وأشغل جوارحه بخدمته وآنس قلبه بالتوكل عليه والتفويض إليه والتسليم بين يديه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الآية 3] يبلغ ما يريد ولا يفوته مراده. وقرأ حفص بالإضافة ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الآية 3] تقديراً لا يقبل تغييراً أو مقداراً لا يقبل زيادة ولا نقصاناً أو أجلاً لا يقبل تبديلاً ولا تحويلاً وهو بيان لوجوب التوكل عليه وبرهان لرجوع الكل إليه. وعنه عليه السلام: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم»[2] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الآية 2]/ الآية، فما زال يقرؤها ويعيدها. 355/ب

---

(1) تفسير البيضاوي (1/ 349).

(2) أخرجه الدارمي في السنن (2/ 392) رقم (2725)، والبيهقي في الزهد الكبير (2/ 396) رقم (890)، والزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (4/ 50) رقم (1368).

وأفاد الأستاذ أن العبد إذا صدق في دعواه أخرجه من بين أشغاله كالشعرة تخرج من بين العجين لا يعلق شيء بها فيضرب على المتقي سرادقات عنايته ويدخله في كنف إيواء حمايته ويصرف الأشغال عن قلبه ويخرجه من ظلمات تدبيره بأن جرّده عن كل شغل وكفاه كل أمر ونقله إلى شهود قضاء تقديره.

لم يقل ومن يتوكل على الله فتوكله حسبه، بل قال: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الآية 3] أي فالله كافيه وإذ لم يسبق له شيء من التقدير فلا بحاله يكون إذ بتوكله لا يتغير المقدور ولا يستأخر الأمور ولكن المتوكل بنيته يكون مروح القلب مع حكم الرب وهذا من أجل النعم.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ [الآية 4] لكبرهن ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ [الآية 4] شككتم في عدتهن وجهلتم مدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ [الآية 4] روي أنه لما نزلت ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ [البقرة: الآية 228]، قيل: فما عدّة اللائي لم يحضن لكبرهن أو صغرهن فنزلت: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ [الآية 4] لصغرهن كذلك ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ [الآية 4] منتهى عدتهنّ ﴿أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الآية 4] وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الآية 4] في أحكامه ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الآية 4] يسهل عليه أمره ويوفقه لتمام أمنه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 5] ما ذكر من الأحكام ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ [الآية 5] لتكميل شرائع الإسلام ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الآية 2] في مراعاة طاعاته ﴿يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ [الآية 5] فإن الحسنات يذهبن السيئات ﴿وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ [الآية 5] عظيماً من فضله أنواع المضاعفات.

﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم﴾ أي مكاناً من سكناكم ﴿مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ [الآية 6] من وسعكم وطاقتكم وهو عطف بيان لما قبله ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ [الآية 6] في السكنى معهن ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾ [الآية 6] بالإلجاء إلى خروجهن ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ

حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الآية 6] فيخرجن من العدّة.

قال القاضي: وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات.

وقال صاحب «المدارك»: فائدة اشتراط الحمل أن مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار مدة عدة الحامل فنفى ذلك الوهم ﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ﴾ [الآية 6] بعد انقطاع علقة النكاح ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ﴾ [الطّلَاق: الآية 6] على الإرضاع ﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ﴾ [الآية 6] وليأمر بعضكم بعضاً بجميل في الإرضاع والأجر من غير النزاع ﴿وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ﴾ [الآية 6] تضايقتم ﴿فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ﴾ [الآية 6] أي امرأة أخرى، وفيه نوع من المعاتبة للأم على المعاسرة في المحاسبة.

﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾ [الآية 7] ضيق عليه بقلّته ﴿فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية 7] أي فلينفق كل من الموسر والمعسر/ ما بلغه وسعه كما بيّنه بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [الآية 7] ما أعطيها من الكثير والقليل، وفيه إيماء إلى أن المفلس في أمان الله وإشارة إلى تطييب قلب الفقير ولذا وعد له باليسر فقال: ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾ [الآية 7] أي عاجلاً أو آجلاً. 356/أ

وأفاد الأستاذ: أن انتظار اليسر من الله صفة المتوسطين في الأحوال والذين انحطوا عن درجة الرضا واستواء وجود السبب وفقده.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ [الآية 8] أعرضت عن أمرهما وما قامت بحكمهما ﴿فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا﴾ [الآية 8] بالاستقصاء والمناقشة ﴿وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾ [الآية 8] والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعهما أو لقرب وصولهما فكأنه ثبت حصولهما.

﴿فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا﴾ [الآية 9] عقوبة كفرها ووزرها ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا﴾ [الآية 9] لا ربح فيها أصلاً.

وأفاد الأستاذ: أن من زرع الشوك لا يجني الورد ومن أضاع حق الله لا يطاع في حظ نفسه وهواه ومن احترف بمخالفة أمر الله فليصبر على مقاساة عقوبة الله.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ﴾ [الآية 10] تكريراً للوعيد لمزيد التأكيد، ويجوز أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم في صحائف الحفظة وبالعذاب ما أصيبوا به في الدنيا من العقوبة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية 10] يا أصحاب العقول السليمة من قشور العقائد السقيمة.

قال شاه الكرماني: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ هم الواقفون على حدود الله في جميع الأبواب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ [الآية 10] بمضمون الكتاب ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الآية 10] جميلاً.

﴿رَّسُولًا﴾ [الآية 11] أي وأرسل رسولاً نبيلاً ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 11] بكرة وأصيلاً ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 11] أي ليخرج الله بسبب إنزال كتابه وإرسال رسوله وخطابه من علم أو قدر أنه يؤمن به ويقوم بأمره ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الآية 11] أي من ضلالات الكفر والكفران إلى نور الإيمان والعرفان.

وأفاد الأستاذ: أن كتاب الأحباب فيه تبيان كل شيء يا أولي الألباب فمن استضاء بنوره اهتدى ومن لجأ إلى برد أفيائه واصل من داء الجهل إلى شفائه ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الآية 11] لله وفي سبيل رضاه تعالى دوام النعمى من مولاه ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ [الآية 11] وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الآية 11] كريماً من الثواب في دار المآب.

وأفاد الأستاذ أن الرزق الحسن ما كان على حد الكفاية لا نقصان فيه فيعطله عن أموره بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه كذلك أرزاق القلوب أحسن/ أن يكون له من الأحوال ما يستقل بها من غير نقصان 356/ ب

فلا يتعذب بتعطشه ولا يكون زيادة فيكون على خطر من مغاليط لا يخرج منها إلا بتأييد من الله سماوي.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [الآية 12] مبتدأ وخبر ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الآية 12] أي وخلق مثلهن في العدد من الأرض ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ [الآية 12] أي يجري أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الآية 12] فإن كلاً منهما يدل على كمال قدرته وجمال علمه وحكمته..

قال ابن عطاء: أحاط علمه بالأشياء لأنه أوجدها ولا يحيط به أحد علماً لامتناع الأزل أن يلحقه شيء من الحوادث أبداً.



سورة التحريم

[مدنية]
وهي اثنتا عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم عزيز يمهل من عصاه فإذا رجع وناداه أجابه ولبّاه فإن لم يتوسل بصدق قوله في ابتداء أمره، فإذا تنصّل بصدق ندمه في آخر عمره أوسعه غفراً أو قبل منه عذراً أو أكمل له زخراً وأجزل له برّاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [الآية 1] روي أنه عليه السلام خلا بمارية في يوم حفصة فاطلعت عليه فعاتبته فيه فحرم مارية[1] فنزلت ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ [الآية 1] استئناف لبيان الداعي إلى ذلك ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية 1] لك هذه الغفلة ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 1] بك في عتاب هذه الغفلة.

قال القاسم: لا يدع الحق أحداً سكن إليه حتى يشغله غيره لأنه غيور.

وقال ابن عطاء: لما نزلت هذه الآية قال عليه السلام: اللهمَّ أعوذ بك من كل قاطعة تقطعني عنك.

وأفاد الأستاذ: أن ظاهر هذا الخطاب عتاب على أنه لمراعاة قلب امرأته حرَّم على نفسه ما أحلَّ الله له من أمره والإشارة فيه وجوب حق الله سبحانه على كل شيء وفي كل وقت.

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [الآية 2] قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 353) رقم (14854).

عقدته اليمين بكفارتها وظاهر الآية أن تحريم الحلال يمين كما ذهب إليه الحنفية[1].

وقد روي أنه عاود إلى مارية وكفر بعتق رقبة ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الآية 2] متولى أمركم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 2] بما يصلحكم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 2] فيما يأمركم ويزجركم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنَّته بأنه إذا ساكن عبد بقلبه إلى أحد شوّش على خواصه محل مساكنة غيره على قلبه إلى أن يعاود به ربه ثم يكفيه ذلك بعد مدة من أمره.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ [الآية 3] يعني حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ [الآية 3] تحريم مارية ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ [الآية 3] أي أخبرت حفصة عائشة بالحديث ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الآية 3] واطّلع النبي عليه السلام على إفشائه ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ [الآية 3] أي أعلم الرسول حفصة بعض ما فعلت ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [الآية 3] عن إعلام بعض آخر من أفعالها تكرُّماً. فعن الحسن البصري قال: ما استقصى كريم قط أو المعنى جازاها على بعض أفعالها/ بتطليقه إياها. ويؤيده قراءة الكسائي بتخفيف الراء ويؤيد الأول قوله ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ [الآية 3] الحديث ﴿قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الآية 3] فإنه أوفق للإعلام في مقام المرام. 357/ أ

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 4] التفات إلى حفصة وعائشة في المخاطبة للمبالغة ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [الآية 4] فقد وجد منكما ما يوجب التوجه وهو ميل قلوبكما عن الواجب عليكما من مخالطة الرسول بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ [الآية 4] أي تتظاهرا، وقرأ الكوفيون بالتخفيف على حذف إحدى التائين، والمعنى إن تتعاونا عليه بما يسوؤه ويحزنه أو بما لا يهون لديه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ [الآية 4] أي ناصره ومعاونه في هواه ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 4] أي كذلك ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 4] أي بعد المذكور من

(1) المبسوط (7/ 310)، وفتح القدير (9/ 13).

المقربين ﴿ظَهِيرٌ﴾ [الآية 4] معاون له ونصير، والمعنى فلن يعدم مَن يظاهره فإن الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأشياعه والملائكة أنصاره وأعوانه، وتخصيص جبريل لتعظيمه ولتقربه في مقام تكريمه. والمراد بالصالح الجنس ولذا عم بالإضافة وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة من ينصره الله به هنالك. روي أنه لما سمع عمر رضي الله عنه ما صدر عن حفصة من مخالفتها قال: يا رسول الله لو أمرتني بضرب عنقها[1].

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ﴾ [الآية 5] أي يرجى من كرمه وعنايته ويتحقق من حسن رعايته ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [الآية 5] بتعميم الخطاب للمبالغة في العتاب. وقرأ نافع وأبو عمرو: أن يبدله بالتشديد، والمعنى أن يجعل له بدلاً عنكن أزواجاً خيراً منكن في الصورة والسيرة بوجود كمال الصفات المسطورة.

وقول القاضي ليس فيه ما يدل على أن في النساء خيراً منهن محمول على الوجود في الزمان دون الإمكان مع أن خيريتهن إنما هو باعتبار زوجيتهن ونسبة قربيتهن فتزول في الجملة بتطليقهن ويتحقق لغيرهن من حيثية عقدهن لا سيما وطلاقهن يؤذن بكراهتهن ومحبة فراقهن، وهذا القدر يكفي في انحطاط مراتبهن وإعلاء مقام غيرهن في منصة اقترابهن.

﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ [الآية 5] منقادات ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ [الآية 5] بظواهرهن مخلصات بضمائرهن ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ [الآية 5] مواظبات على الطاعة ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ [الآية 5] عن المعصية ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ [الآية 5] متعبدات بالنافلة أو متذللات في الخدمة ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ [الآية 5] مهاجرات أو صائمات، وسمي الصائم سائحاً لأنه يسيح بالنهار بلا زاد ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [الآية 5] وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولأنهما في حكم صفة واحدة إذ المعنى مشتملات على الثيبات والأبكار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية 6] احفظوها بفعل الطاعات وترك

---

(1) ورد بلفظ مختلف. انظر ما أخرجه البخاري في الصحيح (2468)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 420) رقم (3318)، والنسائي في السنن الكبرى (5/ 366) رقم (9157).

357/ب السيئات ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ [الآية 6]/ بالنصيحة وبتعليمهم الفرائض والسنَّة الصحيحة. وقيل: أظهروا من أنفسكم بعض عبادتكم ليتعلّموا منكم ويعتادوا بعادتكم ﴿نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [الآية 6] عذاب نار تتوقد بهما اتقاد غيرها بالحطب والشوك ونحوهما ﴿عَلَيۡهَا﴾ [الآية 6] يلي أمرها ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ [الآية 6] وهم الزبانيَّة ﴿غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ [الآية 6] غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخَلْق شداد الخُلُق ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ [الآية 6] فيما مضى ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [الآية 6] فيما دنا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 7] في الدنيا ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [الآية 7] في العقبى ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 7] أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار، والنهي عن الاعتذار لأنه لا عذر لهم أو عذرهم لا ينفعهم إذا فات وقت الاعتذار فالواجب البدار والفرار للخلاص من دار البوار والمناص إلى دار القرار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 8] ارجعوا إلى طاعته من المعصية وإلى قرب حضرته من الغفلة ﴿تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [الآية 8] بالغة في النصح خاصة من الغش وهو في الأصل صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة، وصفت به على الإسناد المجازي للمبالغة. وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور، وتقديره ذات نصوح أو تنصح نصوحاً أو توبوا نصحاً لأنفسكم. وسئل علي كرَّم الله وجهه عن التوبة فقال: يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال [أي فيما يتصور مثله](1) الخصوم وأن يعزم على أن لا يعود وأن يذيقها مرارة الطاعة كما أذاقها حلاوة المعصية(2).

قلت: ولا بد من السابعة، وهي الإقلاع عن مباشرة المعصية.

وقال الواسطي: التوبة النصوح لا تبقي على صاحبها أثراً من المعصية لا سراً ولا علانية.

---

(1) جاءت العبارة في هامش المخطوطة.
(2) الكشاف (7/ 94)، وتفسير أبي السعود (8/ 269)، وتفسير البيضاوي (1/ 357).

وأفاد الأستاذ: أن التوبة النصوح الذي لا يعقبه نقض. ويقال: أن لا تراها من نفسك ثم لا ترى نجاتك بها وإنما تراها بربك. ويقال: هي أن تجد المرارة في قلبك عند ذكر الزلة كما كنت تجد الراحة بنفسك عند الغفلة.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [الآية 8] الصادرة عنكم في الليل والنهار ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الآية 8] في جملة الأبرار ذكر بصيغة الإطماع جرياً على عادة الملوك في وعدهم ووعيدهم ليكون رعاياهم تحت خوفهم ورجائهم وإشعاراً بأنه تفضُّل منه سبحانه عليهم وأن التوبة بنائها غير موجب لهم.

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ [الآية 8] ظرف ليدخلكم أو التقدير اذكر يوم لا يخزي الله نبيه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [الآية 8] من أصحابه والمؤمنين العامة.

قال الأستاذ: لا يخزي الله النبي بترك قبول شفاعته في أمته والذين آمنوا بافتضاحهم بعد قبول شفاعته. أقول: ولا يبعد أن يكون المراد بالنبي والمؤمنين جنس/ الأنبياء وأممهم الذين آمنوا معهم. 358/ أ

﴿نُورُهُمْ﴾ [الآية 8] كما تقتضي أمورهم ﴿يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الآية 8] أي في موقف سرورهم أو على الصراط حال مرورهم ﴿يَقُولُونَ﴾ [الآية 8] يعني المؤمنين إذا طغى نور المنافقين بالابتهال في السؤال: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا﴾ [الآية 8] حتى يكمل سرورنا ويحصل حضورنا وأما الأنبياء فيقولون: سلم اللهمَّ سلم ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 8] قال بعضهم: أي لا تقطعنا بك عنك وكن دليلنا منك عليك حتى يتم لنا الأنوار فإن تمامها بإتمام منورها. وقيل: المعنى نوّرنا بنورك حتى نراك بنورك وظهورك.

وقال ابن عطاء: إنما هو نور التوحيد ونور المعرفة ونور الحقيقة يسعى بهذه الأنوار إلى دار القرار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الآية 9] بسيف المقاتلة ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [الآية 9] بحجة المقالة ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية 9] أي بتضييق المقاتلة، والمعنى استعمل الخشونة في المجاهدة إذ بلغ الرفق مد الغاية في البداية، وهذا في حال إصرارهم وزوال أعذارهم ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 9] جهنم أو مأواهم.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ [الآية 10] أي مثلهما، والمعنى مثل الله حال الكفار بحالهما في أنهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بتخفيف وزرهم لما بينهم وبين النبي والمؤمنين من نسبة قربهم وقرابتهم ولعل في الآية تخويف للأزواج الطاهرة وتعريض بما صدر عن بعضهن من المخالفة الظاهرة ﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ﴾ [الآية 10] يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [الآية 10] بالنفاق لا بالزنى بالاتفاق ﴿فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] من عذابه لهما ﴿شَيۡـٔٗا﴾ [الآية 10] من الإغناء أو من العناء ﴿وَقِيلَ﴾ [الآية 10] أي لهما عند موتهما أو حال بعثهما ﴿ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [الآية 10] مع سائر من يدخل النار من الكفار الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء الأبرار.

قال الأستاذ: لما سبقت لهما الفرقة يوم القيامة لم تنفعهما القربة يوم العقوبة.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الآية 11] أي مثلها، والمعنى شبَّه حالهم في أن وصلة الكافرين لا تضر المؤمنين بحالة آسية رضي الله عنها ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله ﴿إِذۡ قَالَتۡ﴾ [الآية 11] اذكر حين قولها وتضرعها في دعائها ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ﴾ [الآية 11] أي قريباً من رحمتك ﴿بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الآية 11] أو في أعلى درجات أهل القربة ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ [الآية 11] من نفسه الخبيثة وأعماله الذميمة ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 11] من القبط التابعين له في الظلم والمعصية.

وفي تفسير الأستاذ قالوا: صغرت همّتها حيث طلبت بيتاً في الجنة كان حقها أن تطلب الكثير من المنّة ولا كما توهموا لأنها طلبت بيتاً في جوار القربة

/ وبيت في الجوار أفضل من ألف قصر لا في جوار الدار ومن المعلوم أن ذلك 358/ ب عندية القربة والكرامة فله مزية على غيره وخصوصية، وفي معناه أنشدوا:

إني لأحسد جاركم لجواركم طوبى لمن أضحى لدارك جارا
يا ليت جارك باعني من داره شبراً لأعطيه بشبر دارا[1]

انتهى. ولا يبعد أن يقال: تنوين بيتاً للتعظيم في الكمية والكيفية، أي مسكناً عظيماً ومنزلاً وسيماً في الجنة، أو يقال: لما عظمت نفسها بالطمع في المرتبة العندية التي هي كمال المنزلة العبدية هضمت نفسها وحقرت طمعها بقولها ﴿بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [الآية 11] ولو في أدنى الرتبة من درجات القربة.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ [الآية 12] عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل والأبكار التي لهن حسن الأحوال ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [الآية 12] من الرجال ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ [الآية 12] في فرجها أو جيبها ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ [الآية 12] من الأرواح التي خلقناها قبل الأشباح والإضافة للتشريف، والمعنى خلقنا ولدها بلا توسط زوج لها بل بمجرد نفخنا فيها ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ [الآية 12] بما أوحى إلى أنبيائه من صفات الله وأسمائه وكتابه جنس الكتب المنزلة على أصفيائه كما يدل عليه قراءة البصري وحفص بالجمع ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [الآية 12] من جملة المواظبين على الطاعة والمداومين على العبادة والتذكير للتغليب وللإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين، فعنه عليه السلام: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأت فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[2].

وقد روي أن آسية ومريم من نساء النبي ﷺ في الجنة، وكذا قيل في مريم أخت موسى عليه السلام.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 444).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 677) رقم (6483)، والطبراني في الأوسط (2/ 278) رقم (1978)، وابن ماجه في السنن (2/ 1091) رقم (3280)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 275) رقم (1834).



سورة الملك

[مكيّة]

وهي ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم الله من لم يتعطر القلوب إلا بنسيم إقباله، ولم يتقطر الدموع إلا للوعة فراقه، أو روح وصاله، فدموعهم في كلا الحالين منسكبة، وعقولهم في غالب أوقاتهم منتبهة.

[قد ورد مرفوعاً أن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفر له ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ رواه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي[1].

وعنه عليه السلام: «لوددت أن تكون في قلب كل مؤمن من أمتي» رواه الطبراني[2] وقال: هذا حديث غريب][3].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الآية 1] تكاثر خير من بقبضه قدرته تصرف أمور مملكته ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 1] أي كل ما يتعلق بقدرته وفق ما يتحقق بمشيئته.

قال جعفر الصادق: أي هو المبارك على مَن انقطع إليه وتوكل عليه.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 753) رقم (2075)، وابن ماجه في السنن (2/ 1244) رقم (3786)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 164) رقم (2891)، وأحمد في المسند (2/ 299) رقم (7962).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 753) رقم (2076)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 241) رقم (11616).

(3) هذا المقطع مأخوذ من الهامش.

وقال سهل: تعالى عن الأشباه والأنداد والأولاد والأضداد بحوله وقوته الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو القادر على ما يشاء.

وقال ابن عطاء: أي بارك في الخلق فمضت البركة لهم فنفعتهم.

وقال الأستاذ: /تقدّس وتعالى من إحسانه تواتر وتوالى فهو المتكبِّر في جلال كبريائه المتجبِّر في علاء بهائه ودوام سنائه بيده المُلك بقدرته إظهار ما يريد من مشيئته. 359/ أ

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الآية 2] ظاهر الآية أن الموت صفة وجوده مضادة للحياة وبه قال بعض العلماء، وقال بعضهم: الموت عدم الحياة فالمعنى قربهما أو أوجد الحياة وأزالها جسماً قدر وقدم الموت إشعاراً بعدمهم أولاً كقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: 28] ولأنه أدعى إلى قطع الأمل وحسن العمل ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [الآية 2] ليعاملكم معاملة المختبِر لكم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الآية 2] أصوبه صورة وأخلصه سيرة. وجاء مرفوعاً أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعته. والجملة واقعة موقع المفعول الثاني لفعل البلوى المتضمن معنى العلم.

قال ابن عطاء: خلق الموت للعبرة والحياة للغفلة.

وقال الواسطي: من أحياه الله بذكره في أزله لا يموت أبداً ومن أماته عن ذلك لا يحيى أبداً. وقال أيضاً: أحسن العمل ترك التنوين به. وقيل: أفرغ قلباً وأصفى ذهناً وأحسن سمتاً وهدياً. وقيل: أحسن العمل نسيان العمل ورؤية الفضل.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه خلق الموت والحياة ابتلاء للخلق يختبرهم إعلاماً للملائكة حالهم لينظر شكرانهم وكفرانهم حيث يكونون عند المحنة في الصبر وعند النعمة في الشكر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 2] الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ [الآية 2] لمن تاب منهم وأحسن الأمل.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الآية 3] مطابقة بعضها فوق بعض وفاقاً.

قال الأستاذ: عرَّفهم كمال قدرته بدلالات خلقته فسمك السماء فمسكها بلا عمد وركّب أجزاءها غير مستعين بأحد، خلقها فحسّنها وبالنجوم زيّنها ومن استراق سَمْعَ الشياطين حصّنها، وبغير تعليم معلِّم أحكمها وأتقنها ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 3] أي في مخلوقاته ومصنوعاته ﴿مِن تَفَٰوُتٍۖ﴾ [الآية 3] وقرأ حمزة والكسائي: من تفوّت أي اختلاف واختلال وعدم تناسب مأخوذ من الفوت فإن كلاً من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر وفي إضافة الخلق إلى الرحمٰن إيماء إلى أنه تعالى يخلق ذلك بقدرته رحمة منه وتفضُّلاً على خليقته وإن في إبداع الكائنات نعماً جليلة وحكماً جزيلة، والخطاب لزين الأحباب أو لكل من يصلح لفتح هذا الباب.

وقال الأستاذ: ما ترى فيما خلق تفاوتاً في آثار الحكمة ولا قصوراً في كمال أسرار القدرة. ويقال: ما ترى فيها تفاوتاً في استغنائه عن جميعها، أو ما ترى فيها تفاوتاً في خلق الكثير واليسير والكبير والصغير لأنه منزَّه عن السهولة ولحوق المشقة إليه.

359/ ب ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الآية 3] أي إن كنت في ريب / من التفاوت والقصور فانظر مرة أخرى متأملاً فيها لتباين تناسبها واستقامتها واستجماعها على ما ينبغي لها ويظهر لك أن ليس فيها من خلل ولا نقصان عمل.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الآية 4] أي رجعة بعد رجعة أو قلباً أو بصراً في طلب الفطور ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ [الآية 4] بعيداً عن إصابة المطلوب بوجدان القصور ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الآية 4] كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة.

قال الأستاذ: أنعم النظر وكرِّر الفكر فلا تجد فيها فطوراً ولا في عزنا قصوراً.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 5] سقف السماء القربى التي اجتمعتم تحتها ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الآية 5] بنجوم مضيئة بالليل إضاءة السراج فيها، ولا يبعد كون بعض الكواكب مركوزة في السماوات فوقها إذ التزين بإظهارها عليها ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾

[الآية 5] أي مراجم للشياطين المسترقة للسمع زجراً لها وكونها مراجم إن الشهب منقضة من نار الكواكب قارة في فلكها والرجوم رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ [الآية 5] للشياطين ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الآية 5] في العقبى بعد الإحراق بالشهب في الدنيا.

قال ابن عطاء: زيّنا قلوب الأولياء بأنوار المعرفة وقلوب المريدين بالرهبة والرغبة وقلوب المحبين بالشوق والهيبة وقلوب المتوكلين باليقين والثقة وقلوب الزاهدين.

وأفاد الأستاذ: أن المؤمنين قلوبهم مزيّنة بالتصديق وزيادة الإيقان ثم بالتحقيق بتأمل البرهان، ثم بالتوفيق لطلب الإيمان، والعارفون قلوبهم مزيّنة بشموس التوحيد وأرواحهم مزيّنة بالتجريد، وعلى هذا القياس لكل طائفة أنوار التأييد.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ [الآية 6] من الشياطين وغيرهم ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 6] عقاب السعير ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 6] وساء المسير.

﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا﴾ [الآية 7] طرحوا في جهنم ﴿سَمِعُواْ لَهَا﴾ [الآية 7] أي لنارها ولأهلها لقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: 106]، ﴿شَهِيقًا﴾ [الآية 7] صوتاً كصوت الحمير وهو آخر نهيق الحمار والزفير أوله، وشبهه به لأن أنكر الأصوات صوت الحمير ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الآية 7] تغلي بهم كغليان القدور.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ [الآية 8] تنقطع وتتفرق ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الآية 8] من شدة غضب النار على الكفار، وقيل تمثيل لشدة اشتعالها بهم وحدَّة أهوالها عليهم ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ [الآية 8] جماعة من الكفار ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الآية 8] إنذار من ربكم أو نبي منذر يخوِّفكم، وهو سؤال توبيخ وتقريع.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [الآية 9] أي فكذبنا النذير في الترهيب وأفرطنا في التكذيب حتى تيقنا الإنزال/ والإرسال وبالَغْنا في نسبتهم إلى الضلال.

360/ أ

﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ [الآية 10] أي كلام النذير سماع قبول من غير بحث اعتماد على ما لاح من صدقه بالمعجزات ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ [الآية 10] دلائل نقله فنتفكر في حكمه تفكُّر المستبصر بالآيات ﴿مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الآية 10] ولا صرنا في عقاب النكير.

﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الآية 11] حين لا ينفعهم اعترافهم ولو مقروناً بندمهم ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الآية 11] أي فبُعداً لهم من رحمته أو من نعيم جنته مفعول مطلق وجب حذف فعله، أي سحقهم الله سحقاً. وقرأ الكسائي بضمتين، قيل: المعنى لو سمعنا موعظة الواعظين أو عقلنا نصيحة الناصحين لاتبعناهم فيما أمرونا به من النذير ولما كنا من أصحاب السعير.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 12] يخافون عذابه غائباً عنهم أو غائبين عنه أو عن أعين غيرهم، أو المراد بالغيب المخفي عنهم وهو القلب.

وفي «تفسير السلمي»: خشية القلب أن تطمئن إلى غيره وخوف البدن أن يشتغل بغير أمره.

وأفاد الأستاذ: أن الخشية توجب عدم الفرار أي بخلاف الخوف فإنه قولاً يوجد معه القرار وأما الخشية فيكون أبداً لانزعاجه كالحبّ على المقلى لا يفتر أثناء الليل والنهار بتوقُّع العقوبات مع مجاري الأنفاس في الحالات فكلما ازداد لله طاعة ازداد خشية ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [الآية 12] لسيئاتهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية 12] على طاعاتهم في العقبى يصغر دونه ويستحقر عنده لذائذ الدنيا.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ [الآية 13] أي يستوي الأمران في علمه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 13] بالضمائر من الأمور قبل أن يعبّر عنها سراً أو جهراً.

﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ [الآية 14] قول السر أو الجهر وما يحويه الصدر ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ [الآية 14] أوجد الأشياء جسماً تعلّقت به إرادته وقدّرته حكمته ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الآية 14] المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن من النقير

والقطمير والكثير واليسير، أو ألا يعلم الله مخلوقه فإن كل شيء خلقه.

قال سهيل: ألا يعلم من خلق القلب ماذا أودع فيه من التوحيد والجحود.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خوّفهم بعلمه وندبهم إلى مراجعة حكمه لأنه يعلم السر وأخفى ويسمع الجهر والنجوى، ثم بيَّن وقال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الآية 14] أي كل جزء من خلقه من الأعيان والآثار أدلة على علمه وحكمته يظهر لأولي الأبصار.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الآية 15] ليِّنة هيِّنة ليسهل السلوك فيها ولا يصعب الحرث عليها ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [الآية 15] فسيروا للتجارة والزراعة في جوانبها ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الآية 15] الذي قدَّر لكم في أطرافها ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الآية 15] مرجعكم في حالكم ومآلكم ينسأ لكم عن شكر ما أنعم عليكم بمحاسبة أعمالكم/ وأحوالكم. 360/ ب

قال سهل: خلق الله الأنفس ذلولاً فمن أذلّها بمخالفتها نجاها من البلاء والمحن ومن تبعها أذلّته نفسه وأهلكته في الفتن.

وقال الأستاذ: أي إذا أردتم أن تسيروا فيها سهل عليكم مسيركم عليها كذلك جعل النفس ذلولاً لو طالبتها بالموافقة وجدتها مساعدة متابعة في المرافعة كما قيل في نعتها:

هي النفس ما عوّدتها تتعوّد وللدهر أيام تذمّ وتحمد[1]

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 16] أي ملكوته وسلطانه وحكومته وبرهانه أو ملائكته أو جبريل فإنه موكل بالخسف في الأرض والصيحة في السماء ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 16] بأن يغيِّبكم فيها ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الآية 16] تضطرب وتتحرك عند خسفكم حتى يلقيكم إلى الأسفل والأرض تعلو عليكم.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 448).

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ﴾ [الآية 17] ريحاً ذات حجارة حصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الآية 17] أي إنذاري إذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ لأنه في غير محله.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] أي إنكاري عليهم بإنزال العذاب إليهم وهو تسلية لنبيه وتهديد لقومه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [الآية 19] باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها فإنهن إذا بسطنها صفقن قوادمها ﴿وَيَقْبِضْنَۚ﴾ [الآية 19] أجنحتها بعد بسطها ويضمنها إذا ضربن جنوبهن بها ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ [الآية 19] ما يمنعهن في الجو على خلاف طبعهن من أن يسقطن ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾ [الآية 19] برحمته الشاملة وحكمته الكاملة بأن خلقهن على هيأة خاصة من بين الأشياء هيّأتهن للجري في الهواء ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الآية 19] يعلم كيف يقدِّر الغرائب ويدبِّر العجائب.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾ [الآية 20] أم معادلة للقرائن التي قبلها من قوله: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ [الآية 16] والمعنى ألم تعلموا أن الحافظ هو الله سبحانه أم لكم جند ينصركم من دونه أراد بكم نزول خسف أو حصول حصب أو لكم وصول رزق إن أمسك الله رزقه عنكم وجاء بصورة الاستفهام إشعاراً بأنهم اعتقدوا أن لهم ناصراً ورازقاً غير الله وتوهموا أنهم محفوظون من نوائب حادثاتهم مرزوقون ببركة آلهتهم وعباداتهم فكأنهم جند الناصر والرازق الحاضر فيسألون عن تعيينه بظهور الخطأ في تبيينه ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الآية 20] ليسوا إلا في اغترار من غير اعتبار.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ﴾ [الآية 21] بإمساك المطر عنكم ومنع سائر الأسباب المحصّلة والموصلة إليكم ﴿بَل لَّجُّواْ﴾ [الآية 21] تمادوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾ [الآية 21] وجحود وعناد ﴿وَنُفُورٍ﴾ [الآية 21] تباعد عن الحق وشردوا.

وقال الأستاذ: أي إن أراد الرحمٰن سوءاً بكم فمن الذي يدفع عنكم ما نزل بكم أو من الذي يوسع عليكم ما قبضه / عنكم أو يمحو ما أثبته أو يقدم ما أخّره أو يؤخّر ما قدَّمه. 361/أ

﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ﴾ [الآية 22] كب متعد بنفسه، قال تعالى: ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ [النّمل: الآية 90] فالهمزة للصيرورة أو لتأكيد التعدية، ومعنى مكباً أنه يعثر كل ساعة في طريقه وغير على وجهه لوعور مسلكه واختلاف مسيره ولذا قابله بقوله: ﴿أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا﴾ [الآية 22] سالماً من العثار قوياً قائماً ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الآية 22] مستوي الأجزاء والانحناء دائماً. قيل: هذا تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين. وقيل: المراد بالمكب الضعيف الضرير وبالسوي القوي البصير. وقيل: من يمشي مكباً هو الذي يحشر على وجهه إلى النار، ومن يمشي سوياً الذي يُحشر على قدميه إلى دار القرار. وفي الآية إشارة إلى تفاوت طرق السالكين من الزاهد والعارف والمبتدع والمتشرِّع والجاهل والعالِم والغافل والحاضر والسائر والطائر.

﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ﴾ [الآية 23] أي أبدأ أرواحكم وأبدع أشباحكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ﴾ [الآية 23] لتسمعوا المواعظ والأخبار ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [الآية 23] لتنظروا الصنائع والآثار ﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ﴾ [الآية 23] لتتفكروا بعين الاعتبار ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [الآية 23] باستعمالها فيما خلقت لأجلها.

﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 24] نفاكم ونشركم فيها ﴿وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الآية 24] لجزاء ما عملتم عليها.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ [الآية 25] الذي وعدوا في الدنيا أو العقبى ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 25] يعنون النبي والمؤمنين.

﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ﴾ [الآية 26] علم وقت الوعد ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 26] لا يطلع عليه سواه ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الآية 26] منذر ظاهر الإنذار فلا يحتاج الإنذار إلى إخبار وقت عذاب الفجار.

قال يحيى بن معاذ: أخفى علمه في عباده عنهم فكل يتبع أمره على جهة الإشفاق من حكمه ولا يعلم ما سبق له ولا يلحق به ذلك قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 26].

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾ [الآية 27] أي الوعد فإنه هنا بمعنى الموعود ﴿زُلۡفَةٗ﴾ [الآية 27]

حال كونه ذا زلفة وقربة منهم ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 27] قبحت بأن بان عليها الكآبة والسواد وساءتها رؤية العذاب ومحنة الحجاب ﴿وَقِيلَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 167] أي تقريباً لهم في الخطاب ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [الآية 27] أي تدعون، وقرىء به يعني تطلبون الجواب وتستعجلون العقاب.

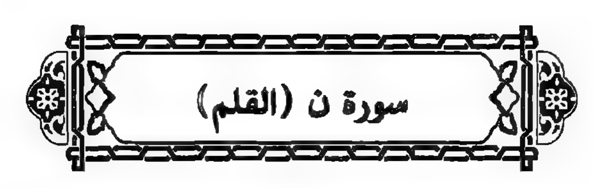
﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ﴾ [الآية 28] أخبروني ﴿إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 28] أماتني ﴿وَمَن مَّعِيَ﴾ [الآية 28] ممن يتبعني ﴿أَوۡ رَحِمَنَا﴾ [الآية 28] إخراجاً لنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الآية 28] فلا ينجيهم أحد من العذاب مُتنا أو بقينا وهو جواب لما قاله المشركون ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ [الطُّور: الآية 30].

قال عبد العزيز المكي: حكمه جار وأمره نافذ ومشيئته ماضية، رضينا بجميع أمره وقدره لأن فعله واقع في ملكه.

361/ ب ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الآية 29] أي الذي/ أدعوكم إليه مولى النعم كلها وأمر المنن جميعها لديه ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الآية 29] للعلم بذلك ﴿وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ [الآية 29] للوثوق بما هناك ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الآية 29] منا ومنكم يوم الدين. وقرأ الكسائي بالغيبة. قال بعضهم: التوكل نتيجة الإيمان لقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ [الآية 29].

وقال عبد العزيز المكي: أمرهم ربهم أن يفتخروا بعبوديته وما أمرهم بذلك إلا وقد رضي بهم عبيداً هنالك وهذا غاية شرفهم لأنه ما رضيهم إلا بعلمه أنهم مستأهلون بما رضيهم به.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا﴾ [الآية 30] المصدر وصف به أي غائراً في قعر الأرض بحيث لا يناله دلاؤكم ﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾ [الآية 30] جارٍ أو ظاهر سهل المأخذ يتناوله عبيدكم وإماؤكم.



سورة ن (القلم)

[مكيّة]
وهي اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم كريم من شهد لطفه لم يتذلّل بعده لمخلوق ولم يستعن فيما نابه من ضر أصابه أو خير أراده بمحدث مرزوق إن أعطاه قابله بجزيل الشكر وإن منعه استجاب بجزيل الصبر.

﴿نٓ﴾ [الآية 1] من أسماء الحروف، أو تقديره هذه سورة ﴿نٓ﴾.

وقيل: اسم الحوت، والمراد به الجنس أو حوت ذي النون أو اليهموت، وهو الذي عليه الأرض أو الدواة فإن بعض الحيتان يستخرج منه شيء أسود يكتب به ويؤيد الأول سكوته وكتبته بصورة الحرف ويناسب الأخير قوله: ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ [الآية 1] وهو الذي يخط به، أقسم به لكثرة فوائده، أو الذي كتب به في اللوح جميع ما يكون ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [الآية 1] أي أصحاب القلم من البرية أو الحفظة من الملائكة أو العلماء المصنفة، وما مصدرية أو موصولة.

وقال سهل: النون اسم من أسماء الله وذلك أنه إذا جمعت أوائل السور الثلاث الر، وحم، ون، يكون الرحمٰن وهو منقول عن ابن عباس.

وروي عنه أيضاً أن النون هو الدواة التي كتب بها الذكر والقلم الذي كتب به اللوح، ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [الآية 1] ما كتب فيه منه بالسعادة والشقاوة. وقيل: نون القدر وقلم القضاء ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [الآية 1] كرام الكاتبين.

وروي مرفوعاً أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة[1] وذلك قوله: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾ [الآية 1] ثم قال له: اكتب، قال: ما أكتب، قال: ما كان هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أجل ورزق أو أثر، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

وأفاد الأستاذ أن ﴿نٓ﴾ مفتاح اسم نور أو ناصر ونحوهما، ويقال: إنه قسم بنصرة الله تعالى لرسوله ويلائمه: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ [الآية 2] فإنه جواب القسم، والمعنى ما أنت بمجنون منعماً عليك بالنبوَّة وأنواع الفنون والعامل في الحال معنى النفي والمعنى/ انتفى عنك الجنون بسبب نعمة ربك. 362/ أ

وقال الأستاذ: ما أوجب لصدره من الوحشة بقول الأعداء فيه يرده عليهم بخطابه وعنه ينفيه.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا﴾ [الآية 3] لثواباً عظيماً على احتمال الأذى وإبلاغ الهدى ﴿غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣﴾ [الآية 3] أي غير مقطوع ولا منقوص، وفيه إشارة إلى أن السير في الله غير متناه حتى في الجنة لعدم تناهي تجليات ذاته وتنزلات صفاته ومن قال ذلك فهو غير عارف لما هنالك بل في الحقيقة هذه الحالة هي الجنة لأهل المعرفة فله الحمد والمنة.

وقال الأستاذ: لما سمت همته عليه السلام عن طلب العوض وحصول الغرض أثبت الله له الأجر فقال: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣﴾ [الآية 3] وإن كنت لا تريده ومن ذلك الأجر العظيم هذا الخلق الكريم وهو أنك لست تريد الأجر ولست تريد غيرنا من الأمر، ولولا أنَّا خصصناك بهذا التحرير لكنت كأمثالك في أمر الأجر.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾ [الآية 4] إذ تحتمل من قومك ما لم يحتمله

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (7/ 259) رقم (35873).

مثلك. وسئلت عائشة عن خلقه فقالت: كان خلقه القرآن[1]، أي كان متخلقاً بأخلاق الرحمان.

قال الحسين: لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعة الحق.

وقال جنيد: اجتمع خلقه في أربعة أشياء: السخاوة والإلفة والنصيحة والشفقة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما عرّفه أخبار من قبله من الأنبياء اجتمع فيه متفرقات أخلاق الأصفياء. ويقال: إنه لما عرض عليه مفاتيح الأرض لم يقبلها ورقّاه ليلة الإسراء وأراه جميع الأشياء فلم يلتفت إليها. ويقال: لأنه لا بالبلاء ينحرف ولا بالعطاء ينصرف. ويقال: إذا كان غداً فكلٌّ يقول: نفسي نفسي وهو يقول: أمتي أمتي. ويقال: علَّمه محاسن الأخلاق بقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: الآية 199] فقال لجبريل: بماذا يأمرني ربي، فقال: يقول لك صِلْ مَن قطعك واعطِ مَن حرمك واعف عمن ظلمك، فتأدَّب بهذا الأدب الكريم فأثنى الله عليه في كلامه القديم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 4].

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾ [الآيتان 5،6] أي الفتون بمعنى الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول فإنه يقال لمن له عقل له معقول، وقيل: الباء صلة والمعنى أيكم الذي فتن بالجنون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية 7] وهم على الحقيقة مجانين ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الآية 7] الفائزين بكمال العقل في أمر الدين حتى يصيروا من المجتهدين.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] تهييج للتصميم على معاصاة المعتدين.

وقال الأستاذ: معبودك واحد فليكن/ مقصودك واحد وإذا شهدت 362/ ب

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (1/ 30) رقم (72)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 154) رقم (1428)، وأحمد في المسند (6/ 91) رقم (24645).

مقصودك واحد فليكن مشهودك واحداً.

﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ﴾ [الآية 9] تداهنهم وتلاينهم بأن تدع نهيهم عن شركهم وتوافقهم أحياناً في كفرهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ [الآية 9] فيلاينونك بترك الطعن والموافقة في المرافقة بالإقامة والطعن.

وأفاد الأستاذ: أن مَن أصبح عليلاً تمنى أن يكون الناس كلهم مرضى وكذا مَن وُسِم بكي الهجران ودّ أن يشاركه فيه السو. قلت: لما قيل إن البلية إذا عمت لمَّت.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ [الآية 10] كثير الحلف في الحق والباطل ﴿مَّهِينٍ﴾ [الآية 10] حقير الرأي عند العاقل ﴿هَمَّازٍ﴾ [الآية 11] عيّاب مغتاب ﴿مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ﴾ [الآية 11] فقال: الكلمة على وجه السعاية ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [الآية 12] في الإيمان والإحسان ﴿مُعْتَدٍ﴾ [الآية 12] متجاوز في العدوان ﴿أَثِيمٍ﴾ [الآية 12] كثير الإثم والعصيان.

﴿عُتُلٍّ﴾ [الآية 13] جاف قاسي الجنان غليظ اللِّسان ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 13] بعدما عدّ من مثالبه دعيّ متهم في نسبه أو معروف بلومه وشرّه في كسبه، قيل: هو الوليد بن المغيرة ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده، وقيل غيره والأظهر أن المراد به هو ونحوه.

وأفاد الأستاذ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] هو الذي سقط من عيننا فأقميناه بالبعد عنا ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] محجوب عنا معذَّب بخذلان الوقيعة في أوليائنا ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [الآية 12] مهان بالشحّ في المال مسلوب التوفيق من جهة الأعمال ﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [الآية 12] ممنوع الحياء في الميدان مشتت في أودية الحرمان ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] لئيم الأصل عديم الفضل شديد الخصومة بباطله غير راجع في شيء من الخير إلى حاصله.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الآيتان 14،15] أي قال ذلك لأن كان متمولاً مستظهراً بالمال والبنين. وقرأ ابن

عامر وحمزة وأبو بكر بزيادة همزة الاستفهام، أي الآن كان ذا مال وبنين ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [الآيتان 15، 16] بالكي ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [الآية 16] على أنفه، وقد أصاب الوليد جراحة يوم بدر فبقي أثره، وقيل هو عبارة عن أن يذلّه غاية المذلّة، أو المعنى نسوِّد وجهه يوم القيامة.

وقال الأستاذ: سنجعل له في القيامة على أنفه تشويهاً لصورته يُعرف بها سوء سيرته.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ [الآية 17] امتحنا أهل مكة حين دعا عليهم النبي ﷺ فابتلاهم بالجوع حتى أكلوا الجيفة ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الآية 17] يريد بستاناً كان فرسخين دون صنعاء وكان لرجل من الصلحاء وكان وقت صرامها ينادي الفقراء ويترك لهم ما أخطأه المنجل أو ألقته الريح أو بعُدَ من البساط الذي يُبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه: المال تفرّق فينا فإن كان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا فحلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [الآية 17] خفية عن المساكين كما قال ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا/ مُصْبِحِينَ﴾ [الآية 17] ليقطفنّها قبل أن يفطن 363/ أ المساكين داخلين الصباح ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] ولا يقولون إن شاء الله ليدركوا الفلاح والمعنى ولا يستثنون حصة المساكين.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ [الآية 19] على الجنة ﴿طَآئِفٌ﴾ [الآية 19] من العقوبة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 19] مأذون منه منشىء عنه ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف: الآية 97] غير عالمين.

قال الأستاذ: أرسل من السماء ناراً فأحرقت ثمارهم ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾ [الآية 20] جنتهم ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ [الآية 20] كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه آثاره أو كالليل باحتراقها واسودادها ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] نادى بعضهم بعضاً حال دخولهم في صباحهم ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ [الآية 22] اذهبوا مقبلين عليه ومتوجهين إليه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ [الآية 22] قاطعين ومانعين.

﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الآية 23] فذهبوا والحال إنهم يتشاورون فيهم بينهم ويتكاتمون عن غيرهم ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] إن

مفسرة والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الوصول ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] أي ذهبوا على نكد حال كونهم قادرين عليه بزعمهم، أو غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على النفع والإحسان. والمعنى أنهم عزموا أن ينكدوا على المساكين فنكّد الله عليهم بحيث إنهم لا يقدرون فيها إلا على نكد أنفسهم.

وقال الأستاذ: أي غدوا على قصد إلى الصرام قادرين عند أنفسهم. ويقال: على غضب منهم على المساكين، يعني أن الحرد بمعنى بفتحتين كما قرىء به.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ [الآية 26] أول ما رأوا الجنة ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ [الآية 26] طريق جنتنا وما هي بها ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الآية 27] أي بعدما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا بل هذه جنتنا ولكنا حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [الآية 28] رأياً أو سناً أو أعدلهم طريقة وأفضلهم مقالة ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [الآية 28] لولا تذكرون الله بالتسبيح وغيره لديه وتتوبون إليه، وقد قالها حيث عزموا على صرام الجنة وقطعها ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الآية 29] بمخالفة النيَّة وتغيير الطوية على أنفسنا أو على المساكين. وقيل: المعنى لولا تنزِّهون الله في تضيق الرزق وقلة البركة لو ذهبتم على طريقة والدكم في التوسيع في الصدقة، والمعنى لولا تستثنون وتقولون إن شاء الله، فسمي الاستثناء تسبيحاً لمشاركتها في تعظيم الله أو لأنه تنزيه عن أن يجري في ملكه ما لا يريده من حكمه.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30] يلوم بعضهم بعضاً فإن منهم من أشار به ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت ورضيه ومنهم من أنكره ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] مجاوزين الحد بمنع المساكين/ 363/ب ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾ [الآية 32] ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة، وقرأ نافع وأبو عمرو بتشديد الدال، وقد روي أنهم أبدلوا خيراً منها ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [الآية 32] راجون المغفرة طالبون المثوبة.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 33] مثل ذلك الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية 33] في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ [الآية 33] أعظم منه وأبقى ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 33] لاحترزوا عما يؤديهم إلى عذاب يؤذيهم.

قال الأستاذ: هكذا نقول من كان له بداية حسنة في الأيام والليالي ويجد توفيق الطاعة واجتناب المعصية على التوالي فيعوضه الله في الوقت نشاطاً وتلوح في باطنه أحوال توجب انبساطاً فإذا بدر منه سوء رعاية وترك أدباً من آداب الخدمة تنسدّ عليه تلك الأحوال ويقع في فترة من الأعمال، فإن حصل منه بالعبادات إخلال ولبعض الفرائض إهمال انقلب حاله ورد الوصال إلى البعاد والحجاب ومن الاقتراب إلى الاغتراب عن الباب فصارت صفوته قسوة فإن كان له بعد ذلك توبة وعلى ما سلف منه ندامة وملامة فقد فات الأمر مزيدة، فقل ما يصل باله إلى حاله ولا يبعد أن ينظر الحق إليه بأفعاله فيقبله بعد ذلك رعاية ما سلف في بداية من أحواله والله رؤوف بعباده وعطوف بعباده.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 34] أي في الآخرة أو في حظيرة القدس أو حضرة الأنس ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الآية 34] ليس فيها إلا التنعُّم الخالص من البؤس.

قال جعفر الصادق: من اتقى الذنوب كان مأواه جنة النعيم ومن اتقى الله كشف عنه الغطاء حتى يشاهد اللقاء.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] من إنكار لقول المشركين إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومَن معه من المؤمنين لِمَ يفضلونا في مراتب العقبى بل نكون أحسن حالاً منهم كما نحن عليه في الدنيا ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الآية 36] التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد لفهمهم وإشعار بأنه صادر من اختلال فكرهم واعوجاج رأيهم ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ [الآية 37] منزل من السماء ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [الآية 37] تقرؤون الأشياء ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الآية 38] أي تختارون وتشتهون استئناف للبيان أو حكاية للمدروس من البرهان أو أصله أن بالفتح فلما جِيء خبرها باللام كسرت.

﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ﴾ [الآية 39] عهود مؤكدة بالأيمان ﴿عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ﴾ [الآية 39] متناهية في توكيد هذا الشأن ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 39] أي ثابتة لا تخرج عن عهدتها حتى تحكم في تلك الساعة ﴿إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ﴾ [الآية 39] جواب القسم لأن معنى ﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ﴾ [الآية 39] أم أقسمنا لكم بأيمان.

﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية 40] قائم بذلك الحكم يدعيه ويصححه ويدفع ما ينافيه ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ﴾ [الآية 41] يشاركونهم في قولهم/ ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 41] في دعواهم إذ لا أقل من التقليد في مقام جدالهم وتصحيح حالهم. 364/أ

﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [الآية 42] يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب، وكشف الساق مثل في الهرب أو ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ﴾ عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عياناً وتنكيره للتهويل أو التبجيل ﴿وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [الآية 42] توبيخاً على تركهم السجود إن كان اليوم يوم القيامة الكبرى ويدعون إلى الصلاة إن كان وقت النزع ويوم القيامة الصغرى ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [الآية 42] لذهاب وقته أو زوال قدرته.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌ﴾ [الآية 43] تلحقهم مذلة وقد كانوا ﴿يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [الآية 43] في حال الحياة أو زمان الصحة ﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ [الآية 43] متمكّنون منه بحسب ظاهر القدرة.

قال الواسطي: لو كشف الحق لصار الخلق حيارى ولكن هو وهم بأستر مما يكشف غم الأمر ليعرفوا قدر ما هم عليه. وأما الغاية فهو الاستدراج والمكر.

وقال جعفر الصادق: يوم يكشف عن الشدائد والأهوال والصراط والحساب وسائر الأحوال وعبده الذي سبقت له عنايته في الأزال سالم من تلك الآفات والأنكال فكل من سبق له من الله الفضل يسجد بين يديه مقبلاً عليه، ومن سبق له من الله العدل لا يقدر أن يسجد لديه وظهره يصير كالحجر عليه لا يلين لسجود ربّ العالمين.

وقال الأستاذ: ﴿عَن سَاقٍ﴾ [الآية 42] إلى شدة وهو يوم القيامة، وفي التفسير ﴿عَن سَاقٍ﴾ [الآية 42] من سوق عرشه، فأما المؤمنون فيسجدون وأما الكفار فتشتد أصلابهم فلا ينحنون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون نذكرهم ذلك لتزداد حسرتهم هنالك ولتكن الحجة أبلغ لديهم وألزم عليهم.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [الآية 44] كله إليَّ فإن كفايته عليَّ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ [الآية 43] سندنيهم من العقوبة درجة درجة بإفادة المهلة وإدامة الصحة وزيادة النعمة ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 44] أنه استدراج بالإنعام عليهم لأنهم حسبوه أنه إقبال إليهم.

قال الجنيد: لولا مكر الله طاب عيش الأولياء ومن مكره بالولي أن يطير في الهواء ويمشي على الماء.

وأفاد الأستاذ: أن الاستدراج هو أن كلما ازدادوا معصية زادهم نعمة. ويقال: أن لا يعاقبه في الزلّة ليتنبه ويؤخر العقوبة إلى ما بعده. ويقال: هو الاشتغال بالنعمة مع نسيان المنعم. ويقال: الاغترار بطول الإمهال. ويقال: ظاهر مغبوط وباطن مخلوط.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [الآية 45] أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الآية 45] أي إذا أخذتهم فأخذي أليم شديد ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الآية 46] على إرشاد هداية فهم ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ [الآية 46] من غرامه/ ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ [الآية 46] بحملها فيعرضون عنك لأجلها 364/ ب ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ [الآية 47] أي جنسه أو اللوح ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الآية 47] منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمنا.

﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية 48] على سوء مقالهم وقبح فِعالهم ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية 48] وهو إمهالهم حتى تنتهي آجالهم ويستغنون به عن علمك ﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية 48] على سوء مقالهم وقبح فعالهم ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية 48] وهو إمهالهم حتى تنتهي آجالهم ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [الآية 48] يونس عليه السلام في استعجاله هلاك قومه ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ [مريم: الآية 3] في بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [الآية 48] مملوء غيظاً على قومه من غلبة الضجر وقلة الصبر أي والحال أنه مغموم مهموم.

وقال أبو بكر الوراق: لا يستقيم الزهد إلا بالصبر لأن الصبر يجنبك آفات الدنيا ويحملك على الروح والراحة في الدنيا والعقبى ويزيد في عقلك ويشفيك من جهلك. والصبر يفيدك كل يوم من أدويته يدلك به على رشدك، والصبر يقهر أعداءك أي نفسك وشيطانك وأهواءك، والصبر سائق إليك جميع محاسنك ودافع عنك سائر قبائحك عاجلاً وآجلاً.

وقال الأستاذ: أي لا تستعجل بعقوبة قومك كما استعجل يونس قبلك فلقي ما لقي وتثبت عند جريان حكمنا ولا تعارض تقدير أمرنا.

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية 49] يعني توفيق التوبة وتحقيق العصمة ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ [الآية 49] بالأرض العارية عن الأشجار والأثمار، الخالية عن الأهل والدار.

وقال الحسن: العراء هو القيامة، يعني وهو صحراء المذمة والندامة، وهو مذموم ملوم مبعود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليه الجواب لأنها المنفية دون النبذ على وجه التراب.

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [الآية 50] فإن رد الوحي إليه أو قبل توبته وأقبل عليه ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 50] من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل ما تركه أوْلى في مقام الفلاح. والآية نزلت حين همَّ رسول الله ﷺ أن يدعو على ثقيف.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [الآية 51] وقرأ نافع بفتح الياء وإن هي المخففة واللام هي الفارقة، والمعنى أنهم يكادون يهلكونك حين يصيبونك بأعينهم إذ روي أنه كان في بني أسد عيّانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله ﷺ[1]، وفي الحديث: «إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر»[2].

ولعله يكون من خصائص بعض النفوس من الوزر ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾

---

(1) انظر تفسير البغوي (8/ 201)، والكشاف (7/ 129)، وتفسير الرازي (15/ 474).
(2) انظر الدر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (1/ 14)، وكشف الخفاء (2/ 77) رقم (77).

[الآية 51] أي القرآن، والمعنى ينبعث عند سماعهم بغضهم وحسدهم.

قال الأستاذ: كانوا إذا أرادوا أن يصيبوا شيئاً بأعينهم جاعوا ثلاثة أيام ثم جاؤوا ونظروا إلى ذلك الشيء وقالوا: ما أحسنه من شيء، فكان يسقط المنظور إليه في الوقت ففعلوا ذلك بالنبي ﷺ وقالوا: ما أفصحه من رجل، فحفظه الله عنهم بنظره إليه ومنَّ بذكره عليه ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [الآية 51] حيلة في أمره وتنفيراً عن ذكره.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ/ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الآية 52] أي ما القرآن إلا ذكر عام وشرف 365/ أ تام لا يدركه إلا مَن كان أكمل الناس عقلاً ولا يتبعه إلا أتقنهم رأياً وأحكمهم فضلاً. أو وما محمد إلا مذكر للعالمين فإنه مبشِّر للطائعين ومنذر للعاصين.



سورة الحاقة

[مكيّة]

وهي إحدى وخمسون آية(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة عزيزة يحتاج في سماعها إلى سمع عزيز لم يستعمل في سماع الغيبة ويفتقر في معرفتها إلى قلب عزيز لم يبتذل في الغفلة والغيبة ولم ينظر صاحبه بعينه إلى ما فيه الريبة لم يبتغ بنفسه اللهو والطيبة.

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١﴾ [الآية 1] أي الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها وهي مبتدأ خبرها ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢﴾ [الآية 2] أصله ما هي؟ أي شيء هي؟ على التعظيم لشأنها والتهويل في بيانها، فوضع المظهر موضع المضمر لأنه أهول لها ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾ [الآية 3] أي وأي شيء أعلمك ما هي، والمعنى إنك لا تعلم كنهها فإنها أعظم من أن يبلغ دراية أحد غايتها.

قال سهل: أي اليوم الذي يحق كل أحد بعمله من خير وشر صدر عنه في جملة أجله.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ [الحاقّة: الآية 4] قوم صالح ﴿وَعَادٌۢ﴾ [الآية 4] هود ﴿بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الآية 4] بالحالة التي تقرع قلوب الناس بالإفزاع والإنكسار والإجرام بالانفطار والانتشار، وإنما وضعت القارعة موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها وإفادة لنعت حدتها.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقّة: الآية 5] بالواقعة المجاوزة للحد في شدة وهي الصيحة أو الرجفة أو الصاعقة لتكذيبهم بالقارعة.

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ [الآية 6] أي شديد الصوت أو البرد ولا منع ﴿عَاتِيَةٍ﴾ [الآية 6] شديدة العصف كأنها عتت على خزائنها فلم يستطيعوا صدّها أو على عاد فلم يقدروا على ردها.

﴿سَخَّرَهَا﴾ [الآية 7] سلطها بقدرته وفق إرادته ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الآية 7] متتابعات أو نحسات حسمت أمرهم وقطعت دابرهم وهي كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء إلى غروب الأربعاء الآخر، وسميت عجوز لأنها عجز الشتاء فكان يهزم فيها برد الهواء ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ﴾ [الآية 7] إن كنت حاضرهم وناصرهم ﴿فِيهَا﴾ [الآية 7] في مهابها على الأنام أو في تلك الليالي والأيام ﴿صَرْعَىٰ﴾ [الآية 7] موتى ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الآية 7] أصول نخل متآكلة الجوف، فخاوية بمعنى خالية، وقيل معناها ساقطة.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] من بقاء أو بقية أو نفس باقية ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ [الآية 9] من تقدّمه، وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح الباء، أي ومن عنده ممن تبعه ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ [الآية 9] قرى قوم لوط، والمراد أهلها ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ [الآية 9] بالخطأ أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطأ.

﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 10] فعصى / كل أمّة رسولها، أو المراد بالرسول 365/ ب الجنس أي فعصوا رسل ربهم ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الآية 10] زائدة في شدة، والفظاعة زيادة أعمالهم في القبح والشناعة.

وأفاد الأستاذ: أن الفائدة في ذكرهم الاعتبار بأجرهم وعقوبة هذه الأمة مؤجلة إلى يوم القيامة مؤخّرة، وأما خواصهم فعقوبتهم معجّلة فأهلك عاداً بالريح وقوم من هذه الطائفة إذ أشاعوا سرّاً وأضاعوا أدباً يعاقبهم برياح الحجبة فلا يبقى في قلوبهم أثر من الاحتشام للدين ولا مما كان لهم من أوقات اليقين وهم على خطر من أحوالهم الرديئة أن يمتحنوا بالاعتراض على التقدير والقسمة. وأما فرعون وقومه فعذّبهم بالغرق وكذلك من وقته فارغ وهو بطاعته مشتغل والحق عليه مقبل فإذا لم يشكر النعمة وأساء به في الخدمة ولم يعرف قدر ما أنعم عليه من المنحة رده الحق إلى أسباب التفرقة

ثم يغرقه بحار المشغلة فيتكدر عليه مشربه وعلى خطر أن يدركه سخط الحق وغضبه.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الآية 11] جاوز حدّه المعتاد أو طغى على خزانهِ في المراد ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ [الآية 11] أي آباءكم وأنتم في أصلابهم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الآية 11] في سفينة نوح عليه السلام ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ [الآية 12] لنجعل الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين أو لنجعل قضية السفينة ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ [الآية 12] عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره وجمال رحمته ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ [الآية 12] وتحفظها ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الآية 12] من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظها بتذكره وتسمعه والتفكُّر فيه والعمل بموجبه، والتنكير للدلالة على قِلتها. وقيل: الواعية هي الخالية عما سواه.

وقال الأستاذ كذلك منّته على خواص أوليائه في أن يسلِّمهم في سفينة العافية فالكون يتلاطم أمواج بحار إشغالها على اختلاف أوصافها من أحوالها وأهوالها وهم بوصف السلامة لا مع أحد منازعة ولا مع أحد محاسبة ولا مع أحد لهم توقُّع ومطالبة سالمون من الناس والناس منهم سالمون.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] وهي النفخة الأولى التي عندها خراب الدنيا أو الثانية التي في وجودها ظهور العقبى ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [الآية 14] رفعت من أماكنها بمجرد الإرادة ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 14] فضربت الجملتان ضربة واحدة فيصير الكل هباءً منبثاً أو فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً لأن الدكّ سبب التسوية ومنه استعمال الدكان والدكة.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] فحينئذ قامت القيامة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [الآية 16] لنزول الملائكة ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الآية 16] ضعيفة مسترخية ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ [الآية 17] أي جنس الملك أو جمع منهم ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الآية 17] جوانبها ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ [الآية 17] فوق الملائكة/ الذين هم على أرجائها 366/أ أو فوق الثمانية الآتية التقديم فكأنها الماضية والأظهر أن يقال فوق الخلق ﴿يَوْمَئِذٍ

﴿ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الآية 17] أملاك لما روي مرفوعاً أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيّدهم الله بأربعة أخرى، وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدّتهم إلا الله سبحانه.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ [الآية 18] أي العرض الأكبر في ذلك المحشر ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الآية 18] سريرة على الله تعالى لأنه عالم بالظواهر والضمائر أو على الناس أو على أنفسهم لقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩﴾ [الطّارق: الآية 9]. وقرأ حمزة والكسائي بالتذكير.

قال محمد بن حامد: الغافل من غفل عن العرض الأكبر حتى شهد على العبد جوارحه لا شاهد عليه إلا منه ثم تجزى كل نفس بما تسعى فمن لم يهتم لذلك العرض ولم يصلح نفسه له ولم يدم تضرُّعه إلى الله في استقامة ما سبق منه فهو الغريق في بحار الغفلة.

وقال الأستاذ: في كل نفس مع هؤلاء القوم محاسبة ومطالبة ومع قوم على ما يستحقه معاقبة ولآخرين معاتبة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [الآية 19] تفصيل للعرض فيقول تبجحاً ﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الآية 19] أي خذوه واقرؤوه، والهاء فيه وفيما بعده للسكت واستحب الوقف عليها لثباتها في الإمام، وإنما يستطيبها في الوصل حمزة من قراءة الأنام في ماليه وسلطانيه بناءً وفي ماهيه في القارعة.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ [الآية 20] أي علمت ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الآية 20] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١﴾ [الآية 21] ذات رضا على النسبة بالصيغة، والمعنى في حالة هنية مريئة صافية على شوائب الكدر خالية عن نوائب الحذر ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢﴾ [الآية 22] مرتفعة الأمكنة لأنها في جهة العلوية أو الدرجات أو الأبنية أو هي جنة البقاء عالية من أن يصل إليها يد الفناء ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣﴾ [الآية 23] يجتنى ثمرها قريبة يتناولها القاعد القاصد.

قال الأستاذ: لأنهم تركوا في الحال مآربهم ورفعوا عن قلوبهم مطالبهم فليس لهم إرادة ولا تمسّهم حاجة فهم في روح الرضا فعيش أولئك في

العطاء، ثم إذا بدا علم من الحقيقة فلا حاجة ولا سؤال ولا فضل ولا نوال. ويقال لهم غداً: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾ [الآية 24] أكلاً وشرباً هنيئاً ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ [الآية 24] بما قدَّمتم من الأعمال الزاكية والأحوال الصافية ﴿فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الآية 24] الماضية من أيام الدنيا والخالية عن الأكل والشرب بسبب الصيام أو بالصبر على القحط في الأيام.

وقال الواسطي: أي الأيام الخالية عن ذكر الله لتعلموا أنكم في مقام الإفضال دون جزاء الأعمال.

وقال الأستاذ: يقال لهؤلاء الرجال اسمعوا منا وانظروا إلينا واستأنسوا /بقربنا وطالعوا جمالنا وجلالنا فأنتم بنا ولنا. 366/ب

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الآيتان 25،26] لما يرى من قبح العمل وسوء الأمل ﴿يَـٰلَيْتَهَا﴾ [الآية 26] أي الموتة الماضية ﴿كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الآية 27] لأمري فلم أُبعث بعدها من الأزمنة الآتية ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى﴾ [الآية 28] شيئاً أو أي شيء أغنى عني ﴿مَالِيَهْ﴾ [الآية 28] ما لي من المال والأتباع في تلك الحال ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ﴾ [الآية 29] ملكي وتسلّطي على غيري ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الآية 30] خطاب لخزنة النار ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] أدخلوه ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الآية 32] أي طوله ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الآية 32] فانظموه فيها بأن تلفوها على جسده وهو فيما بينها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية 33] استئناف فيه معنى التعليل.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] لا يحث نفسه أو غيره على بذل طعامه أو على إطعامه فضلاً أن يبذل من ماله ومرامه، ولعل تخصيص الأمرين بالذكر لأن مدار الأمر على التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] قريب يحميه أو يهتم بأمره ويدنيه ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الآية 36] فعلين من الغسل أي غسالة أهل النار وصديد أهل البوار ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الآية 37] أصحاب الخطايا والأوزار، ولعل قوماً أكلهم الزقوم وآخرين طعامهم الضريع، أو تارة وتارة بحسب التنويع.

وقال الأستاذ: أقوام هم اليوم مهجورون بتصاعد حسراتهم وبتضاعف أنينهم ليلهم ويل ونهارهم ليل تكدّرت مشاربهم وتجرّدت أوطان أنسهم فلا يرحم بكاؤهم ولا يسمع أنينهم فعندهم إنهم مبعدون مرجومون وهم في الحقيقة من الله مرجومون أسبل الستر عليهم وصغّرهم في أعينهم وهم أكرم أهل القصة كما قالوا في رفع هذه القصة:

لا تنكرن جحدي هواك إنما		ذاك الجحود عليك ستر مسبل[1]

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ [الآية 38] لظهور الأمر المبهم واستغنائه عن التحقيق بالقسم أو فلا رد لإنكارهم وأقسم مستأنف في إخبارهم ولا صلة، والمعنى فأقسم ﴿بِمَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الآية 38] ﴿وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩﴾ [الآية 39] بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات.

وقال جعفر الصادق: بما تبصرون من صنعي في ملكي وبهائي وما لا تبصرون من برِّي إلى أنبيائي وأوليائي.

وقال ابن عطاء: ما تبصرون من آثار القدرة وما لا تبصرون من آثار القدرة وأنوار الحكمة.

﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 40] أي القرآن ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ﴾ [الآية 40] تبلّغه عن ربّه، فإن الرسول لا يقول مِن عنده ﴿كَرِيمٖ﴾ [الآية 40] على الله وهو محمد أو جبريل ويؤيد الأول قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ﴾ [الآية 41] كما يزعمون تارة ﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 41] تصديقاً / قليلاً يصدقون لفرط عنادكم. 367/ أ

﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ﴾ [الآية 42] كما تدَّعون مرة ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 42] تذكراً قليلاً تذكرون فلذا يلتبس الأمر عليكم، وقرأ ابن كثير وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان بالغيبة في الفعلين.

﴿تَنزِيلٞ﴾ [الآية 43] أي بل هو منزل ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 43] أنزله على لسان الروح الأمين ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا﴾ [الآية 44] أي لو افترى بالنسبة إلينا ﴿بَعۡضَ

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 208) رقم (7/ 467).

﴿ٱلۡأَقَاوِيلِ﴾ [الآية 44] أي فرضاً وتقديراً لثبوت عصمة الملائكة والأنبياء لدينا ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ﴾ [الآية 45] بعضه ﴿بِٱلۡيَمِينِ﴾ [الآية 45] بالقوة المتين.

﴿ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الآية 46] أي نياط قلبه بضرب عنقه ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ﴾ [الآية 47] عن القتل والمقتول ﴿حَٰجِزِينَ﴾ [الآية 47] دافعين، وصف للأحد فإنه عام في العدد ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 48] أي القرآن ﴿لَتَذۡكِرَةٞ﴾ [الآية 48] موعظة وتبصرة ﴿لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية 48] لكونهم المنتفعين.

﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الآية 49] فنجازيهم على تكذيبهم يوم الدين ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الآية 50] إذا رأوا ثواب المؤمنين ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ [الآية 51] أي اليقين الثابت الذي لا ريب فيه للموقنين ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الآية 52] أي نزِّهه عن العيوب والآفات مقروناً بإثبات كمال الصفات.

قال الجنيد: حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك معرفته بالحق وأن يشاهد المغيّبات كمشاهدة المرئيات ويخبر عنها بالصدق ويحكم عليها بالحق كما أخبر الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه مشاهدته بين يديّ النبي ﷺ حين سأله: «ماذا أبقيت لنفسك؟ قال: الله ورسوله»[1]، فأخبر عن تحققه بالحق وقطعه عن كل ما سواه ووقوعه على الصدق ولم يسأله النبي عليه السلام عن كيفية ما أشار إليه من المقام لِمَا عرف من صدقه وبلوغه المنتهى فيه وتحققه.

ولما قصر حال حارثة عن حاله وقال: أصبحت مؤمناً حقاً، فأخبر عن حقيقته إذ سأله النبي ﷺ عن ذلك لما كان يجد في نفسه من عظيم دعواه ثم لما أخبر لم يحكم بذلك وقال: «عرفت فالزم»[2] أي عرفت الطريق إلى حقيقة الإيمان وتحقيق التصديق فالزم الطريق حتى تبلغ إليه. وترك حال

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 104) رقم (1298).

(2) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (6/ 153) رقم (1916)، والطبراني في المعجم الكبير (3/ 266) رقم (3367)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 363) رقم (10591).

التصديق مستوراً من غير استخبار لما علم من صدقه فيما ادعى وتحقيقه فيما رأى.

وأفاد الأستاذ أن حق اليقين هو عين اليقين وإضافته إلى اليقين كما يقال نفس العلم وعلوم الناس تختلف في الطرق إليها في الخفاء والجلاء فيما يقال من الفرق بين علم اليقين وعين اليقين، وحق اليقين يرجع إلى كثرة البراهين ثم إلى كون بعضه ضرورياً وبعضه كسبياً. قلت: وبعضه وهبياً، وفقنا الله للمكاسب ورزقنا من لدنه المواهب.



367/ ب

/ سورة المعارج

[مكيّة]
وهي أربع وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة مَن قالها وجد جمالها ومَن شهدها شهد جلالها، ليس كل مَن قالها قالها كلمة رفيعة عن إدراك الألباب منيعة.

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾ [الآية 1] أي دعاء داعٍ يعني طلبه واستدعاه والسائل نضر بن الحارث حيث قال: إن كان هذا هو الحق من عندك، أو أبو جهل فإنه قال: أسقط علينا كسفاً من السماء، سأله بالاستهزاء. وقرأ نافع وابن عامر: سال بالألف وهو من السؤال على لغة قريش في الإبدال.

﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 2] صفة أخرى لعذاب أو صلة لواقع أي خالص لهم وخاص بهم أو نازل عليهم وحاصل لديهم.

وأفاد الأستاذ: أن الباء بمعنى عن أي سأل سائل عن هذا العذاب لمن هو قال تعالى: هو ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢﴾ [الآية 2] يرده ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 3] من جهته لتعلُّق إرادته ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [الآية 3] ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلمات الطيبة والأعمال الصالحة، أو يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم من الحالات الرضية والمقامات العلية، أو في دار ثوابهم من المنازل البهية والسماوات فإن الملائكة يعرجون فيها في المنازلات.

﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية 4] وقرأ الكسائي بالتذكير ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ [الآية 4] أي جبرائيل وإفراده لفضله بالرسالة أو خلق أعظم من الملائكة ﴿إِلَيۡهِ﴾ [الآية 4] إلى

عرشه أو مكان أمره.

وقال سهل: تعرج الملائكة بأعمال بني آدم إلى الله الأحد والروح إليها ناظرة في ذلك المشهد ﴿فِي يَوْمٍ﴾ [الآية 4] أو وقت كريم ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [الآية 4] أي كمقدارها من سني الدنيا حيث إنهم يقطعون فيه ما يقطع الإنسان فيها لو فرض، وذلك لأن غلظ كل أرض خمسماية ومن كل أرض إلى أرض كذلك وكذا السماء فيكون إلى محدّب السماء السابعة أربعة عشر ألف عام ومنها إلى العرش ستة وثلاثون فيكون خمسين ألف سنة، هكذا نقل عن ابن عباس ومجاهد، فالظرف متعلق بيعرج وحيث قال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السَّجدَة: الآية 5] يريد زمان عروجهم من الأرض إلى محدّب السماء الدنيا أو المراد به يوم القيامة، أي يعرج الملائكة والروح للعرض والحساب في يوم جعله الله على الكافرين خمسين ألف سنة ويخففه على المؤمنين حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصلِّيها في الدنيا، وهذا أيضاً ثبت عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وابن زيد وغيرهم، فالظرف متعلق بواقع وهذا القول أصح، وفي مناسبة السابق واللاحق أصرح وفي الأحاديث الصحيحة: «إن طول يوم القيامة خمسون ألف سنة»[1]. واستطالته/ إما لشدّته على الكفار أو لأنه على الحقيقة 368/ أ كذلك إلا أنه يهون على الأبرار.

﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ [الآية 5] لا شكوى فيه ولا دعوى أو هوان لا يستثقله بل يستعذبه بشهود المبلى الذي هو المولى أو هو مقام الرضاء بالقضاء في استواء الحلواء والبلوى ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ [الآية 6] أي العذاب أو وقت الحساب ﴿بَعِيدًا﴾ [الآية 6] من الإمكان ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [الآية 7] من الوقوع في الزمان. قال بعضهم: يتوهمون بعدهم عن الحق وبُعد الحق عنهم وهم منه على أقرب قريب.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ [الآية 8] أي كالنحاس المذاب بالتدريج

---

(1) انظر تفسير القرطبي (14/ 88)، وتفسير الرازي (11/ 209)، والكشاف (4/ 368).

والمهل ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾ [الآية 9] كالصوف المنفوش المصبوغ اللون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إن في ذلك اليوم مَن كان في سموّ نخوته ونبوّ صولته يلين ويسكن ويضعف من كان يشرف ويذل من كان يذل.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ [الآية 10] لا يسأل قريب قريباً عن حاله ولا عن مآله فإذا لم يتفرغ القريب إلى القريب فمن يلتفت إلى المسكين القريب وهو كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عَبَسَ: الآيات 34،36].

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [الآية 11] يرونهم استئناف أو حال دال على أن المانع من السؤال هو التشاغل دون خفاء الحال، وجمع الضمير لتعميم الحميم ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى﴾ [الآية 11] أن يتفدى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ [الآيتان 11،12] بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه لديه فضلاً عن أن يهتم بحاله أو يسأله عن مآله ومناله. وقرأ نافع والكسائي: يومئذ بفتح الميم.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ [الآية 13] أي من فصل عنهم عن عشيرته ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ [الآية 13] تضمّه في النسب ويلحقه في التعب والنصب ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية 14] من الثقلين أو الخلائق ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [الآية 14] عطف على يفتدي أي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد عن الإنجاء.

﴿كَلَّآ﴾ [الآية 15] ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على أن الافتداء لا ينجيه في تلك الحالة ﴿إِنَّهَا﴾ [الآية 15] الضمير للنار أو مبهم تفسيره ﴿لَظَىٰ﴾ [الآية 15] أو للقصة ولظى مبتدأ خبره ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [الآية 16] أي قلّاعة للأطراف تكشط الجلد عن الوجه والرأس والعظم، ولظى علم لنار تتلظى أي تتلهّب وتشتعل. وقرأ حفص: نزاعة بالنصب على الاختصاص.

﴿تَدْعُوا۟﴾ [الآية 17] أي تجذب وتحضر، وقيل: تدعو زبانيتها ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ [الآية 17] عن الإيمان ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [الآية 17] عن الإحسان ﴿وَجَمَعَ﴾ [الآية 18] المال الحرام ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾ [الآية 18] فجعله في دعاء حرصاً على الحطام وطولاً للأمل في الأيام.

وأفاد الأستاذ: أن جهنم تقول للكافر والمنافق إليَّ يا موافق. والإشارة فيه أن جهنم الدنيا تعلق بقلب المرء فتدعوه بكلّاب الحرص إلى نفسه / 368/ب وتجره إلى جمعه ويؤثر ما على نفسه وكل أحد له حتى أنه يبخل بدنياه على أولاده وعترته. وقليل من نجا من مكر الدنيا.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩﴾ [الآية 19] كثير الضجر قليل الصبر كما قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ [الآية 20] الفقر والضر ﴿جَزُوعًا﴾ [الآية 20] يكون كثير الجزع [وقال الواسطي: جزوعاً لما يجهل][1] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾ [الآية 21] السعة والصحة ﴿مَنُوعًا﴾ [الآية 21] مبالغاً في المنع، وقيل: لا يرضيه الكثير ويسخطه اليسير.

وقال أبو الحسن الوراق: لثناء عند النعمة ودعاء عند المحنة][2].

قال الواسطي: جزوعاً لما يجهل.

وقال ابن عطاء: هو الذي يرضى عند الوجود ويسخطه المفقود من القسمة وأما المنع فهو من علامة القسوة.

وقال الأستاذ: عند المحنة يدعو وعند النعمة ينسى ويسهو. أقول: ولا يبعد أن يقال عند المحنة يشكو ويلغو وعند النعمة يسهو ويلهو.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ٢٢﴾ [الآية 22] استثناء للموصوفين بالصفات المسطورة اللائقة من المطبوعين على الأحوال المذكورة الماضية لمضادة تلك الصفات المتقدمة للصفات المتأخرة من حيث إنها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والإشفاق على الخلق والإيمان بالمثوبة من العقوبة وكسر الشهوة والخوف وإيثار الآجل على العاجل برد الأمانات وأداء الشهادات ومحمل الاستثناء أنهم صابرون في البلاء شاكرون على النعماء راضون بأنواع القضاء..

قال ابن عطاء: إلا العارفين بمقادير الأشياء لا يكون لهم بغير الله

---

(1) من هامش المخطوط.

(2) من هامش المخطوط.

حركة ولا إلى غيره سكون.

وقال الأستاذ: إلا الذين يلازمون أبداً مواطن الافتقار.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الآية 23] لا يشغلهم عنه العوائق ولا يقطع عنه العلائق ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] كالزكوات والصدقات ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ [الآية 25] الذي يسأل ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الآية 25] الذي لا يسأل فيُحسب غنيّاً فقد يُحرم.

قال أبو عثمان: هم أهل الإيثار.

وقال ابن عطاء: هم الذين لا يرون ملكاً لأنفسهم دون غيرهم من إخوانهم.

وقال الأستاذ: ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الآية 25] أي المتكفّف والمتعفّف وهم على أقسام، فمنهم من يؤثر لجميع ماله فأموال هؤلاء لكل من قصد لا يخصون سائلاً من عائل، ومنهم من يعطي ويمسك فهؤلاء منهم من يده يد الأمانة لا يتكلف باختياره ينتظر ما يشار عليه إن أُمِرَ بالإمساك وقف على الباب أو بَذْل الكل أو البعض استجاب فهو على ما يطالب به ويقتضيه حكم الوقت وهؤلاء حالهم أتم والله أعلم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] بتحسين الأحوال وتزيين الأعمال وإنفاق الأموال رجاء للجزاء بالمنال في الآمال.

وأفاد الأستاذ: أمارتهم الاستعداد للموت قبل نزوله وأن يكونوا كما قيل:

مستوفزون على رجل كأنهم وقد يريدون أن يمضوا فيرتحلوا

369/ أ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ/ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الآية 27] خائفون وعن ارتكاب أسباب العذاب مجتنبون ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] جملة اعتراضية دالّة على أنه لا ينبغي لأحد أن يأمن عذاب الله وإن بالغ من طاعته وأكثر في عبادته ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ

﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الآيات 29 - 31] سبق في سورة المؤمنون.

وقال الأستاذ: وإنما تكون صحبتهم مع زوجاتهم للتعفُّف ولابتغاء الولدان يكون من صلبه ذكر الله وشرط هذه الصحة أن يعيش معهم على ما يهوون ولا يجرّهم إلى هوى نفسه ولا يحملهم على مراده.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ [الآية 32] وقرأ ابن كثير لأمانتهم ﴿وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [الآية 32] حافظون مراعون.

قال محمد بن الفضل: جوارحك كلها أمانات عندك أُمرت في كل واحد منها أن تفي بعهدك فأمانة العين الغض عن المحرمات والنظر بالاعتبار في الآيات، وأمانة السمع صيانتها عن اللغو وإحضارها مجالس الذكر، وأمانة اللسان اجتناب الغيبة ومداومة الذكر وملازمة الشكر، وأمانة الرِجْل المشي إلى العبادات والتباعد عن السيئات، وأمانة الفم أن لا يتناول إلا الطيبات، وأمانة اليدين أن لا تمدان إلى المحرمات، وأمانة القلب مراعاة حكم الرب على دوام الأوقات حتى لا يطالع إلا الله ولا يشهد سواه ولا يعبد إلا إيّاه ثم العهد عليك في حمل الأمانة وحفظها فمن ضيّع الأمانة وُصِف بالظلم والجهالة والخيانة.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية 33] لا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الحق والخلق، وقرأ حفص بشهاداتهم لاختلاف أنواعها.

قال سهل: قائمون بحفظ ما شهدوا من شهادة لا إله إلا الله فلا يشركون به في شيء من الأفعال والأقوال والأحوال مما سواه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] يراعون شرائطها وأركانها وفي تكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخراً باعتباريّ المداومة والمحافظة دلالة على فضلها وإنافتها على غيرها ولأنها أول العبادات وأمّ الطاعات وختم الحالات والمقامات. وقيل: المراد بالأولى النوافل والمداومة عليها وبالأخيرة الفرائض والمحافظة لديها ولعل فيه الدلالة على أنها لا تسقط في حال من الأحوال والإشارة إلى أن السالك لا يستغني عن هلات الصلاة في الابتداء ولا

في الانتهاء ولذا قيل النهاية هي الرجوع إلى البداية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾ [الآية 35] بعلو درجات وسموّ مثوبات ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦﴾ [الآية 36] مسرعين ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ/ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧﴾ [الآية 37] فرقاً مجتمعين وجماعة جماعة متحلقين ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ٣٨﴾ [الآية 38] بلا إيمان، وهو إنكار لقول الكفار. قالوا: لو صح ما يقوله محمد من وجود جنة ونار لنكونن في العقبى أفضل حظاً منهم كما الدنيا.

369/ ب

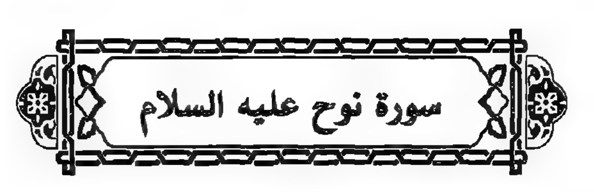
﴿كَلَّآۖ﴾ [الآية 39] فيه الردع من هذا الطمع ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 39] تعليل للردع والمعنى إنكم مخلوقون من نطفة قذرة بحسنة غير مناسبة لحظيرة مقدسة فمن لم يستكمل الإيمان والمعرفة لم يستعد لدخول الجنة.

قال الواسطي: أي خلقناهم للكفر والإيمان والثواب بالجنان والعقاب بالنيران.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الآيتان 40،41] أن نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم طاعة وأفضل منهم عبادة ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ [الآية 41] بمغلوبين إن أردنا تغيير المخلوقين ﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ [الآية 42] أي إذا لم يقبلوا الحق فدعهم ﴿يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الآية 42] غاية التهديد ونهاية الوعيد ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ [الآية 43] أي القبور ﴿سِرَاعٗا﴾ [الآية 43] مسرعين إلى الداعي وهو إسرافيل وإلى موقف الحشر والنشر ﴿كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ﴾ [الآية 43] أو علم منصوب للعبادة ﴿يُوفِضُونَ﴾ [الآية 43] يسرعون.

وقرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد والباقون بالفتح والسكون، فشبّه إسراعهم حين قاموا من القبور بإسراعهم إلى النصب في عبادتهم إياها قبل يوم النشور.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ [الآية 44] قال محمد بن علي: خاضعة لما يرون من التقصير في العبادة والتكثير في النعمة ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الآية 44] في الدنيا بأنه يوم القيامة.



سورة نوح عليه السلام

[مكيّة]
وهي ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم عزيز به أقرّ مَن أقرّ بربوبيته وبه أصرّ مَن أصرّ على معرفته، وبه استقر مَن استقر من خليقته، وبه ظهر ما ظهر من مقدوراته، وبه بطن ما بطن من مخلوقاته، فمن جحد فبخذلانه وحرمانه ومن وحّد فبإحسانه وامتنانه.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ [الآية 1] إن مفسرة لما في الإرسال من معنى القول وجعلها مصدرية مخلّ بالمعنى، أي خوفهم ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 1] في الدنيا أو العقبى ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [الآية 2] مظهر للإنذار بالآيات والآثار ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ [الآية 3] في أن يحتمل الوجهان المتقدمان ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الآية 4] بعض ذنوبكم وهو ما سبق من عيوبكم فإن الإسلام يجبّه في الدنيا فلا يؤاخذكم الله به في العقبى، أو هو ما تعلق بحق الله دون حقوق العباد فيما يمكن التدارك بصلاحه بعد الفساد.

وأفاد/ الأستاذ: أنه أراد ما عملوه دون ما هو معلوم أنهم سيفعلون لأنهم 370/أ لو أعلمهم بأنه غفر لهم لكان إغراء لهم ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ [الآية 4] أي بلا عقوبة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 4] هو ما قدّر لكم بشرط الإيمان والطاعة ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 4] أي الذي قدّره وقضاه ﴿إِذَا جَآءَ﴾ [الآية 4] على الوجه المقدّر ﴿لَا يُؤَخَّرُ﴾ [الآية 4] فبادروا في أوقات الإمهال ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 4] لتبعتم طريق

الكمال أو لو كنتم من أهل العلم والنظر لتحقق عندكم هذا الخبر، وفيه أنهم لانهماكهم في حب الحياة كأنهم شاكون في أمر الممات.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾﴾ [الآية 5] أي دائماً من غير الفترة ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ [الآية 6] عن الإيمان والطاعة وإسناد الزيادة على الدعاء على السببية.

وقال الأستاذ: بيّن نوح عليه السلام أن الهداية ليست إليه فقال: إن أردت إيمانهم فقلوبهم بقدرتك وإني ما ازددت لهم دعاء إلا ازدادوا استهزاء وإصراراً واستكباراً ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [الآية 7] إلى الإيمان لتغفر لهم بسببه ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الآية 7] سدُّوا مسامعهم عن استماع الطاعة ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ [الآية 7] تغطُّوا بها كراهة النظر إلى من فرط كراهة الدعوة ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ [الآية 7] على المعصية ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [الآية 7] عظيماً عن المتابعة.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] أي حال كوني مجاهراً كما تقتضي دعوة الرسالة إظهاراً ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ [الآية 9] الدعوة مراراً ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [الآية 9] أي دعوتهم مرة بعد أخرى وكرّة بعد أولى على أي وجه أمكنني من الوجوه الأخرى ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الآية 10] بالتوبة عن كفركم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [الآية 10] للتائبين ولو كانوا كفاراً.

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم﴾ [الآية 11] أي المطر ﴿مِّدْرَارًا﴾ [الآية 11] يكثر أقطاراً أو السحاب يكثر أمطاراً ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [الآية 12] بساتين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [الآية 12] من ماء معين.

قال جعفر الصادق: يزين ظاهركم بالخدمة وباطنكم بالمعرفة. روي أنه لما طالت دعوتهم وتمادت معصيتهم حبس الله عنهم المطر أربعين سنة وأعقم أرحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه من الاعتداء ولذا شرع الاستغفار في الاستسقاء.

وأفاد الأستاذ: أن من أراد التفضُّل فعليه بالعذر والتنصُّل.

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] لا تأملون له توقيراً وتعظيماً لمن عبده وأطاعه فتكونون على حال تأملون فيها تعظيمه إياكم.

وقال الأستاذ: ما لكم لا تخافون لله عظمة أو لا تأملون من الله على توقيركم لأمره لطفاً ورحمة ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] أي أصنافاً أدواراً أو تراباً ونطفاً وعلقاً ومضغاً وعظماً ولحماً ثم روحاً أو أعضاء أو أجزاء فإنه يدل على أنه سبحانه تام القدرة كامل الحكمة ويشير إلى أنه يمكن أن يعدهم تارة أخرى للمثوبة والعقوبة.

ثم أتبع الأطوار السبعة الأنفسية/ بالأسرار السبعة الآفاقية فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] بعضها فوق بعض ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [الآيتان 16، 17] وصار لكم كنماء النبات حياتاً ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ [الآية 18] مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [الآية 18] محشورين، أكد الإعادة بالمصدر كما أكد به البداءة للدلالة على أن الثانية كالأولى محققة ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ [الآية 19] تنبسطون عليها انبساطاً ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] واسعة واضحة.

370/ب

قال الأستاذ: وكلما زاد نوح عليه السلام في الضمان والبيان ووجوه الخير في الإحسان زادوا في الكفر والطغيان.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [الآية 21] فيما أمرتهم به من الطاعة ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ﴾ [الآية 21] وسائر ما له ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ [الآية 21] أي حالاً لا يخسره مآلاً. وقرأ ابن كثير وأبو عمر وحمزة والكسائي بضم الواو وسكون اللام على أن لغة كالحزن أو جمع وكالأسد.

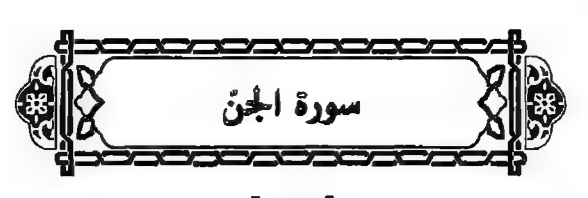
﴿وَمَكَرُوا﴾ [الآية 22] أي كلهم تابعهم ومتبوعهم في تحصيل الغواية ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [الآية 22] كبيراً في الغاية ﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 23] أي بعضهم لبعض ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ [الآية 23] أي تتركن عبادتها عموماً ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [الآية 23] أي خصوصاً. وقرأ نافع وداً بالضم ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ [الآية 24] أي

الرؤساء ﴿كَثِيرًا﴾ [الآية 24] من الضعفاء والأصنام لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا﴾ [إبراهيم: الآية 36]، ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [الآية 24] عطف على ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [الآية 21]، ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم وعقباهم.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ [الآية 25] ما مزيدة للتفخيم أي من أجل خطيئاتهم، وقرأ أبو عمرو: مما خطاياهم ﴿أُغْرِقُوا۟﴾ [الآية 25] بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [الآية 25] المراد بها عذاب القبر أو عذاب الآخرة بعد الحشر ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [الآية 25] تعريض لهم باتخاذ إلٰه لا يقدر على نصرهم.

﴿وَقَالَ نُوحٌ﴾ [الآية 26] أي بعد ما كابد أحوالهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وأوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [الآية 26] أي أحداً يسكن داراً، دياراً: فيعال من الدار أو من الدور فيكون معناه دائراً.

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾ [الآية 27] أي يسعوا في إضلال المؤمنين ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [الآية 27] جامعاً بين الكفر والفجور، وقدَّم الفاجر لأن الفجور يجر إلى الكفر ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [الآية 28] وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ [الآية 28] أي منزلي أو مسجدي أو سفينتي ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الآية 28] إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 28] أي بأجمعهم من قومي وغيرهم ﴿إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [الآية 28] إهلاكاً في مقام العقوبة.



سورة الجنّ

[مكيّة]

وهي ثلاث وعشرون آية

371/ أ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ /

قال الأستاذ: بسم الله اسم مَن قامت السماوات والأرضون بقدرته واستقامت الأسرار والقلوب بنصرته. دلّت الأفعال على جلالة شأنه، وذلّت الرقاب عن شهود سلطانه، أشرقت الأقطار بنوره في العقبى وأشرفت الأسرار بظهوره في الدنيا فهو المقدّس بالوصف الأعلى.

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الآية 1] النفر ما بين ثلاثة والعشرة، والجن أجسام خفية يغلب عليهم النارية. روي أن الجن كانوا يأتون السماء فيستمعون إلى قول الملائكة ثم يلقونه إلى الكهنة ويزيدون فيه وينقصون، وكذا كانوا في الفترة بين نبينا ﷺ وبين عيسى عليه السلام فلما بُعث نبينا ﷺ ورجموا بالشُّهب علم إبليس أنه وقع شيء عظيم ففرّق جنوده فأتى تسعة منهم إلى بطن نخلة فاستمعوا قراءته ﷺ فآمنوا ثم أتوا قومهم وجاءه سبعون منهم وأسلموا وذلك قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: الآية 29] فقالوا لقومهم: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الآية 1] مقروءاً بديعاً مبايناً لكلام الناس في جزالة مبناه ودقة معناه.

قال ابن عطاء: تعجبت الجن من بركات القرآن أو لأنهم لما سمعوا وجدوا في قلوبهم نوراً وفي أسرارهم سروراً وفي أرواحهم حضوراً وفي أبدانهم نشاطاً وراحة لامتثال الطاعة.

﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الآية 2] إلى طريق الحق وصوب الصدق. وقال الجنيد:

يهدي على الوصول إلى الله سبحانه ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الآية 2] بالقرآن ومن نزل عليه ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ﴾ [الآية 2] بعبادته أو بألوهيته ﴿أَحَدًا﴾ [الآية 2] لما نطق به الأدلة القاطعة على التوحيد.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الآية 3] أي عظمته أو سلطانه أو غناه أو شأنه ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الآية 3] بيان لوصفه بالتعالي لما سبق من النعت العالي. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾ [الآية 3] وما بعدها إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ [الآية 14] بفتح الهمزة، وقرأ نافع وأبو بكر: «وإنه لما» بكسر الهمزة فالكسر على أنه من جملة المحكي بعد القول والفتح على أن ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كأنه قيل: قلناه وصدقنا أنه تعالى جدر بنا وما لم يكن من قولهم فمعطوف على أنه استمع.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ [الآية 4] إبليس أو مردة الجن ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ [الآية 4] قولاً ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ [الآية 5] اعتذار عن اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم أن أحداً لا يكذب على الله هناك وكذباً نصب على المصدر لأنه نوع من القول.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الآية 6] فإن الرجل إذا مشى بقفر/ قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [371/أ] [الآية 6] فزاد الإنس الجنَّ باستعاذتهم لهم كبراً وعتواً، أو فزاد الجن الإنس عيّاً وذلاً بأن أضلُّوهم حتى استعاذوا بهم.

﴿وَأَنَّهُمْ﴾ [الآية 7] أي الإنس ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ [الآية 7] أيها الجن أو بالعكس ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ [الآية 7] بالنبوّة والرسالة أو بالإعادة بعد البداءة.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الآية 8] طلبنا بلوغ السماء والتمسنا خبرها ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ [الآية 8] حراساً اسم جمع كالخدم ﴿شَدِيدًا﴾ [الآية 8] أقوياء وأفرد للفظ الحرس وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها ﴿وَشُهُبًا﴾ [الآية 8] جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ [الآية 9] مقاعد صالحة للاستماع ﴿فَمَن

يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الآية 9] أي راصداً لأجله يمنعه عن الاستماع برجمه.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 10] بحراسة السماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الآية 10] خيراً بمنع سماع الأنباء.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الآية 11] المؤمنون الكاملون ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 11] قوم دون ذلك وهم المقصودون ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الآية 11] أي ذوي مذاهب متفرقة مختلفة، جمع قدّه بمعنى قطعة.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ [الآية 5] علمنا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 12] إن أراد أمراً بنا ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الآية 12] إن طلبنا.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الآية 13] أي القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الآية 13] وتركنا طريق الردى ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ [الآية 13] نقصاً في الجزاء ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ [الآية 13] غشيان الذلّة وزيادة الجفاء.

قال الواسطي: حقيقة الإيمان ما أوجب.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ [الآية 14] الجائرون عن طريق العدالة وهو الإيمان والطاعة ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الآية 14] قصدوا رشداً عظيماً يوصلهم مقاماً كريماً.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] يوقد بهم.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [الآية 16] أي وإن الشأن لو استقام الجن والإنس ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ [الآية 16] أي المثلى في الحقيقة ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الآية 16] لوسعنا عليهم رزقاً ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الآية 17] لنختبرهم يشكرونه أو يكفرونه ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 17] عن عبادته أو موعظته ﴿يَسْلُكْهُ﴾ [الآية 17] قرأ غير الكوفيين بالنون أي يدخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الآية 17] مشاقاً يعلو المعذب ويغلبه أو عذاباً ذا ميعاد كما سيأتي وجهه.

وأفاد الأستاذ: أن الاستقامة على الطريقة تقتضي إكمال النعمة وإكثار

الراحة والإعراض عن ذكر الله يوجب تنغُّص العيش ودوام العقوبة.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الآية 18] تختص به ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الآية 18] فلا تعبدوا فيها غيره أبداً. وقيل: المراد بالمساجد الأرض كلها لأنها جعلت للنبي مسجداً أو مواضع السجود على أن المراد النهي عن السجدة لغير الله والعبادة بما لله لما سواه.

وقال ابن عطاء: مساجدك أعضاؤك التي أُمرت أن تسجد بها لا تُخضعها ولا تذلُّها لغير خالقها.

372/ أ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 19] / سماه به لأنه هو المظهر لاسم الله بالأصالة وإنما يصير غيره مظهر الله بالتبعية ﴿يَدْعُوهُ﴾ [الآية 19] يعبده ﴿كَادُواْ﴾ [الإسرَاء: الآية 73] قارب الجن ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الآية 19] أي كاللبد أو متلبدين متراكمين حواليه مجتمعين لديه من ازدحامهم عليه تعجُّباً مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته أو من إشاعة فيضه وإذاعة فضله. وقرأ هشام بخلف بضم اللام جمع بعده وهي لغة في لبده.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى﴾ [الآية 20] متفرِّداً ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الآية 20] وفي «بحر الحقائق»: أدعو ربي بكلية وجودي أو جمعية همّتي ولا أشرك به أحداً لأن الشرك يقتضي الإثنينية وليس في شهودي إلا الوحدة الحقيقية. وقرأ عاصم وحمزة: قُل على الأمر للنبي ليوافق قوله: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الآية 21] أي لا نفعاً أو ضلالة ولا هداية.

قال جنيد: كيف أملك لكم وأنا عاجز أن أملكه لنفسي إلا ما ملّكني.

وقال ابن عطاء: لا أملك لمن تحقق في الإيمان ضرّاً ولا لمن تحقق بالكفر رشداً.

﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الآية 22] إن أراد بي سوءاً ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الآية 22] ملاذاً وملجأً لبقائه وفناء غيره.

قال القاسم: هذه لفظة تدل على إخلاص التوحيد إذ التوحيد هو النظر

إلى الحق لا غيره من الخلق وهذا لا يصح إلا بالإقبال على الله والإعراض عما سواه.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ [الآية 23] أي لا ينجيني من الله وحكمه إلا تبليغي رسالاته بأمره، كذا أفاده الأستاذ. وفي «بحر الحقائق»: يعني أنا فانٍ من جميع الأمور والأحوال وأنواع الطاعة وليس إليّ ها هنا شيء من الأفعال إلا التبليغ والرسالة ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 23] في الأمر بالتوحيد والنبوّة ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 23] اختصت له بالعقوبة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الآية 23] جمعه لمعنى من.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الآية 24] في الدنيا والعقبى، والمعنى استمر حال الكفار على الإصرار حتى إذا رأوا الذل والصغار ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾ [الآية 24] سواهم.

﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾ [الآية 25] ما أدري ﴿أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الآية 25] أي من العقوبة وحدّتها أو قيام الساعة وشدتها ﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ [الآية 25] غاية تطول مدتها، والمعنى كونوا على حذر منها.

وأفاد الأستاذ: أنه يجب على العبد أن يتوقع العقوبة مع مجاري الأنفاس ليسلم منها.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [الآية 26] أي هو لا غيره عالم جميع المغيبات من الجزئيات والكليات ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ﴾ [الآية 26] فلا يطّلع على غيبه المخصوص به علمه ﴿أَحَدًا﴾ [الآية 26] ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الآية 27] لعلم بعضه ليكون معجزة له ﴿مِن رَّسُولٖ﴾ [الآية 27] بيان لمن، وأما ما يحصل للأولياء من الكرامة فهو بمنزلة المعجزة لتوقفها على صحة المتابعة وبعضهم خصّص الرسول بالملك والإظهار بما يكون بواسطة جبرائيل وأن كرامات/ الأولياء على المغيبات 372/ ب إنما يكون تلقياً من الملائكة بالإلهام المعبر عنه بالوحي الخفي كاطلاعنا على الآخرة بتوسُّط أرباب النبوَّة والرسالة بالوحي الجلي.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: أخفى الحق الغيب على الخلق فلم

يطلع عليه أحد من عباده إلا الأولياء على طرف منها بإخبار الصدق أو تلقف من الحق والأولياء أصحاب الفراسات الصافية فإنهم ينظرون بنور الغيب فيحكمون على الغيب ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ [الآية 27] من بين يديّ المرتضى ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ [الآية 27] حرساً من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم في أمر الدين.

﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية 28] محروسة من التغيُّر بالزيادة أو النقصان والمعنى ليعلم النبي الموحى إليه أن قد أبلغ جبريل والملائكة النازلون أو ليعلم الله تعالى أن قد أبلغ الأنبياء، والمعنى ليتعلق علمه وجوداً كما كان تعلق علمه شهوداً، ويؤيد هذا المعنى قوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ [الآية 28] بما عند الرسل وبمن أطاعهم وبمن عصى ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الآية 28] حتى القطر والرمل والحصى.



سورة المزمل

[مكيّة]

وهي تسع عشرة آية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: الحادثات بالله حصلت وقلوب العارفين بالله عُرِفَت، وأرواح الصدِّيقين بالله ألفت، وفهوم الموحدين بساحات جلاله وقفت، ونفوس العابدين بالعجز عن استحقاق عبادته اتضعت، وعقول الأولين والآخرين بالعجز عن معرفة ذاته اعترفت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [الآية 1] أي المتزمل كما قرىء به من مزمّل بثيابه إذا تلقف بها حال احتجابه، والمعنى أيها الحامل أعباء النبوَّة وأثقال تكاليف الدعوة ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ [الآية 2] أي قم إلى الصلاة وأدم على العبادة في وقت الخفاء فإنه أقرب إلى مقام الوفاء ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 2] فإن نفسك مطيتك فارفق بها في عطيتك فإن تلك الاستراحة أيضاً من العبادة ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣﴾ [الآية 3] ليصير ثلثاً ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 4] أي قليلاً ليبقى ثلثين، والاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلاً وقلته بالنسبة إلى الكل أو لأن هذا النصف الخالي عن العبودية وإن ساوى النصف المعمور بذكر الله في الكمية لا يساويه في تحقيق الكيفية بل هو القليل وذلك النصف بمنزلة الكل.

وأفاد الأستاذ: أن ذلك كان قبل أن فرض الصلوات الخمس ثم نسخ وجوبها في الأمة وبقيت واجبة على صاحب النبوَّة، ويقال: يا قائماً لنا قم بنا.

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [الآية 4] اقرأه على تؤدة وتبيين حروف من سكون وحركة.

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

وقال الأستاذ: تأنَّى بلسانك في نظمه وارتع بسرك في فهمه.

وقال صاحب «بحر الحقائق»: في الآية إشارة إلى تفصيل كلمات أحكامه وتبيين حروف شرائعه وتوضيح حركات/ بدائعه بحسب علوم عامليه وفهوم طالبيه. والمعنى بلِّغ أحكامه لأجل النفوس المتمردة المنحرفة عن الإقبال على العقبى والإدبار على الدنيا وهم العوام، وهذا من قبيل الظهر ففي الحديث: «ما من آية إلا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع»[1]، وفصِّل معانيه لأصحاب القلوب المدبرة عن الدنيا والمقبلة على المولى وهم الخواص، وهذا من قبيل البطن وفهم حقائقه لسدنة الأسرار وخزنة الأنوار المستهلكين في عين المشاهدة المستغرقين في بحر المعاينة وهم أخص الخواص، وهذا من قبيل الحد، وأذق أسراره الوافرة لأرباب الأرواح الظاهرة الفانين عن ناسوهيتهم الباقين بلاهوتيته وهم خلاصة أخص الخواص وهذا من حضرة المطلع. اللهمَّ أوجدنا نفحات ألطافك ونسمات أعطافك.

373/ أ

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [الآية 5] يعني القرآن فإنه لما فيه من التكاليف الشاقة، ثقيل على الثقلين كان لا سيما عليه خاصة إذا كان عليه أن يتحملها بذاته ويحمّلها عامة أمته أو رصين لرزانة مبناه ومتانة معناه، أو ثقيل في الميزان وخفيف على اللسان، أو ثقيل على الكفار والفجار دون الأبرار من أصحاب الأنوار والأسرار، أو ثقيل عليك تلقّيه لديك لقول عائشة: «رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه لَيَرْفَضُّ عرقاً»[2]، تُخبر كان إذا نزل عليه القرآن وهو على ناقته وضعت جِرَانها فلا تكاد تتحرك حتى يسرّى عنه[3].

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 6] أي العبادة التي تنشأ وتحدث بالليل ﴿هِيَ أَشَدُّ

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (3/ 358) رقم (5965)، وابن المبارك في الزهد (1/ 23) رقم (94).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (2)، والبيهقي في السنن الكبرى (7/ 52) رقم (13724).

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 549) رقم (3865).

وَطۡـًٔا﴾ [الآية 6] أي كلفة. وقرأ أبو عمرو وابن عامر: وطاء بكسر الواو ممدود أي مواطأة الجنان اللسان أو موافقة لما يراد من الخضوع والخشوع في مقام الإخلاص وحال الإحسان ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [الآية 6] أثبت قراءة وأضبط تلاوة لهدوء الأصوات وسكون الحالات.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ [الآية 7] تقلُّباً كثيراً في مهامك وانشغالاً في مرامك ومناجاة الحق تستدعي فراغاً من خطور أمور الخلق ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ [الآية 8] داوم على ذكره ليلاً ونهاراً ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا﴾ [الآية 8] أو انقطع بالعبادة إلى الله وجرِّد نفسك عما سواه.

﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [الآية 9] قرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص بالجر على البدل من ربك، والباقون بالرفع على أنه خبر محذوف هو هو أو مبتدأ خبره ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا﴾ [الآية 9] أي كفيلاً بما وعدك من المعونة على القيام بوظيفة الخدمة.

وقال الأستاذ: أي توكل عليه وكِّلْ أمورك إليه. ويقال: وكيلك ينفق عليك من مالك ويطلب الأجر في مآلك وأنا أرزقك من أفضالي وأنفق عليك من مالي. ويقال: وكيلك مَن هو الذي في القدر دونك وأنت تترفع أن تكلِّمه كثيراً من أحوالك، وأنا ربّك وسيدك وأحب أن تكلمني وأكلِّمك.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 10] / فينا أو فيك وفي كلامنا ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا﴾ [الآية 10] بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم. 373/ ب

وقال الأستاذ: أي تعاشرهم بظاهرك وتباينهم بقلبك وسرِّك. ويقال: الهجر الجميل ما يكون لحق ربك لا لحظ نفسك. ويقال: هو أن تكلمهم وتكلمني لأجلهم بالدعاء لهم.

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية 11] دعني وإياهم وكِّلْ إليَّ أمرهم فإني أكفيك شرّهم ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ [الآية 11] أرباب التنعُّم والسعة ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ [الآية 11] زماناً أو تمهيلاً ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالًا﴾ [الآية 12] قيوداً ثقيلاً ﴿وَجَحِيمًا﴾ [الآية 12] أي نكالاً وخيماً ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [الآية 13] تنشب في الحلقوم كالضريع والزقوم

﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 13] ونوعاً آخر من العذاب مما لا يعرف كنهه إلا ربّه. ولما كانت العقوبات الأربع مما يشترك فيها الأشباح والأرواح فإن النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيّدة بحبها والتعلُّق بها عن التخلُّص إلى عالم المجرّدات متحرقة بحرقة الفرقة متجرِّعة غصة الهجران معذّبة بالحرمان عن تجلِّي أنوار القدس وتحلي أسرار الأنس. فسر العذاب بالحرمان عن لقاء رب الأرباب فإن الحجاب أشد العذاب.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [الآية 14] تضطرب وتتزلزل ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ [الآية 14] رملاً مجتمعاً ﴿مَّهِيلًا﴾ [الآية 14] منثوراً منبثاً منشوراً ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ [الآية 15] كريماً وصولاً ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 15] يشهد عليكم يوم القيامة بالامتناع وللإجابة ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [الآية 15] عظيماً، والمراد به موسى عليه السلام ولم يعيِّنه لتعيُّنه فذكر فرعون في المقام ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية 16] المعروف ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [الآية 16] شديداً ثقيلاً بالإغراق في الدنيا والإحراق في العقبى.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ [الآية 17] تبعدون أنفسكم ﴿إِن كَفَرْتُمْ﴾ [الآية 17] بقيتم على كفركم بربّكم ﴿يَوْمًا﴾ [الآية 17] عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [الآية 17] من شدّة هوله أو لغاية طوله.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [الآية 18] أي شيء منشق بسبب أمر الله وحكمه ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ [الآية 18] سبحانه ﴿مَفْعُولًا﴾ [الآية 18] واقعاً من غير خلف له.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ [الآية 19] الآيات أو السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ [الآية 19] موعظة وتبصرة فمن اتعظ بها سعد ومن أعرض عنها بعُدَ ﴿فَمَن شَآءَ﴾ [الآية 19] أن يتعظ ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الآية 19] تقرَّب إليه بسلوك التقوى في محبة المولى. قيل: القرآن موعظة للمتّقين وشفاء للمتحيِّرين وأمان للخائفين وخسارة للظالمين وحسرة على الكافرين.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ [الآية 20] أي أقل ﴿مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [الآية 20] وقرأ ابن كثير والكوفيون: نصفه وثلثه بالنصب عطفاً على ﴿أَدْنَىٰ﴾.

﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [الآية 20] أي وتقوم كذلك جماعة من أصحابك ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [الآية 20] لا يعلم مقادير ساعاتها كما هي حقيقة حالاتها إلا خالقهما ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [الآية 20] لن تطيقوا / تقدير أوقاتهما ولن 374/ أ تستطيعوا ضبط ساعاتهما ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 20] خفَّف عنكم بالترخيص في ترك القيام المقدور ورفع التبعة في الأمر المقرر.

قال الواسطي: أي لن تطيقوا القيام بالطاعة حق الطاقة ولن تقدروا على إتيان أعمالكم بالصحة والبراءة من عيوب الرياء والسمعة والملاحظة ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 20] عاد عليكم بفضله وقبل منكم أعمالكم بلطفه مع أن من لقيه بنعمة كان منقطعاً به عن منعمه محجوباً بالصفات عن الذات. وقال بعضهم: لن تقدروا على السلوك بالوصول إلى ربكم إذ الوصول يترتّب على فضل الله ورحمته لا على سلوككم فكم من سالك انقطع في الطريق ورجع قهقرى ولم يصل إلى الفريق لأنه بدون الرفيق. وقد قيل: ليس كل مَن سلك وصل، ولا كل مَن وصل اتصل، ولا كل مَن اتصل انفصل.

﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الآية 20] كيف ما تيسر عليكم مما أنزل إليكم بالقراءات الثابتة لديكم فإن وجوب قيام الليل رُفِع عنكم ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ [الآية 20] غير قادرين في الليل على عبادة الله ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 20] يسافرون فيها ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 20] من الرزق أو كسب العلم أو قصد الحج ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 20] هذا إخبار عن الغيب فتكون معجزة فإن السورة مكيَّة والقتال شُرِّع في المدينة ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [الآية 20] تأكيد وتأبيد لدفع ما عسى يتوهم أن تكون القراءة أيضاً منسوخة.

وفي «بحر الحقائق»: أي كل أحد يسع مبانيه ما يمكن له من فهم معانيه فالظهر للعالِم والبطن للعابِد والحد للسالك المجذوب والمطلع للمجذوب السالك ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 20] المفروضة ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية 20] وفيه دلالة على أن فرض الزكاة بمكة المعظّمة وبيان المقادير ومصارفها في المدينة المكرّمة ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الآية 20] بالنوافل في العبادات

والزوائد في المبرات ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ [الآية 20] فرضاً أو نفلاً ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ [الآية 20] وأعظم من متاع الدنيا الدنية ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [الآية 20] من تأخيره إلى الوصية أو من النظر لِلورثة ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 20] في مجامع أحوالكم فإنها لا تخلو من تفريط في أعمالكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية 20] للمسيئين ﴿رَّحِيمٌۢ﴾ [الآية 20] بالمحسنين.



سورة المدثر

[مكيّة]

وهي ست وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سماعها نزهة قلوب الفقراء وبهجة أسرار الضعفاء وراحة أرواح الأولياء، قوت قلوب الأتقياء، سلوة صدور الأصفياء، قرة عين أهل البلاء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ①﴾ [الآية 1] أي المتدثر، وقد قرىء: وهو لابس الدثار فوق الشعار. ولعل المراد به المتلبِّس بأنوار النبوَّة وأسرار الولاية. روي أنه عليه السلام قال: «كنت بحراء فنوديت فنظرت/ عن يميني وشمالي فلم أر شيئاً فنظرت فوقي 374/ ب فإذا هو على عرش بين السماء والأرض ـ يعني الملك الذي ناداه ـ فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت: دثروني، فنزل جبريل[1] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ②﴾ [الآيتان 1،2]» قيام عزم واهتمام جزم ﴿فَأَنذِرْ﴾ [الآية 2] خوِّف أطلق لإفادة العام.

قال سهل: يا أيها المستغيث من إغاثة نفسك على صدرك وقلبك قم بنا واسقط عنك ما سوانا وأنذر عبادنا فإنَّا قد هديناك لأكرم الحالات وأعظم المقامات. وقيل: يا أيها الطالب صرِّف الأذى عنك بالدثار اطلبه بالإنذار.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 502) رقم (11633)، وابن حبان في الصحيح (1/ 220) رقم (34)، وأبو يعلى في المسند (3/ 453) رقم (1949).

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝﴾ [الآية 3] وخصِّص ربّك بالتكبير، وهو وصفه بالكبرياء. روي أنه لما نزل كبَّر رسول الله ﷺ وأيقن أنه الوحي[1] من عند ربه فإن الشيطان لا يأمر بمناله.

وقال الأستاذ: أي كبِّره عن كل طلب وإرب وَوَصْل وفصل.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝﴾ [الآية 4] من النجاسات لوجوب التطهير في الصلاة التي موجبة للصلاة وتقتضيه للمناجاة، وهو أول ما أُمر به من رفض العادات وذلك بغسلها عن النجاسة وبحفظها عنها كتقصيرها مخافة جرّ الذيول فيها، أو فطهِّر نفسك من الأخلاق الدنية والأفعال الردية فيكون أمراً باستكمال القوة العملية بعد أمره باستكمال القوة العلمية، دثار النبوَّة عمَّا يدنِّسه من الضجر وقلّة الصبر.

وقال الأستاذ: وطهِّر نفسك عن الزلات وقلبك عن المخالفات، وسرّك عن الالتفات.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝﴾ [الآية 5] أي فاهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه من الأسباب. وقرأ حفص: والرّجز بالضم وهو لغة كالذكر في الذكر.

وقال الأستاذ: أي طهِّر قلبك من الخطايا وأشغال الدنيا. ويقال: مَن لم يصح جسمه لم يجد للطعام لذَّة للشهوة كذلك مَن لم يصح قلبه لم يجد حلاوة الطاعة.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝﴾ [الآية 6] بالرفع، ولا تعط مستكثراً أي تنزيه عن أن يهب شيئاً يسيراً طامعاً عوضاً كثيراً، أو لا تمنن على الله بعبادتك مستكثراً إياها أو على الناس بالتبليغ مستكثراً إياه. والمعنى لا تمنّ على عبادنا بما مننا به عليك وفق مرادنا. وقرىء: يستكثر مجزوماً.

﴿وَلِرَبِّكَ﴾ [الآية 7] لوجهه أو أمره ﴿فَاصْبِرْ﴾ [الآية 7] فاستعمل الصبر في موضعه.

---

(1) تفسير البيضاوي (1/ 411).

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] نفخ في الصور للبعث والنشور ﴿فَذَٰلِكَ﴾ [الآية 9] أي وقت النقر وهو مبتدأ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 9] بدل منه ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [الآية 9] خبره ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] وفيه إيماء إلى أنه يصير يسيراً على المؤمنين ولو كانوا من العاصين.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] نزل في الوليد بن المغيرة. والمعنى ذرني وحدي معه فإني أكفيكه أو اتركني ومَن خلقته وحدي لم يشركني أحد في خلقه، أو دعني ومَن خلقته فريداً لا مال له ولا ولد.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] مبسوطاً غاية الكثرة وكان له الزرع والتجارة ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] حضوراً معه في المحافل لاعتبارهم ولعدم الحاجة إلى/ أسفارهم. قيل: كان له عشرة بنين فأسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام 375/ أ والوليد.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] وبسطت له الرئاسة حتى لقب بريحانة قريش وكان يسمى لاستحقاق التقدُّم وحيداً ولذا قيل في الآية المتقدمة: أُريد به ذمّه بأنه وحيد لكن في الشرارة.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] أي يريد أن أزيد على ما أعطيته مما ليس عليه مزيد ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] معانداً جحوداً ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [الآية 17] سأغشيه عقبة شاقة المصعد، فعنه عليه السلام: «إنه جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فيه كذلك أبداً»[1].

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [الآية 18] تعليل للوعيد أو بيان لكونه العنيد، والمعنى فكّر فيما تخيّل طعناً في القرآن وقدّر في نفسه ما يقول فيه من البهتان أو الهذيان ﴿فَقُتِلَ﴾ [الآية 19] أي لُعِنَ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [الآية 19] تعجيب من تقديره استهزاء به في تقريره. روي أنه مرّ بالنبي ﷺ وهو يقرأ (حم السجدة) فأتى قومه وقال: لقد

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 703) رقم (2576)، وأبو يعلى في المسند (2/ 523) رقم (1383)، وأحمد في المسند (3/ 75) رقم (11730).

سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس والجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ـ أي رونقاً وطراوة ـ وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، يعني أن معناه لكثير النتيجة كثمرة الشجرة وإن مبناه لواسع البركة في نهاية الفصاحة وغايته الموجبة لكونه معجزة. وهذا معنى قوله: «وإنه ليعلو ولا يعلى» فقال قريش: صبأ الوليد، فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد عنده حزيناً وكلّمه بما أحماه أي أغضبه، فقام فأتاهم فقال: أتزعمون أن محمداً مجنون! فهل رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى الشعر؟ فقالوا: لا، فقال: ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرِّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه[1].

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [الآية 20] تكرّر للمبالغة في النكير ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] أي تأمل في القرآن مرة بعد أخرى ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ [الآية 22] قطب وجهه لتحيُّره في أمره ﴿وَبَسَرَ﴾ [الآية 22] أي زاد في العبوسة بانقباض قلبه ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ [الآية 23] عن قبول الحق ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ [الآية 23] عن اتباع أمر الصدق فقال بعد طول ما تفكر: ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] روي وينقل ويزوّر ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [الآية 25] أي من الرقى التي فيها الأثر.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] سأدخله فيها أو أحرقه منها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ [الآية 27] في إبهام بيانها تفخيم لشأنها ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] شيئاً فيها ولا تدعه فترده حتى يهلك بها، أو لا تبقي لحماً ولا تذر عظماً ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ [الآية 29] مسودة لأعالي الجلد أو لائحة للخلق واضحة ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [الآية 30] ملكاً أو صنفاً من الملائكة يلون أمرها، وأحسن ما قيل في تخصيص الخَزَنَة بهذا العدد مع أنه لا يطلب في الأعداد العلّة والحكمة ما روي عن ابن مسعود: أنَّ مَن أراد أن ينجو من عذاب الزبانية / فليقرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم بإخلاص النيَّة وتصحيح الطوية فإن حروفها تسعة عشر. 375/ب

(1) انظر تفسير أبي السعود (9/ 57)، وتفسير البيضاوي (1/ 413).

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةًۙ﴾ [الآية 31] ليخالفوا جنس المعذبين فلا يَرِقّوا لهم ولا يرحموا عليهم ولأنهم أقوى الخلق بأساً وأشدهم لله غضباً.

روي أن المشركين قالوا: ما تفعل تسعة عشر بجمع كثيرين، فنزلت. والمعنى فمن يطيق الملائكة، فقالوا: ولم ليسوا عشرين وما معنى تسعة عشر، فنزل ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ [الآية 31] أي المعيَّنة ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ [الآية 31] محنة وبلية ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 31] باستقلالهم واستهزائهم واستبعادهم أن يتولى هذا العدد اليسير تعذيب الكثير ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 31] ليكتسبوا اليقين بنبوَّة محمد خاتم النبيين وصدق القرآن المبين لما رواه موافقاً لما في كتابهم ومصدقاً لما في خطابهم ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًاۙ﴾ [الآية 31] به ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَۙ﴾ [الآية 31] أي لا يشكُّون في القرآن وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الإيقان ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية 31] شك أو ضعف اعتقاد ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 31] أي الجاحدون أو المعاندون ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ﴾ [الآية 31] أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل في الأمر العجب ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ﴾ [الآية 31] أي مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى، يضلّ الكافرين ويهدي المؤمنين ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ [الآية 31] جموع خلقه على ما هم عليه من حكمه ﴿إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 31] إذ لا سبيل لغيره إلى حصر الممكنات والاطلاع على حقائق الموجودات وصفات الكائنات.

قال القاسم قال تعالى لنبيه عليه السلام: «إنكم لا تقفون على المخلوقات فكيف تقفون على الأسامي والصفات» ﴿وَمَا هِىَ﴾ [الآية 31] أي ما سقر أو عدة الخزنة أو السورة ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [الآية 31] إلا تذكرة لهم وتبصرة ﴿كَلَّا﴾ [الآية 32] ردع لمن أنكر.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] أي وأقسم بالقمر وبقدرته على القمر ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية 33] أي مضى وأدبر كقبل بمعنى أقبل. وقرأ نافع وحمزة وحفص: إذا أدبر على المضي ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] أضاء وظهر ﴿إِنَّهَا﴾ [الآية 35] أي سقر ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ [الآية 35] أي لإحدى البلايا الكبر.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ [الآية 36] حال مما دلت عليه جملة المثال أي كبرت منذرة للبشر وأبدل منه قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [الآية 37] أي نذيراً للمكنّين من السبق إلى الخير ومن التخلُّف عنه باكتساب الشر.

وأفاد الأستاذ: أن يقال في الإشارة ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] أي أقمار العلوم أي أخذلها في الزيادة بزيادات البراهين فإنها تزداد فإذا صار إلى أحد التمام والعلم بلغ الغاية فتبدو أعلام المعرفة، فكلما قرب القمر من الشمس ازداد نقصانه حتى إذا قرب منها بتمامه صار/ محاقاً كذلك إذا ظهر سلطان العرفان فأخذ أقمار العلوم في النقصان كالسراج في ضوء الشمس. 376/أ

﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية 33] ظلم البواط[1] إذا انكسفت ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [الآية 34] ضياء أنوار الحقائق إذا تجلت في السرائر ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] أي العظائم في باب التخويف من عود الظلمة إلى القلوب ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ [الآية 36] من الحذر عن الشواغل التي هي قواطع عن الحقيقة وليحذروا المسافة والملاحظة إلى الطاعة والموافقة فإنها لا خطر لها في الحقيقة.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الآية 38] مرهونة عند الله، وقيل مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلا مَن اعتمد الفضل والعناية دون الكسب والسعاية. وقيل: الرهين الأسير فأين الفرار من القدر وكيف القرار على الخطر.

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ [الآية 39] فإنهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم وقدَّموا حسابهم. وقيل: هم الملائكة أو أطفال المؤمنين ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ [الآية 40] هم في بساتين لا تدخل في حيّز نعوت وصفات ﴿يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الآيتان 40،41] أي سأل بعضهم بعضاً عن أحوال العاصين. وقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [الآية 42] حكاية قول المسؤولين عنهم لأن المسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون: قلنا لهم ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [الآية 42] أي شيء صار سبب دخولكم فيها، أو يقولون لأهل النار إذا

(1) الذل بعد العزّ، والفقر بعد الغنى.

حصل لهم إشراف بالظواهر والأسرار فعلى هذا عن زائدة على ما في المدارك.

وعن الطيبي: إن سأل يتعدى إلى الثاني بعن وإلى الأول بنفسه وقد يعكس، انتهى. فتساءل بمعنى سأل واكتفى هنا بالمفعول الأول واستعمل بعن فتأمل.

﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الآية 43] الصلاة المكتوبة ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الآية 44] من الصدقات المفروضة، وفيه أن الكفار معذّبون بترك الفروع في الآخرة، أو المعنى لم يك من المؤمنين الجامعين بين الطاعات البدنية والعبادات المالية أو القائمين بأمر الله والمشفقين على خلق الله.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الآية 45] نشرع في الباطل مع المبالغين فيه ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [الآية 46] بالبعث والجزاء ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [الآية 47] أي الموت الذي هو مقدمات علم اليقين ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [الآيتان 47،48] أي لو فرض أنهم شفعوا لهم أجمعين ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ [الآية 49] أي أي شيء مانع لهم عن سماع القرآن وقبوله، أو ما يعمه من الواعظ ومحصوله ﴿مُعْرِضِينَ﴾ [الآية 49] حال كونهم مدبرين.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الآية 50] وقرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء وهو أبلغ من مقام النفرة ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ [الآية 51] شبّههم في إعراضهم ونفرتهم عن استماع الذكر وموعظتهم/ بحمر نافرة أو منفرة من أسد فَعْوَلَة من القسر وهو القهر. 376/ ب

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ [الآية 52] قراطيس تنشر وتقرأ وتدبر وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: لن نتبعك حتى تأتي كلاً منّا بكتاب من السماء فيه من الله تعالى إلى فلان، اتبع محمداً.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 53] ردع لهم عن اقتراح المعجزة ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الآية 53] فلذا أعرضوا عن التذكرة وما اكتفوا بما جاءهم من المعجزة ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الآية 54] وأي تذكرة ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [الآية 55] أن يذكره ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ

إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية 56] ذكرهم أو مشيئتهم لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية 56]. وقرأ نافع: تذكرون بالخطاب ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [الآية 56] حقيق بأن تتقى معاقبته أو مخالفته أو هو أجلّ من أن يتقى به عمّا سواه ﴿وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [الآية 56] جدير بأن يغفر لعباده على وفق مراده.



سورة القيامة

[مكيّة]

وهي تسع وثلاثون آية[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة عزيزة مَن سمعها بشاهد العلم استبصر، ومَن سمعها بشاهد المعرفة تحيَّر، فالعلماء في سكون برهانه، والعارفون في دهش سلطانه، هؤلاء في بحور علومهم فأحوالهم صحو في صحو، وهؤلاء في شموس معارفهم فأوقاتهم محو في محو فشتان ما بينهما.

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ①﴾ [الآية 1] إدخال النافية على فعل القسم للتأكيد شائع في كلامهم وشائع في مرامهم، وقرأ ابن كثير بخلف عن البزي: لا أقسم بلام الابتداء أي لأنا أقسم بوقوع يوم القيامة وتحقُّق وقت الندامة.

﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ②﴾ [الآية 2] أي التي تلوم نفسها أبداً وإن اجتهدت في العبادة سرمداً، أو النفس المطمئنة سرمداً، أو النفس المطمئنة اللّائمة للنفس الأمارة، أو بجنس النفس لما روي أنه عليه السلام قال: «ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة إن عملت خيراً قالت: كيف لم أزد، وإن عملت شرّاً قالت: ليتني ما كنت قصرت»[2].

قال أبو بكر الوراق: النفس كافرة في وقت لأنها لا تألف الحق أبداً، ومنافقة في وقت لأنها لا تفي بالوعد، ومرائية في الأحوال كلها لأنها لا تحب أن يعمل عملاً ولا يخطو خطوة ولا تأمل أملاً إلا لرؤية الخلق فمن

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

(2) تفسير البيضاوي (1/ 419).

كانت هذه صفتها فهي حقيقة بمداومة الملامة لها.

وفي «بحر الحقائق»: إن النفس اللوامة هي الواقعة بين الأمّارة والمطمئنة ودوام لومها لوجود وجهين لها بالنظر إلى كل منهما، فإذا نظرت إلى وجه الأمارة بلومها على ترك المتابعة والإقدام على المخالفة وعلى ما فات عنها في الأيام الخالية من الطاعات العالية وعلى المراتعة والمراتع الحيوانية الظلمانية، وإذا / نظرت إلى وجه المطمئنة بلوم نفسها أيضاً على التقصيرات الواقعة عنها فهي لا تزال لائمة لها إلى أن تحقق مقام الاطمئنان ولذا استحقت أن أَقْسَمَ الله بها على وقوع الحشر والنشر وجوب القسم ما يدل عليه قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾ [الآية 3] وأُريد بالإنسان الجنس أو الكافر أي أيظن أن لن نجمع عظامه بعد تفرقها ﴿بَلَىٰ﴾ [الآية 4] نجمعها حال كوننا ﴿قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [الآية 4] التي هي أطرافها فكيف بغيرها. 377/أ

وقال الأستاذ: أي نقدر أن نسوي في الوقت بنانه فنجعله كظلف شاة فكيف لا نقدر على إعادته.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾﴾ [الآية 5] ليدوم على الفجور والعصيان فيما يستقبله من الزمان ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾﴾ [الآية 6] متى يكون أو أي آن وزمان تقع الواقعة لقوله استبعاد أو استهزاء.

وأفاد الأستاذ: أنه يقدم الحوبة ويؤخر التوبة. ويقال: يعزم على أن يستكثر معاصيه في مستأنف وقته فلا تنحل في الوقت عقدة الإصرار من قلبه فلا تصح توبته لربه لأن التوبة من شرطها العزم على أن لا يعود إلى مثل عمله، فإذا كان استحلاء لزلة في قلبه ويتفكر في الرجوع إلى مثله فلا تصح ندامته من غير عزمه.

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾﴾ [الآية 7] قرأ نافع بفتح الراء، والمعنى دهش بصره وتحيّر ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] ذهب نوره وانقلب ظهوره، وقرىء على بناء المفعول ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] في ذهاب ضوئهما أو في رميهما في النار كأنهما وتغير حالهما ألف ملك لها زفير وشهيق فلا يبقى ملك ولا رسول

إلا وهو يقول: نفسي نفسي.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] أي الفرار من القدر أو موضع الفرار يكون فيه القرار ﴿كَلَّا﴾ [الآية 11] ردع عن طلب المفر ﴿لَا وَزَرَ﴾ [الآية 11] لا ملجأ ولا مفر ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] إلى حكمه استقرار أمر خليقته أو إلى مشيئته موضع قرار بريئته يدخل مَن يشاء في منزل رحمته ومن شاء في محل عقوبته.

﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الآية 13] أي يُخبر أو يجازي ﴿يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [الآية 13] بما قدَّم من عمل عمله وبما أخّر منه لم يعمله أو بما قدم من عمل عمله وبما أخّر من سنّة حسنة أو سيئة عمل بها بعده.

قال أبو عثمان: خمس مصائب في الذنب أعظم من الذنب الأولى: خذلان الله إذ لو عصمه لما عصاه. والثانية: إن سلب عنه حلية أوليائه وكساه كسوة أعدائه. والثالثة أن أغلق عنه باب رحمته وفتح له باب عقوبته. والرابعة: نظره إليه وهو مبغوض لديه. والخامسة: وقوفه بين يديه يعرض ما قدَّم وأخّر من مفاتحه عليه.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] حجة بينة على أعمالها لأنه شاهد بأحوالها ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] جمع مقدار بمعنى القدر أو جمع معذرة على القياس، أي لو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾ [الآية 16] يا محمد ﴿بِهِۦ﴾ [الآية 16] بالقرآن ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [الآية 16] قبل أن يتم وحيه لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت/ منك على غفلة. 377/ ب

﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾ [الآية 17] بمقتضى فضلنا ﴿جَمْعَهُۥ﴾ [الآية 17] في جنانك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [الآية 17] وإثبات قراءته على لسانك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ [الآية 18] بلسان جبريل ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [الآية 18] أي قراءته، كثّر فيه دراسته حتى يرسخ في ذهنك روايته ودرايته.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [الآية 19] بيان ما أشكل عليك من شأنه سواء كان من تعلُّق مبانيه أو تحقُّق معانيه، وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العاجلة

فإن العجلة إذا كانت مذمومة فيما يواصل الدين وأساس اليقين، فكيف بها في غيره أو بذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات فلا يلتزم المناسبة بين السّابقات واللاحقات.

وفي «تفسير السلمي» قيل للنبي ﷺ: لا تستعن بنفسك على شيء من أسبابك فإنَّا لا نكلك إلى نفسك بل نتولّاك في جميع أمرك، علينا جمعه في صدرك وتسهيله على لسانك حال ذكرك.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 20] ردع للرسول عن إعادة العجلة أو للإنسان عن الاغترار بالعاجل ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [الآية 20] ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] أي الآجلة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالغيبة فيها.

قال أبو عثمان: مَن أحب الدنيا ومالها وأقبل عليها وطلبها ولو حلالها فليتيقن بفوت حظه من الآخرة لأن الله تعالى قال: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [[الآيات 20-22] مشرقة متنورة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [الآية 23] تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه مع بقاء حاله وليس هذا في جميع الأوقات حتى ينافيه نظره إلى غيره من المستلذات.

روي عن عكرمة أنه قال: لو جعل الله نور جميع أبصار الإنس والجن والدواب والطير في عيني عبد ثم كشف حجاباً دون الشمس لما استطاع أن ينظر إليها ونور الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، ونور العرش جزء من سبعين جزءاً من نور السر. فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر إلى وجه ربّه الكريم عياناً. رواه ابن أبي حاتم.

وقال الواسطي: وجوه نضرت بالتوحيد وابتهجت بالتفريد ورفعت بالتجريد لأن الله يفعل ما يريد.

وقال مجاهد وقد تفرد به من بين السلف وتبعه المعتزلة من الخلف: أي منتظرة إنعام ربها على أن إلى مفرد الآلاء بمعنى النعماء، ورد بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه.

وأفاد الأستاذ: أن النظر المقرون بإلى مضافاً إلى الوجه لا يكون إلا الرؤية والله تعالى يخلق الرؤية في وجوههم على قلب العادة. ويقال: العين من جملة الوجه، فاسم الوجه يتناوله في الجملة. ويقال: الوجه لا ينظر والعين تنظر كما أن النهر لا يجري والماء فيه يجري. ويقال: في الآية دلالة على أن الرؤية بصفة الصحو ولا يتداخلهم/ الحيرة والدهشة والمحو لأن 378/ أ النصرة من أمارة البسط واللقاء والبقاء في حال اللقاء أتم من اللقاء والرؤية عند أهل التحقيق تقتضي بقاء الرائي وعندهم استهلاك العبد في وجوه الحق أتم به والله أعلم وأحكم.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] شديدة العبسة ﴿تَظُنُّ﴾ [الآية 25] يتوقع أربابها ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [الآية 25] واهية تكسر فقارها وهي بقاؤها في نارها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخلق الظن في وجوههم أو يخلق الظن في قلوبهم ويظهر أثره على وجوههم.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 26] ردع في إيثار الدنيا على اختيار الأخرى ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ [الآية 26] وصلت النفس أعالي صدورها وإضمارها من غير ذكرها لدلالة الكلام عليها.

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الآية 27] وقال حاضر وصاحبها من يرقيه مما به مأخوذ من الرقية.

قال الأستاذ: أي يقول من حوله هل أحد يرقيه أو طبيب يداويه أو دواء نسقيه، أو قال ملك الموت: أيكم يرقي بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العقوبة مشتق من الرقيّ.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] أي وأيقن المحتضر أن الذي نزل به انتقال من الدنيا وارتحال إلى العقبى..

قال ابن عطاء: أجمع عليه شدة مفارقة الوطن من الدنيا وأهله وولده وصحبه وشدة القدوم على ربه لا يدري بماذا يقدم عليه من أمره ولذا قال

عثمان بن عفان رضي الله عنه: ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه لأنه آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة[1].

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الآية 29] التوت ساقه بساقه فلا يقدر تحويلها ولا تحريكها أو اتصلت شدة مفارقة الدنيا بشدة مخافته العقبى.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30] إلى حكمه لا إلى غيره سوق عبده.

وأفاد الأستاذ: أن الملائكة يسوقون روحه إلى حيث أمرهم الله يحملوها إليه إما إلى عليين أو سجّين ثم لهما تفاوت درجات واختلاف دركات. ويقال: الناس يكفنون بدن الميت ويغسلونه ويصلون عليه والحق سبحانه يلبس روحه ما يستحقه من الجهد ويغسله بماء الرحمة ويصلي عليه والملائكة.

﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ [الآية 31] ما يجب تصديقه أو فلا صدق ما له ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ [الآية 31] ولا أدى أعماله، والضمير فيهما للإنسان المذكور ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ [الآية 32] بالنبوّة ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [الآية 32] أعرض عن الطاعة.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية 33] يتبختر افتخاراً بما له من جاهه وماله ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] أي أولى لك العذاب وأقرب لك الحجاب ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] كرَّر للإشارة إلى عدم انتهاء العقاب، وقيل: أفعل من الويل بعد القلب.

ومن هنا قال الأستاذ: معناه الويل لك يوم تحيا والويل لك يوم تموت والويل يوم تبعث والويل لك يوم تدخل النار.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [الآية 36] مهملاً لا يكلّف ولا يجازى فإن الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن المقابح، / والتكليف لا يتحقق إلا بمجازاة الأعمال وما قد لا يكون في الدنيا فيكون في الأخرى. 378/ب

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 526) رقم (1373).

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [الآية 37] أي تلقى النطفة أو المعنى، وقرأ حفص بالتذكير أي بقذف المني من صلب الأب في رحم الأم ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ [الآية 38] أي صار المني ﴿عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾ [الآية 38] أي مضغة ﴿فَسَوَّىٰ﴾ [الآية 38] أعضاءه فعدّله وصوّره ونفخ فيه روحه.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ﴾ [الآية 39] الصنفين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الآية 39] والخنثى المشكل عندنا مبين عنده تعالى.

وقال الأستاذ: إن شاء خلق الذكر وإن شاء خلق الأنثى وإن شاء كليهما. ثم هو استدلال آخر بحال البداءة على الإعادة ولذا قال: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية 40] عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: سبحانك بلى[1].

---

(1) تفسير البغوي (8/ 288)، وتفسير الرازي (16/ 213)، والكشاف (7/ 193).



سورة الدهر

[مكيَّة]
وهي إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم جبار توحّد في آزاله بصفة جبروته، وتفرَّد في آباده بنعت ملكوته، فأزله أبده وأبده أزله، وجبروته ملكوته وملكوته جبروته، أحديّ الصفات، صمدي الذات.

﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ [الآية 1] استفهام تقرير ولذا فسر بقراءتي ﴿عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الآية 1] طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الآية 1] بل كان شيئاً منسياً غير مذكور بالإنسانية كالعنصر والنطفة، ونعم ما قال عمر بن الخطاب في هذا الباب: ليتها تمت أي لئلا نرى الحساب والعذاب. والجملة حال الإنسان والمراد به آدم عليه السلام حين كان مطروحاً مدة أربعين من الأيام أو الجنس لقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الآية 2] ذات أخلاط، والمعنى من نطفة مختلطة بماء المرأة ودمها، أو ذات أطوار فإن النطفة تصير علقة ثم مضغة إلى تمام الخلقة ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ [الآية 2] في موضع الحال، أي مبتلين له بمعنى مريدين اختياره في ضمن اختباره ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الآية 2] ليتمكن من استماع الآيات ومشاهدة دلالة المصنوعات. وقيل: الاستفهام بمعنى النفي.

ولذا قال جعفر الصادق: هل أتى عليك يا إنسان وقت لم يكن الله ذاكراً لك فيه. وقيل: سمي الإنسان إنساناً لأن عوامهم يستأنس بعضهم ببعض وخواصهم يستأنسون بعجائب القدرة وغرائب الحكمة، وأكابرهم

يستأنسون به دون غيره.

وقال الأستاذ: لم يكن شيئاً أي ما له مقدار. قيل: كان آدم أربعين سنة جسده مطروحاً بين مكة والطائف ثم من صلصال أربعين سنة ثم من حمأ مسنون أربعين سنة فتمَّ خلقه بعد مائة وعشرين سنة. ويقال: هل غفلت ساعة عن حفظك، هل لقيت لحظة حبلك على غاربك، هل أخليتك ساعة من رعاية جديدة وحماية مزيدة.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الآية 3] بنصب الدلالات/ وإنزال الآيات ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الآية 3] حال من الهاء في ﴿هَدَيْنَٰهُ﴾ [الآية 3]، وإما للتفضيل وللتقسيم أي هديناه في حالتيه جميعاً أو مقسوماً إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والأخذ فيه، وبعضهم كفور بالإعراض عنه ولم يقل كافراً مؤمناً قسيمه وإيماء إلى أن الإيمان هو شكر النعمة كما أن الكفر هو كفران المنة. 379/أ

وقال الأستاذ: أي عرّفناه طريق الخير والشر فإما أن يكون شاكراً من أوليائنا وإما أن يكون كافراً من أعدائنا فإن كفر فبخذلاننا وإن شكر فبتوفيقنا.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ [الآية 4] بها يقادون ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ [الآية 4] بها يتئدُّون ﴿وَسَعِيرًا﴾ [الآية 4] بها يُحرقون، وتقديم وعيدهم مع تأخر ذكرهم لأن الإنذار أهم ونفعه أعم. وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أتم مع مناسبة الإنذار ابتداء بالكفار ولطول ما يأتي في نعت الأبرار. وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر وهشام سلاسلاً لمناسبة أغلالاً لأن الأبرار جمع برّاً وبار فقيل: أكبّر الذي لا يضمر الشر ولا يؤذي الغير وقيل الأبرار هم الذين سمت وجوههم عن الأمور المستحقرة وظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة فأنفوا من مساكنة الدنيا ومطالبة الأخرى استغناء بالمولى.

﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ [الآية 5] من خمر وهي في الأصل القدح تكون فيه ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ [الآية 5] ما ينبع بها ﴿كَافُورًا﴾ [الآية 5] لطيب رائحته وعذوبته وبرودته، والظاهر أنه اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في لونه وريحه وطبخه.

قال الواسطي: من كان تحت قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ [الآية

5] بردت الدنيا في صدورهم وانقطعت الشهوة عن قلوبهم.

وقال الأستاذ: اختلفت مشاربهم في الآخرة فكل يسقى ما يليق بحاله كما كان في الدنيا مشاربهم مختلفة، فمنهم من يسقى مزجاً، منهم من يسقى صرفاً. وفائدة الشراب اليوم أن يشغلهم شرابهم عن كل شيء ويزيحهم عن الإحساس به ويأخذهم عن قضايا العقل وإدراكه كذلك الشراب في الآخرة فيه زوال الإرب وسقوط الطلب وحصول الطرب، وذهاب الحرب، والغفلة عن كل سبب. ولقد قالوا:

عاقر عقارك واصطبح ... واقدح سرورك بالقدح
واخلع عذارك في الهوى ... وأرح عذولك واسترح
وافرح بوقتك إنما ... عمر الفتى وقت الفرح[1]

قلت: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا إن الله لا يحب الفرحين بغيره.

﴿عَيْنًا﴾ [الآية 6] نصب على الاختصاص ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ [الآية 6] أي منها أو ملتذّاً وممزوجاً بها ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 6] أي المقربون ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الآية 6] حيث شاؤوا إجراءً سهلاً يسيراً.

قال يحيى بن معاذ: إنها عيون يشربون منها في الدنيا فيورثهم ذلك شراب الحضرة في العقبى، وهي عيون الصبر وعيون الشكر، وعيون الحياء، وعيون الوفاء، وعيون المحبة والصفاء، وعيون المعرفة والضياء/. 379/ب

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الآية 7] بما أوجبوه على أنفسهم فكيف ما أوجبه ربهم عليهم ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الآية 7] ناشئاً منتشراً، وفيه إيماء إلى حسن عقيدتهم واجتنابهم عن معصيتهم.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الآية 8] حب الله أو الطعام أو الإطعام

(1) نسب إلى محمد بن يحيى الصولي. انظر قطب السرور (1/ 70).

﴿مِسْكِينًا﴾ [الآية 8] أي فقيراً ﴿وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الآية 8] محبوساً في قيد الملك أو السجن.

قال الأستاذ: وجاء في التفسير أن الأسير كان كافراً لأن المؤمن ما كان يستأسر في عهده عليه السلام، فطاف على بيت فاطمة رضي الله عنها فقال: تأسروننا ولا تطعموننا[1].

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الآية 9] أي قالوا له ببيان الحال أو بلسان القال إزالة لتوهم المنة وتوقُّع المكافأة المنقصة للمثوبة. فعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فإن ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصاً عند الله وابتغاء لوجهه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ﴾ [الآية 9] لا نطلب من قبلكم ﴿جَزَاءً﴾ [الآية 9] عوضاً وبدلاً ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ [الآية 9] أي شكراً أو ثناءً ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ [الآية 10] عذاب يوم تعبس فيه الوجوه ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ [الآية 10] شديد العبوس نكيراً فلذا نحسن إليكم ولا نمن عليكم ولا نطلب المكافأة لديكم.

﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية 11] حفظهم ﴿شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ﴾ [الآية 11] بسبب خوفهم منه وتحفظهم عنه ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الآية 11] أعطاهم بهجة في ظواهرهم وفرحاً في سرائرهم ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ [الآية 12] جازاهم وكافأهم بصبرهم على أداء الواجبات المحرمات وإيثار الأموال في ضيق الأحوال ﴿جَنَّةً﴾ [الآية 12] بستاناً يأكلون منه ﴿وَحَرِيرًا﴾ [الآية 12] يلبسونه.

﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الآية 13] حال من هم في جزائهم أو صفة لجنة ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الآية 13] أي يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حرّ محم ولا برد مؤذٍ، وقيل: الزمهرير القمر. والمعنى إن هواءها مضى بذاته لا يحتاج إلى شمس ولا قمر فيها.

﴿وَدَانِيَةً﴾ [الآية 14] قريبة ﴿عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ [الآية 14] إما حال أو صفة أخرى

---

(1) تفسير القشيري (8/ 9).

معطوفة على ما قبلها ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الآية 14] أي جعل ما يقتطف من أثمارها ويقتطع من أزهارها سهل التناول لا يمتنع على قطّافها كيف شاؤوا.

قال الأستاذ: يتمكنون من قطافها على الوجه الذي هم فيه من غير مشقة إن كانوا قعوداً تدلّى عليهم وإن كانوا قياماً وهي على الأرض فأرادوها ارتفعت إليهم.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الآية 15] جمع كوب وهو كوز لا عروة لها ولا خرطوم بها ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ [الآية 15] قوارير ﴿مِن فِضَّةٍ﴾ [الآية 15] أي تكون جامعة بين صفاء الزجاجة وضيائها وبياض الفضة وبهائها، وقد نوّن قواريراً من نون سلاسلاً إلا هشام، ونوّن ابن كثير الأولى لأنها رأس الآي ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الآية 16] قدّروها في أنفسهم فجاءت مقاديرها كما تمنوها وأرادوها أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها.

380/ أ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] خمراً / يشبه الزنجبيل في الطعم والريح وكانت العرب يستلذون بالشراب الممزوج به ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الآية 18] لسلامة انحدارها وسلاسة مساغها من غير لذع الزنجبيل ونحوه فيها والباء زائدة، وقيل: أصله سلسبيلاً لأنه لا يشرب منها إلا من سأل سبيلاً بالعمل الصالح إليها فسميت به كتأبّط شرّاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أثبت السقي وأبهم من يسقيهم لأن منهم من يسقيه الولدان المخلدون ومنهم من يسقيهم الملائكة المقرّبون ومنهم من يسقيه الحق بلا واسطة الخلق.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الآية 18] دائمون، وقيل مقرطّون أي بالقرط يلبسون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الآية 19] من صفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم.

قال الأستاذ: وفي التفسير ما من إنسان من أهل الجنة إلا ويخدمه ألف غلام.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ [الآية 20] ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدّر لأنه عام معناه إن بصرك أين ما وقع ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ [الآية 20] كثيراً ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الآية 20] واسعاً، ففي الحديث: «أدنى أهل الجنة منزلةً ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه»[1]، ثم للعارف هناك أكبر من ذلك وهو أن ينتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فتستضيء بأنوار قدس الجبروت وأسرار إنس العظموت مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الآية 21] يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رقّ منها وما غلظ، ونصب عاليهم على الحال من هم أو حسبتهم، وقيل ظرف. وقرأ نافع وحمزة بسكون الياء على أنه مبتدأ خبره ثياب سندس. وقرأ ابن كثير وأبو بكر خضر بالجر حملاً على سندس بالمعنى فإنه اسم جنس، واستبرق بالرفع عطف على ثياب. وقرأ أبو عمرو وابن عامر بالعكس، وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر ﴿وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الآية 21] ولا ينافيه أساور من ذهب لإمكان الجمع والمعاقبة والمباغضة فإن حلي أهل الجنة يختلف باختلاف أعمالهم وتفاوت مراتب أحوالهم ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الآية 21] مبالغاً في وصف الطهارة والنظافة واللطافة يريد به نوعاً آخر يفوق على النوعين المتقدمين من ظهوراً وسروراً ولذا أسند سقيه إلى نعت الربوبية ووصفه بالظهورية فإنه يظهر شاربه عن الميل إلى اللذات الحسية والتمتعات النفسية فيتجرد لمطالعة جماله ومشاهدة كماله ملتذّاً بلقائه باقياً ببقائه وهي منتهى درجات الصدِّيقين ولذا ختم به ثواب الأبرار المتقين. قال بعضهم: إن لله شراباً طاهراً صافياً شهيّاً نقيّاً ادخرها في كنوز ربوبيته لأوليائه وأصفيائه يفجّر لهم من ينابيع المعرفة في أنهار المنة فسقاهم ربهم بكأس المحبة فسقاهم ذلك في الدنيا في ميدان/ ذكره بكأس 380/ ب محبته على منابر أنسه بمخاطبة الإيمان وسقاهم في العقبى في ميدان قربه بكأس رويته على منابر نور قدسه بمخاطبة العيان.

وقال الأستاذ: اليوم شراب الإيناس وغداً شراب الكأس، اليوم شراب

---

(1) تفسير الرازي (16/ 234)، والكشاف (7/ 202)، وتفسير أبي السعود (9/ 74).

يبدو من اللطف وغداً شراب يدار على الأكف، واليوم من آثار مشروبه تذلّله لكل أحد لأجل محبوبه فيكون لأصغر الخدم تراب القدم وقد يكون من مقتضى ذلك الشرب في أن يتيه في الدورين على أهل الدارين والعبد يكون في ابتداء الكشف مستوعباً ثم يصير مستقراً ثم يصير مستهلكاً فإن إلى ربك المنتهى.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ [الآية 22] ما عدّ من الثواب ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ [الآية 22] في أم الكتاب ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الآية 22] غير مضيّع يوم الحساب بل لكم الأجر الجزيل على العمل القليل.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الآية 23] مفرقاً منجماً حكمة اقتضت هنالك، وقد مر بيان ذلك.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية 24] بتأخير نصرك ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الآية 24] أي كل واحد من مرتكب الإثم الداعي لك إليه ومن الغالي في الكفر الحامل لك عليه وأو للدلالة على أنهما سيّان في استحقاق العصيان والتقسيم باعتبار ما يدعونه إليه من نوعي الطغيان فإن مطاوعتهما في ما ليس بإثم ولا كفر غير محظور في الأديان.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] داوم على ذكره وواظب على شكره ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ [الآية 26] وبعض الليل فصلٍّ له، ولعل المراد به صلاة الأوابين[1] ما بين العشاءين ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الآية 26] وتهجد له طائفة طويلة من الليل.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 27] كفار قومك ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [الآية 27] أي الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ [الآية 27] ويتركون أمامهم أو خلفهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الآية 27]

---

(1) قيل المراد بها صلاة الضحى. انظر تفسير ابن كثير (6/ 87)، وتفسير الآلوسي (17/ 308).
وقيل: الصلاة ما بين المغرب والعشاء. انظر تفسير القرطبي (١٤/ ١٠١)، وتفسير البغوي (٦/ ٣٠٣).

شديداً أي لا يعملون ما ينفعهم في العقبى، ولما كانوا من المنكرين للقيامة والجاحدين للإعادة قال تعالى: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الآية 28] وأحكمنا ربط مفاصلهم بأعصابهم وقوّينا أمرهم في باب اكتسابهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الآية 28] أي إذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة من النشأة الثانية، أو المعنى إذا شئنا أعدمناهم وخلقنا غيرهم بدلاً عنهم.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ [الآية 29] السورة أو الآيات القرآنية المذكورة أو الإشارة إلى حملة القرآن وتأنيثه باعتبار خبرها وهو قوله: ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ تبصرة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الآية 29] تقرّب إليه بالطاعة.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ [الآية 30] أي ذلك ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 30] إلا وقت أن يشأ الله مشيئتكم هنالك، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: يشاؤون بالغيبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية 30] بما يستأهل كل أحد من العباد ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 30] بمقتضى حكمته أراد ما أراد.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ [الآية 31] بالهداية وتوفيق الطاعة ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 31] أي على أنفسهم بالكفر أو/ المجرمين بالوزر ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ 381/ أ [الآية 31] نصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم مثل أوعد ولا يبعد أن يكون عطفاً على الجلالة..

قال أبو بكر بن طاهر: المشيئة أوجبت للخلق الرحمة لا أعمال الطاعة فإن الرحمة صفته ولا علّة لصفاته وأعمال الخلق مشوبة بالعلل ولا يستوجب العبد بمعلوم ما لا علّة له من الصفات.



سورة المرسلات

[مكيّة]
وهي خمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة مَن سمعها بسمع الوجد وفى له فلم ينظر إلى أحد ومَن سمعها بسمع العلم جادَ لَه فلم يبخل به بروحه على أحد ومن سمعها بسمع التوحيد جرّد سرّه عن إثبات ما سواه في الدنيا والعقبى، عيناً وأثراً الإحاطة به كائنة منه.

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥﴾ [الآيات 1-5] أقسم بطوائف من الملائكة أرسلهن الله بأوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال الأوامر ونشرنَ الشرائع في الأرض أو نشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فألقين إلى الأنبياء ذكراً ﴿عُذۡرًا﴾ [الآي 6] للمحقين ﴿أَوۡ نُذۡرًا﴾ [الآي 6] للمبطلين أو بآيات القرآن المرسلة بكل عرف إلى محمد ﷺ فعصفنَ سائر الكتب والأديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب، وفرقنَ بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فيما بين الخلق أو بالنفوس الكاملة المرسلة إلى الأبدان لاستكمالها فعصفنَ ما سوى الحق ونشرنَ أثر ذلك في جميع الأعضاء وفرقنَ بين الحق بذاته والباطل في نفسه ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88] فألقينَ ذكراً بحيث لا يكون في القلوب والألسنة إلا ذكر الله ونسيان ما سواه، وعرفاً إما نقيض الفكر وانتصابه على العلة أي أرسلن للإحسان والمعروف أو بمعنى المتابعة مع عرف الفرس وانتصابه على الحال، وعذراً مصدر لا عذر أي

قطع العذر، ونذراً مصدر أنذر إذا خوّف ونصبهما بالعلية أي إعذاراً للمحسنين وإنذاراً للمسيئين. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بسكون ذال نذرا في الشواذ بضم ذال عذراً.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ [الآية 7] جواب القسم أي أن الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾ [الآية 8] محقت ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾ [الآية 9] انشقت ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾ [الآية 10] اندقت ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ [الآية 11] عيّن لها وقتها الذي يحضرون فيها للشهادة على أممها، وقرأ أبو عمر: وقتت على الأرض ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢﴾ [الآية 12] أي يقال: لأي يوم أخِّرت ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣﴾ [الآية 13] بيان التأجيل ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤﴾ [الآية 14] تعظيم لليوم/ وتعجيب من هوله للقوم. 381/ ب

﴿وَيۡلٌ﴾ [الآية 15] أي هلاك عظيم ﴿يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية 15] أي بذلك وبما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال في الإشارة: فإذا نجوم المعارف طمست بوقوع الغيبة وإذا جبال القلوب الساكنة بيقين الشهود حركت عقوبة على ما همت بالذي لا يجوز ويل يومئذ لأرباب الدعاوى المطلقة الحاصلة من ذوي القلوب المطبقة الخالية عن المعاني.

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦﴾ [الآية 16] كقوم نوح ونحوهم ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الآية 17] أي ثم نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وغيرهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 18] أي مثل ذلك الفعل ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الآية 18] بكل مخالف في الدين.

﴿وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٩﴾ [الآية 19] بآيات الله وأنبيائه المرسلين.

وقال الأستاذ: أي الذين لا يستوي ظاهرهم وباطنهم في أمر الدين وهكذا كان بعض المتقدمين من أهل الذلة والفترة في الطريقة والخيانة في أحكام المحبة فعذِّبوا بالحرمان في عاجلهم ولم يذوقوا من المعاني بعد ذلك شيئاً في آجلهم.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] نطفة قذرة مذِرَة ذات نتانة ومهانة ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] هو رحم الأم ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] مقدار معلوم من المدة قدّرها الله للولادة ﴿فَقَدَرْنَا﴾ [الآية 23] على ذلك أو فقدّرناه أطواراً هنالك، ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [الآية 23] نحن الأولين والآخرين.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] بقدرتنا على ذلك الإعادة هنالك.

قال الأستاذ: ذكرهم أصل خلقتهم لئلا يعجبوا بحسن حالتهم. ولقد أنشد بعضهم:

كيف يزهو من رجيعه أبد الدهر ضجيعه

فهو منه وإليه وأخوه ورضيعه

وهو يدعوه إلى الـ ـخسّ يصغر فيطيعه[1]

ويقال: ذكرهم أن أصلهم كان أخس قطرة ثم نقله وصوّره أحسن صورة وأنه قادر على أن يرقيك من الأحوال الخسيسة إلى المنازل الشريفة النفيسة.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] كافتةً أي ضامّةً وجامعةً أحياءً وأمواتاً مفعولان لكفاتاً، والمعنى إنهم يعيشون على ظهرها ويودعون بعد الموت في بطنها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الآية 27] جبالاً ثوابت ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ [الآية 27] مرتفعات يكونوا علامات ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ [الآية 27] عذباً يكسر العطش بخلق منابعه وإجراء أنهاره.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] بهذه النعم الدنيوية ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟﴾ [الآية 29] يقال لهم: اذهبوا ﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الآية 29] من عذاب يوم الدين ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟﴾ [الآية 30] أي خصوصاً ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ [الآية 30] أي دخان جهنم ﴿ذِى ثَلَٰثِ

(1) هذه الأبيات منسوبة لابن الرومي. انظر دواوين الشعر العربي (73/ 227).

شُعَبٍ﴾ [الآية 30] متشعب العظمة كما يرى الدخان العظيم يتفرق ذوائبه وخصوصية الثلاث لأن حجاب النفس عن أنوار القدس وأسرار الإنس الحس الخيال والوهم. وقيل: شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يساره.

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ [الآية 31] رد لما أوهم لفظ الظل ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [الآية 31] وغير مغنٍ عنهم من حرّ اللهب شيئاً ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] أي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده أنه قرىء: بشرار ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ [الآية 33] / جمع جمال أو جمال جمع جمل ﴿صُفْرٌ﴾ [الآية 33] فإن الشرر لما فيه 382/ أ من النارية يكون أصفر. وقيل: سود، فإن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة غالباً والأول تشبيه في العظمة وهذا في اللون والكثرة والتتابع وللاختلاط وسرعة الحركة. وقرأ حمزة والكسائي وحفص: جمالات.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] بما في ذلك اليوم من شدائد الأحوال أو منكرات الأهوال. وقال الأستاذ كذلك إذا لم يعرف السالك قدر انفتاح طريقه إلى الله بقلبه وتعززه بتوكله فإذا رجع الخلق عند استيلاء الغفلة عن الحق نزع الله الرحمة عن قلبه وانسدت عليه طريق رشده فيتردد من هذا إلى هذا ومن هذا إلى هذا يقال لهم: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون. والاستقلال بالله هو الجنة المأوى والرجوع إلى الخلق قرع باب الردى، وفي معناه قالوا:

ولم أر قبلي من يفارق جنة ويقرع بالتطفيل باب جهنم[1]

ثم يقال لهم إذا أخذوا في الاعتذار: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] بما فيه نوع من المنفعة أو نسي من فرط الدهشة والحيرة، وهذا في بعض مواقف القيامة.

قال أبو عثمان: أسكتتهم رؤية الهيبة وخشية المعصية.

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الآية 36] عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الإذن والاعتذار عقيبه مطلقاً، ولو جعل جواباً لدل على أن عدم

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 46) و(8/ 18).

اعتذارهم لعدم الإذن وأوهم ذلك أن لهم عذراً لكن لم يؤذن لهم فيه.

قال جنيد: أنّى لهم أوان العذر فيعتذرون وأي عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر به وجحد بنعمه ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الآية 37] بربّهم وبنبيّهم والمصدِّقين بأهل يمنهم.

﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ [الآية 38] أي الفاصل بين المحق والمبطل ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 38].

قال الأستاذ: دفعنا بكم ما فعلنا بهم في الدنيا من الخذلان لأن ذلك اليوم سنفعل بكم ما نفعل بهم من إدخال النيران.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾ [الآية 39] تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار لعجزهم في العقبى ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية 40] حيث لا مخلَّص لهم من العذاب والردى.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الآيتان 41،42] مستقرون في أنواع النعمة وأصناف المنَّة.

وأفاد الأستاذ: إن اليوم في ظلال العناية والحماية وغداً في ظلال الرحمة والرعاية، اليوم في ظلال التوحيد وغداً في ظلال حسن المزيد، اليوم في ظلال المعارف وغداً في ظلال اللطائف، اليوم في ظلال التعريف وغداً في ظلال التشريف.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ متهنئين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الآيتان 43،44] في الأقوال والأعمال والأحوال ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية 45] حيث يمحّض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد.

قال جنيد: الويل يومئذ لمن كان يدّعي في الدنيا من الدعاوي الباطلة ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الآية 46] / حال من المكذبين، أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيراً لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على 382/ب

أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم الجزيل ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الآية 47] حيث عرّضوا أنفسهم للعذاب الكثير بالتمتُّع اليسير.

قال سهل: مَن كانت همّته بطنه وفرجه فقد أظهر خسارته، قال الله: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ [الآية 46]، وقال بعضهم: التمتع بالدنيا من أفعال المنافقين وحبها وجمعها والاطمئنان إليها من أفعال الكافرين والسعي لها من أفعال الظالمين، والكون فيها على حد الإذن بها والأخذ منها على قدر الحاجة إليها من أفعال عوام المؤمنين، والإعراض عنها والبغض لها من أفعال الزاهدين، وأهل الحقيقة أجّل خطراً وأعظم قدراً من أن يؤثر غيهم حب الدنيا وبغضها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ أطيعوا واخضعوا أو صلّوا أو اركعوا في الصلاة ﴿لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الآية 48] لا يمتثلون ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الآية 49] بأوامر الدين ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ [الآية 50] بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 50] إذا لم يؤمنوا به والحال إنه معجزة في ذاته المنيفة ويشتمل على المباني اللطيفة والمعاني الشريفة.



سورة النبأ

[مكيّة]

وهي أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم ملِك يتجمّل عُبّاده بطاعته ويتزيّن خدمه بعبادته وهو لا يتجمل بطاعة المطيعين ولا يتزين بعبادة العابدين.

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ [الآية 1] أي عما يتسائل الناس فيما بينهم، وهو استفهام للتفخيم كما بيّنه بقوله ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ [الآية 2] وهو أمر البعث ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ [الآية 3] بالإقرار والإنكار ﴿كَلَّا﴾ [الآية 4] ردع عن الاختلاف وزجر منه أو عن السؤال الناشيء عنه إذ الإخبار به وقع صدقاً، أو معناه حقاً سيعلمون علم اليقين عند الموت ﴿ثُمَّ كَلَّا﴾ [الآية 5] أي حقاً ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ [الآية 5] بعين اليقين عند البعث.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ [الآية 6] فراشاً ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [الآية 7] تقرير وتذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعته الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته ليستدلوا بذلك على صحة البعث وما هنالك ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ [الآية 8] أجناساً ذكوراً وإناثاً أو أصنافاً أو أنواعاً مختلفة الألوان والصور والألسنة ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ [الآية 9] قطعاً عن الحسّ والحركة استراحة للقوى الحيوانية وإزاحة لكلالها العادية.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ [الآية 10] غطاء يستر بظلمته من أراد اختفاء ويحصل به السكون ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ [الآية 11] وقت معاش يتقلبون فيه

بما تعيشون ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] سبع سماوات أقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور دهور وأوقات ﴿وَجَعَلْنَا﴾ [الآية 13] أي الشمس ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [الآية 13] متلألئاً وقّاد ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ [الآية 14] الرياح التي/ تعصر السحائب ويؤيده أنه قرىء في الشواذ بالمعصرات ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [الآية 383/ أ 14] منصباً ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾ [الآية 15] من الحنطة والشعير ونحوهما للأنام ﴿وَنَبَاتًا﴾ [الآية 15] خضراً مما يأكل الناس والأنعام.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] ملتفة بعضها ببعض أملاكاً وأوقافاً.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ [الآية 17] بين المحق والمبطل ﴿كَانَ﴾ [الآية 17] في علم الله أو في حكمه ﴿مِيقَٰتًا﴾ [الآية 17] حدّاً تتوقّت به الدنيا عنده العقبى ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الآية 18] أي النفخة الأخيرة وهو بدل من يوم الفصل ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [الآية 18] جماعات من القبور إلى موقف النشور.

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [الآية 19] شقّقت لنزول الملائكة، وقرأ الكوفيون بالتخفيف ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [الآية 19] فصارت ذات أبواب.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الآية 20] في الهواء كالهباء ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [الآية 20] مثل سراب إذ ترى في الخيال على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لانبثاث أجزائها وتفتيتها.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] ممراً إلى الجنة كما ذكره الحسن وقتادة، ويقال: ذات ارتقاب لأهلها ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] مرجعاً ومثوى ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [الآية 23] دهوراً متتابعة غير متناهية على ما صرّح به السلف الكرام ونطق به القرآن في غير هذا المقام. وقرأ حمزة: لبثين.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] ما يروّحهم ويسكّن عطشهم ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ [الآية 25] أي لكن يذوقون فيها ما في غاية الحرارة ﴿وَغَسَّاقًا﴾ [الآية 25] ما يغسق أي يسيل من صديدهم. وقيل: الزمهرير وهو مستثنى من البرد إلا أنه أخر ليتوافق رؤوس الآي. وقيل: المراد النوم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بتشديد السين.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] أي جُزُوا بذلك جزاء ذا وفاق لأعمالهم أو موافقاً لأحوالهم.

وقال الأستاذ: أي على وفق ما سبق به التقدير وجرى به قلم التدبير.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ [الآية 27] أي لا يخافونه ولا يأملونه لعدم إيمانهم ولضعف إيقانهم.

وقال الأستاذ: أي لا يؤمنون فيرجون الثواب ويخافون العذاب.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] أي تكذيباً ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا﴾ [الآية 29] أي ضبطناه حال كونه مكتوباً في اللوح أو في صحف الحفظة. والجملة معترضة.

﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30] مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بآيات الكتاب. عن ابن عمرو وغيره: لم ينزل على أهل النار أشد من هذه الآية.

وأفاد الأستاذ: إن المسبِّح الزاهد يحصى تسبيحه، والمهجور اليائس يحصي أيام هجرانه والذي هو صاحب وصال ليس يتفرغ من وصل مرامه إلى تذكر أيامه والملائكة يحصون زلّة العاصين ويكتبونها في صحيفتهم والحق سبحانه يقول: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ [الآية 29] وكما أحصى زلة المسيئين وطاعة المحسنين فكذلك أحصى أيام هجران المهجورين وأيام محن الممتحنين، وإن أقواماً أيام فترتهم جاوز الحد وأوقات هجرانهم أربى الحصر والعد، أي أيها/ المنعمون في الجنة فافرحوا وتمتعوا فلن نزيدكم إلا ثواباً وأيها الكافرون احترقوا وابعدوا ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30]، وأيها المساكين الساكنين إلى غيرنا ابكوا واجزعوا فلن نزيدكم إلا عقاباً، وأيها الفقراء المكتفون بنا تتعيشوا ببقائنا فذوقوا فلن نزيدكم إلا تعزُّزاً وتقرُّباً. 383/ ب

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] فوزاً وظفراً بالبغية أو موضع فوز وهو الجنة ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] بساتين فيها أنواع الشجرة المثمرة سيما

الأعناب المكثرة ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ [الآية 33] نساء استدارت ثديهن ﴿أَتْرَابًا﴾ [الآية 33] لذات في السن مستويات ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] ملآن طباقاً.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [الآية 35] كلاماً خالياً عن الفائدة ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ [الآية 35] أي تكذيباً، والمعنى لا يكذب بعضهم بعضاً. وقرأ الكسائي بالتخفيف أي كذباً أو مكاذبة لا يكذب بعضهم بعضاً.

وقال الأستاذ: إذ أنهم مصونون عن سماع الأغيار وأبصارهم محفوظة عن ملاحظة الرسوم والآثار. قلت: وألسنتهم معصومة عن الأوزار بل جارية على وفق حالهم من الأسرار.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 36] من عنده بمقتضى وعده ﴿عَطَآءً﴾ [الآية 36] تفضُّلاً ﴿حِسَابًا﴾ [الآية 36] كافياً لأحوالهم أو على حسب أعمالهم.

قال الواسطي: في الدرجات تفاوت في الكرامات فخاطب بعضهم فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] ردهم إلى محل الفوز ولا يكون إلا من كرامة، وخاطب قوماً فقال: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [الآية 36] أي حسبهم من العطاء حصول المعطى ومن الكرامة مشاهدة الكرم.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 37] بدل من ربّك على قراءة الشامي والكوفيين ورفعه الحرميان وأبو عمرو على الابتداء، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 37] صفة له رفعه وحده حمزة والكسائي على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [الآية 37] والمعنى لا يملك الخلق خطاب الحق بالاعتراض عليه في ثواب أو عقاب لأنهم مملوكون له على الإطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضاً من كل باب وذلك لا ينافي الشفاعة بإذنه لمن أتى بقول صواب كما يدل عليه قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [الآية 38] أي صافين ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [الآية 38] والروح ملك موكل على الأرواح أو جبريل.

قال الواسطي: علامة المأذون في الكلام صواب قوله وصدق فعله.

وأفاد الأستاذ: أنه كيف يكون للمكوّن المخلوق المسكين مكنة أن

يملك منه خطاباً أو يتنفس بدونه نفساً سؤالاً وجواباً وإنما يظهر الهيبة على العموم لأهل الجمع في ذلك اليوم وأما الخواص من القوم فهم أبداً بمشهد الغرّة ونعت الهيبة الأنفس لهم ولا فرجة أحاط بهم سرادقها واستولت عليهم حقائقها.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 39] الكائن على وفق الصدق،.

384/ أ قال الأستاذ: وهم بشهد الحق والحكم عليهم الحق وحكمه عليهم/ بالحق فمحجوب عن الحق ومجذوب بالحق للحق ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 39] إلى ثوابه أو قربه ﴿مَـَٔابًا﴾ [الآية 39] مرجعاً بالإيمان وأنواع الإحسان.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [الآية 40] يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فإن كان ما هو آت قريب مع أن مبدأه الموت وقد قيل: كل امرىء مصبح بأجله، والموت أدنى من شراك نعله.

قال الأستاذ: عند أهل الغفلة بعيد وهو في التحقيق قريب ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الآية 40] يرى ما قدَّمه من خير أو شر وما موصوله مفعول ينظر ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [الآية 40] في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف بأمور العقبى.

وفي الحديث: يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء وإذا فرغ من الحكم قال لها كوني تراباً فعند ذلك يتمنى الكافر أن يصير تراباً[1]. وقيل: المراد من الكافر إبليس يرى آدم وأولاده وثوابهم ويشاهد حال نفسه ومآله وأشياعه وأتباعه وعقابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: الآية 12].

وقال الأستاذ: مضوا في ذلك الاختيار والتمني وبعثوا في حسرة التمني ولو إنهم رضوا بالتقدير لتخلصوا عن التمني وتحرروا عن التعنّي.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 619) رقم (8716).



سورة النازعات

[مكيّة]

وهي خمس وأربعون آية(1)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم عزيز لرب عزيز، سماعه يحتاج إلى سمع عزيز وذكره يحتاج إلى وقت عزيز، وفهمه يحتاج إلى قلب عزيز.

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ [الآيات 1-5] هذه صفات ملائكة الموت فإنهم ينزعون أرواح الكفار إغراقاً في النزع بأنهم ينزعونها من أقاصي أبدانها ويخرجون أرواح الأبرار بوفق ونشاط لها ويسبحون في إخراجها سبح الغوّاص الذي يخرج الشيء من أعماق البحر فيسبقون بأرواح الكفار إلى دار البوار وبأرواح الأبرار إلى دار القرار فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن يهيّؤها لإدراك ما أعدّ لها من آلامها وإكرامها أو صفات النفوس الفاضلة حال سلوكها فإنها تنزع عن الشهوات وتنشط إلى عالم القدسيات فتسبح في مراتب الترقيات فتسبق إلى الكمالات حتى تصير من المكملات. وجواب القسم محذوف لدلالة ما بعده عليه، والتقدير التقوى من السآمة وأبعد الأستاذ حيث أفاد: إن جواب القسم قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: الآية 26].

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾﴾ [الآية 6] أي تضطرب الأجرام الساكنة التي تشهد حركتها لقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل: الآية 14] وهي النفخة الأولى.

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [الآية 7] أي النفخة الثانية ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] مضطربة خائفة ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] أبصار/ أصحابها ذليلة 384/ ب

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

خاضعة ﴿يَقُولُونَ﴾ [الآية 10] أي في الدنيا ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ [الآية 10] في الحالة الأولى ويعنون الحياة بعد الممات.

﴿أَءِذَا كُنَّا﴾ [الآية 11] وقرأ نافع وابن عامر والكسائي: إذا كنا ﴿عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ [الآية 11] بالية، وقرأ الحرميان وأبو عمرو والشامي وحفص: نخرة ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] رجعة ذات خسارة والمعنى أنها إن صحت فنحن إذن خاسرون فيها لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم في تجويزها.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] أي لا يستطيعون فما هي إلا صيحة واحدة وهي النفخة الثانية ﴿فَإِذَا هُم﴾ [الآية 14] أحياء ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [الآية 14] على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتاً في بطنها، وقيل بين الأرض المستوية. وقيل أرض يجددها الله يوم القيامة.

وقال الأستاذ: إنها أرض بيضاء من فضة لم يعص الله عليها.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] أليس قد أتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ [الآية 16] أي المطهر المبارك ﴿طُوًى﴾ [الآية 16] اسم الوادي.

وقال سهل: جوَّع نفسه طائعاً تعبُّداً ثم نادى ليكون النداء أبلغ. وقال أبو عثمان: طوى أياماً قبل القصد ثم قصد طاوياً مقدساً وطوى الوادي المقدس فناداه ربه بالتقديس ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] أي ترك سبيل الهدى واختار طريق الردى، أو تكبَّر على الخلق وتجبّر بدعوى أنه الحق.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ﴾ [الآية 18] ميل ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [الآية 18] تتطهر من الكفر والطغيان وتتحلى بالإيمان والإحسان، وقرأ الحرميان بالتشديد.

قال الأستاذ: وفي التفسير: لو قلت لا إلٰه إلا الله فلك ملكك ولا يزول شبابك وتعيش أربعمائة أخرى في السرور والنعمة ثم لك الجنة في الآخرة.

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 19] إلى معرفته ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ [الآية 19] بأداء الواجبات وانتهاء المحرمات إذ الخشية إنما تكون بعد المعرفة.

وقال محمد بن علي الترمذي: الخشية ميزان صحة الهداية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أظهر كل هذا التلطف وفي خفي سرّه وواجب مكره به أنه صرف قلبه عن إرادة هذه الأشياء وإيثار مراده على مراد ربه وألقى في قلبه الامتناع وترك قبول النصح أي قلب يسمع هذا الخطاب فلا ينقطع لعذوبة هذا اللفظ ولطافة هذا الأمر وأيّ كبد يعرف هذا فلا ينشق لصعوبة هذا المكر.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠﴾ [الآية 20] وهي قلب العصا حية تسعى.

وقال الأستاذ: جاء في التفسير هي إخراج يده بيضاء لها شعاع الشمس فقال فرعون: حتى أشاور هامان فقال له هامان: بعدما كنت ربّاً تكون مربوباً وبعدما كنت ملكاً تكون مملوكاً ﴿فَكَذَّبَ﴾ [الآية 21] موسى ﴿وَعَصَىٰ﴾ [الآية 21] ربّه وطغى ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ [الآية 22] عن الطاعة ﴿يَسْعَىٰ﴾ [الآية 22] ساعياً في إبطال أمر موسى.

﴿فَحَشَرَ﴾ [الآية 23] جميع جنوده ﴿فَنَادَىٰ﴾ [الآية 23] بأعلى صوته في مجمعه ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ [الآية 24] أي أعلى كل مَن يلي أمركم ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾ [الآية 25] أخذاً منكّلاً لمن رآه / أو سمعه في العقبى 385/ أ بالإحراق وفي الدنيا بالإغراق أو عاقبه نكال كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الأولى وهي قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القَصَص: الآية 38].

وأفاد الأستاذ: أن إبليس لما سمع هذا الخطاب فر من الباب وقال: أنا لا أطيق هذا العقاب. ويقال قال إبليس: أنا ادعيت الخيرية على آدم فلقيت ما لقيت من البلاء فكيف هذا يقول ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. ويقال: إنه يجعل في الآخرة مغلولاً على تلّ ينادى عليه ويقال: هذا الذي قال ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾ [الآية 26] لمن كان من شأنه الخشية ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ [الآية 27] أصعب خلقاً في زعمكم ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [الآية 27] ثم بيَّن كيف خلقها فقال: ﴿بَنَىٰهَا﴾ [الآية 27] ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ [الآية 28] أي جعل مقدار

ارتفاعها من الأرض رفيعاً ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ [الآية 28] جعلها مستوية متناسبة ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ [الآية 29] ظلمة وإنما أضاف إليها لأنه يحدث بحركة شمسها ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [الآية 29] أبرز ضوء شمسها كقوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشمس: الآية 1] يريد نهارها.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾ [الآية 30] بسطها ومهّدها لسكناها ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا﴾ [الآية 31] بتفجير عيونها ﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾ [الآية 31] أي رعيها وهو في الأصل لموضع الرعي، والمراد بنائها بذكر المحل وإرادة الحال مجازاً.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾ [الآية 32] أثبتها ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾ [الآية 33] تمتيعاً لكم ولمواشيكم ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ [الآية 34] الداهية التي تطمّ أي تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي هي أكبر الطامات وهي القيامة أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥﴾ [الآية 35] بأن يراه مدوّناً في الصحيفة وكان قد نسيها من فرط الغفلة أو طول المدة ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦﴾ [الآية 36] أُظهِرَت لكل راءٍ بلا خفاء ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧﴾ [الآية 37] حتى كفر وتعدّى وادّعى الصفة العليا ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨﴾ [الآية 38] فانهمك فيها ورضي بها ولم يستعد بعبادة المولى وتهذيب النفس للعقبى ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩﴾ [الآية 39] مأواه ومستقره ومثواه.

قال أبو عثمان: الطغيان الإعراض عن العقبى والإقبال على الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 40] مقامه بين يديّ ربّ العباد لعلمه بالمبدأ والمعاد.

وأفاد الأستاذ: أن المراد إقبال الله عليه وإنه راءٍ له وهذا عين المراقبة والآخر محل المحاسبة ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [الآية 40] لم يتبع هواها ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [الآية 41] ليس له مأوى سواها.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢﴾ [الآية 42] متى إرساؤها أي إقامتها

وإثباتها أو مستقرها ومنتهاها ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ [الآية 43] أي في أي شيء أنت من أن تذكر لهم وقتها إذ وقتها مما استأثر الله تعالى بعلمه ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ [الآية 44] أي منتهى علمها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ [الآية 45] أي يخاف أهوالها وهؤلاء لا يؤمنون بأحوالها ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ [الآية 46]/ 385/ ب في الدنيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [الآية 46] أي عشية يوم أو ضحاه كقوله: إلا ساعة من نهار، ولذا أضاف الضحى إلى العشية لأنهما من يوم واحد في تشبيه القضية.



سورة عبس

[مكيّة]

وهي إحدى وأربعون آية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم كريم بسط للمؤمنين بساط جوده، اسم عزيز انسدّ على الأولين والآخرين طريق وجوده أنى بالوجود ولا حدّ له، وأنى بالوصول ولا نحو له، من الذي يدركه بالزمان خلقه أو يحسبه في المكان والمكان فعله، ومن الذي يعرفه إلا وبه يعرفه أو من الذي يذكره إلا وبه يذكره.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن﴾ [الآية 1،2] أي لأجل ﴿جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ [الآية 2] روي أن ابن أم مكتوم رضي الله عنه أتى رسول الله ﷺ وعنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يتبعهم سائر الأنام فقال: يا رسول الله اقرئني وعلّمني مما علّمك الله وكرّر له ذلك ولم يعلم تشاغله بما هنالك، فكره عليه السلام قطعه للكلام وعبس جبينه وأعرض عنه فنزلت، فكان رسول الله ﷺ يكرّمه ويقول إذا رآه: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين[2].

وروي أنه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني أبداً. وذكر الأعمى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام سيد الأنام والدلالة على أنه أحق بالرفق والرأفة.

وأفاد الأستاذ: أن في الكلام لطفاً في المرام حيث لم يواجهه بالخطاب

(1) كذا في الأصل المخطوط.

(2) تفسير القرطبي (19/ 213)، وتفسير البغوي (8/ 332)، والكشاف (7/ 233).

ولم يقل عبست وتوليت بل قال بضمير الغائب ثم بعده قال على طريق الالتفات: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [الآية 3] أي وأي شيء يجعلك دارياً بمقامه لعله يتطهر من آثامه بما يتلقن منك وفق مرامه وفيه إيماء بأن إعراضه كان لتزكية لا لعماه ولا لفقره ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ [الآية 4] يتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ [الآية 4] موعظتك. وقرأ عاصم بالنصب جواباً للعل كالتمني.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الآية 5] أي بماله أو استغنى عن الله بزعمه في حاله ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾﴾ [الآية 6] أصله تتصدى أي تتعرض له بالإقبال عليه والالتفات إليه. وقرأ الحرميان بالإدغام ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾﴾ [الآية 7] أي ليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام حتى يحملك الحرص على إسلامه إلى الإعراض عمن أسلم في مقامه إن عليك إلا البلاغ.

قال أبو عثمان: أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بمجالسة الفقراء ونهاه عن صحبة الأغنياء بقوله: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾﴾ [الآيتان 5،6].

وقال الواسطي في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾﴾ [الآية 7] فيه استهانة بمن أعرض عنه وتولى.

وقال جعفر الصادق: لم تكرم بالإقبال عليه من لم يكرمه الله بالهداية إليه ولم يزيغه بالمعرفة بما لديه.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] يسرع طالباً للخير وزيادة الهدى ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] الله تعالى أو أذية أعدائه سبحانه في / إتيانك أو كبوة الطريق 386/ أ لأنه أعمى لا فائدة له ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] تتشاغل وفي ذكر التصدي والتلهي إشعار بأن العتاب على اهتمام قلب بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي ذلك له ﴿كَلَّآ﴾ [الآية 11] ردع عن معاودة نحوه ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [الآية 11] موعظة بليغة ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] حفظه أو اتعظ والضمير أن العتاب المذكور أو للقرآن وتأنيث الأول خبره.

قال ابن عطاء: موعظة مباركة فمن شاء الله التوفيق له قبله.

وأفاد الأستاذ: من شاء الله أن يذكره ذكره ومن شاء الله أن لا يذكره أي بذلك جري قضاياه أن يكون ما شاء الله، ويقال: بل هو على جهة التهديد ومعناه فمن أراد أن يذكره فليذكره ومن أراد أن لا يذكره فلا يذكره كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: الآية 29].

﴿فِي صُحُفٍ﴾ [الآية 13] أي هو مثبت في صحائف ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ [الآية 13] عند الله تعالى ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الآية 14] في السماء أو مرفوعة القدر والبهاء ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ [الآية 14] منزّهة عن أيدي الشياطين وأهل الأغواء ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥﴾ [الآية 15] كتبة من الملائكة أو الأنبياء ينتسخون الكتب من اللوح أو الوحي ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [الآية 16] أعزاء أتقياء.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧﴾ [الآية 17] دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجب من إفراطه في الكفران بأنواع التنعمات، والمعنى لعن ما أعظم كفره وما أقل شكره.

قال ابن عطاء: منع الإنسان على طريق الخيرات لجهله بطلب رشده المهمات.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨﴾ [الآية 18] بيان لما أنعم عليه خصوصاً من مبدأ ما أحدثه ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩﴾ [الآية 19] أطوار إلى أن تمَّ خلقه ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ [الآية 20] ثم سهل مخرجه من بطن أمه بأن فتح فوهة الرحم وألهمه أن ينكس لنزوله، والمعنى ذلّل له سبيل الخير والشر، وفيه إشعار بأن الدنيا طريق العقبى وممرها ومعبرها ولذا عقبه بقوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١﴾ [الآية 21] أي جعله ذا قبر لئلا تفترسه السّباع والطيور ولا يفتضح بتغير الأمور.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢﴾ [الآية 22] أي أحياه وبعثه من قبره لحشره ونشره ﴿كَلَّا﴾ [الآية 23] ردع للإنسان عما هو عليه من شدة كفره وقلة شكره ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [الآية 23] بأسره إذ لا يخلو أحد من تقصير ما في أمره.

وقال الأستاذ: ولم يقض الله له ما أمره به ولذا عصاه.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤﴾ [الآية 24] اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥﴾ [الآية 25] استئناف مبين لكيفية إحداث الطعام لسائر الأنام. وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦﴾ [الآية 26] أي بالنبات ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧﴾ [الآية 27] كالحنطة والشعير ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨﴾ [الآية 28] يعني الرطبة لأنها تقضب مرة بعد أخرى أي تقطع ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠﴾ [الآيتان 29، 30] جمع غلبى أي عظاماً، وصف به الحدائق لتكاثف أشجارها وكثرة أثمارها ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢﴾ [الآيتان 31، 32] فإن الأنواع المذكورة بعضها طعام أنام / وبعضها علف أنعام. 386/ ب

وفي «تفسير السلمي»: صب ماء معانيه على قلوب أهل معاملته فانشق منها معرفة ووجداً وعلماً وحلماً ثم أنبت فيها محبة وهيبة وحكمة وفهماً.

وأفاد الأستاذ: أن في لسان الإشارة صببنا ماء الرحمة على القلوب القاسية فكانت للتوبة وصببنا ماء المعرفة على القلوب الصافية فنبت فيها أزهار التوحيد وأثمار التجريد.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣﴾ [الآية 33] أي القيامة بالنفخة الثانية وصفت بها مجازاً لأن الناس يصخُّون لها أي يصفون إليها وقيل الصاخة صيحة تصم لشدّتها.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾ [الآيات 34-36] لاشتغاله بشأنه وعلمه بأنهم لا ينفعونه في زمانه ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [الآية 37] يكفيه في الاهتمام بما فيه، وقرىء يعنيه أي يهمّه ويدنيه. قال عبد الله بن طاهر الأبهري: يفر منهم إذ ظهر له عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف كربتهم ولو ظهر له في الدنيا هذا المعنى لما اعتمد سوى ربه المولى.

وقال الأستاذ: أي لا يتفرع هذا إلى ذلك إلى هذا كذلك. قالوا: الاستقامة أن يشهد الوقت كالقيامة فما من ولي وعارف إلا وهو اليوم بقلبه يفر من أخيه وأمه وأبيه وبنيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً لأن ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [الآية 37] فالعارف مع الخلق بقالبه ولكنه

يفارقهم بقلبه. قالوا:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدّثي وأبحت جسمي مَن أراد جلوسي[1]

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الآيتان 38،39] منبسطة ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ [الآية 39] فرحة لما ترى من أنواع النعمة وأصناف المنة.

وقال ابن عطاء: كشف عنها ستور الغفلة فضحكت بالدنو من الحق وقربته واستبشرت بمشاهدته ورؤيته.

وأفاد الأستاذ: إن سبب استبشارهم مختلف، فمنهم مَن استبشاره لوصوله إلى جنته، ومنهم لوصوله إلى حور العين وشهوته، ومنهم لنظره إلى ربّه ورؤيته من غير حجب غرته.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية 40] غبار وكدرة ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ [الآية 41] يغشاها سواد وظلمة ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [الآية 42] أي الذين جمعوا بين الكفر والفجور ولذا جمع إلى سواد وجوههم الغبرة.

قال السري: ظاهر عليها حزن العبد عن الحضرة لأنها صارت محجوبة به وعن الباب مطرودة.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (8/ 41).



[مكيّة]
وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة أثلجت[1] من قوم قلوباً وأوهجت من آخرين، قلوباً من المطيعين أثلجتها ومن العاصين أوهجتها، أزعجت من قوم قلوباً أي أحزنت منهم وأبهجت من قوم قلوباً، فمن المريدين أبهجتها ومن العارفين أزعجتها.

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [الآية 1] لُفَّ ضوؤها فزال نورها وذهب ظهورها ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [الآية 2] سقطت على الأرض وانتشرت ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ [الآية 3] / أزيلت عن مقارها وانبثت ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ [الآية 4] النوق 387/ أ اللاتي أتى على حملهن عشرة أشهر جمع عُشَرَاء وهي أعزّ أموال العرب من الأغنياء ﴿عُطِّلَتْ﴾ [الآية 4] تركت وأهملت.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [الآية 5] جميعها حتى الذباب كما قال قتادة حشرت تجمّعت وبُعِثَت للقصاص ثم أُميتت.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [الآية 6] أوقدت، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ [الآية 7] أي قرنت الأرواح بالأشباح أو كل من

---

(1) أي بردت.

الأشخاص بشكله من أهل خيره وشره أو نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ [الآية 8] المدفونة حية على عادة الجاهلية من وأد بناتهن مخافة حاجاتهن ومراعاتهن ﴿سُئِلَتْ﴾ [الآية 8] تبكيتاً لوائدها وتوبيخاً لدافنها ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [الآية 9] حكاية بالمعنى وإلا فقتلت رعاية للمبنى.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾ [الآية 10] أي صحف الأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾ [الآية 10] بسطت بعدما طويت أو بين أصحابها فرِّقت، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١﴾ [الآية 11] نزعت وقلعت ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾ [الآية 12] أُوقِدَت، وقرأ نافع وابن ذكوان وحفص بالتشديد ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [الآية 13] أي قربت للمؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 90].

وقال القاسم: زخرفت بسور اللقاء وحسن الجوار ومواصلة العطاء ورضا المولى على وجه البقاء.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [الآية 14] أي كل نفس ﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [الآية 14] من خيرها وشرها والجملة جواب إذ والمعنى أن هذه الأشياء تحصل عند قيام القيامة.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥﴾ [الآية 15] بالكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر وهي ما سوى النيرين من السيارات السبعة ولذا وصفها بقوله ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ [الآية 16] أي السائرات التي تختفي تحت ضوء الشمس ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧﴾ [الآية 17] أقبل أو أدبر ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [الآية 18] أي أضاء وأسفر، عبر به عن إقبال روح ونسيم ظهر أقسم بهذه الأشياء، وجوابه قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 19] أي القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 19] يعني به جبريل عليه السلام لأنه قاله عن كلام الملك العلَّام ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ [الآية 20] كقوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: الآية 5] وبلغ من قوته أنه قلع قرى قوم لوط وقلبها ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [الآية 20] عند الله

صاحب مكانة ﴿مُّطَاعٍ﴾ [الآية 21] بين الملائكة ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [الآية 21] على وحي الرسالة، وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] كما تتهمه الكفرة لأن المجانين أصحابهم الجن لا الملائكة ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ [الآية 23] أي رأى رسول الله جبريل الأمين ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الآية 23] بمطلع الشمس الأعلى في ليلة الإسراء ولقد رآه مرة أخرى عند سدرة المنتهى ﴿وَمَا هُوَ﴾ [الآية 24] أي محمد ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 24] على ما يخبره من الوحي إليه وغيره من ظهور الغيوب لديه ﴿بِضَنِينٍ﴾ [الآية 24] بمتهم من الظنة وهي التهمة. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بضنين من الضنّ وهو البخل أي لا يبخل بالتبليغ والتعليم.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] يسترق السمع ويلقي إلى الكهنة ويضم إليه بأنه كذبة ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة: أين تذهب وقد ظهر المذهب. وفي الكلام إشارة/ إلى أنه تبين آثار الحق وظهر أنوار الوجود المطلق فأين الذهاب 387/ب وأين الأياب لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ففروا إلى الله عما سواه.

وقال الواسطي: الخلق كلهم مقبوضون تحت رقّ الملك محجوبون بعزَّة الملك عن قوله ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] وهو الذي يطمس الرسوم ويعمي الفهوم ويترك الأجسام صفاً صفاً قائماً صفصفاً لا يلحقه العبارة ولا يدركه الإشارة فإن الكون أقل خطراً وأضعف أثراً من أن يكون له سبيل إلى تحقيق العبارة أو طريق إلى تدقيق الإشارة ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] من ضعف إلى ضعف، ارجعوا إلى فسحة الربوبية ليستقر بكم قرار العبودية.

وقال جنيد: معنى الآية مقرون إلى آية أخرى وهي قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: الآية 21] فأين تذهبون، فمن طلب مالنا لا يجده عند غيرنا ومن طلبنا أسقطنا عنه تعب الطلب وكفاله أي عين المقصود والمطلب.

وقال الأستاذ: كيف تطوّحتم في أودية الظنون، كيف تذهبون عن شهود

مواضع الحقيقة ومنازل الطريقة، وهلّا رجعتم إلى مولاكم فيما سرّكم أو ساءكم.

﴿إِنْ هُوَ﴾ [الآية 27] ما هذا القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الآية 27] تذكير لذوي العقول منهم أو شرف لهم لظهور النور فيهم ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨)﴾ [الآية 28] أي يتحرى الحق وملازمة الدين القويم وإبداله من العالمين لكونهم المنتفعين بالتذكير المبين.

قال سهل: لمن شاء منكم أن يستقيم على الطريق بالإيمان والتصديق ولا يصح لكم تلك المشيئة والاستقامة إلا بأن يشاء الله لكم ذلك على وجه الكرامة.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ [الآية 29] أي الاستقامة يا من يشاءها ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الآية 29] أن تشاؤوا أي إلّا وقت أن يشاء مُشيئكم فله الفضل والمنة عليكم في استقامتكم ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 29] مالك الخلق أجمعين.

قال الواسطي: أظهر عجزك في جميع صفاتك فلا تشاء إلا بمشيئته ولا تعمل إلا بقوته ولا تطيع إلا بفضله وإحسانه ولا تعص إلا بعدله وخذلانه فماذا تبقى لك من عملك وبماذا تعجز من أفعالك وليس شيء إليك من فعلك.



سورة الانفطار

[مكيّة]
وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة ليس يسمو إلى فهم كل خاطر فخاطر غيرها عن علم الحقيقة متقاطر.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ [الآية 1] أي انشقت ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الآية 2] تساقطت وتناثرت ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ [الآية 3] فتح بعضها إلى بعض فصار الكل بحراً واحداً ثم سجرت ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ [الآية 4] قُلِبَ ترابها وأُخرج موتاها وبُعثت ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [الآية 5] أي كل نفس ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ [الآية 5] من حسنة ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ [الآية 5] من سيئة.

قال أبو عثمان: ما قدمت من خير وأخّرت من شرّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الآية 6]/ أي أيَّ شيء خدعك 388/أ وجرّأك على عصيانه، وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فإن محض الكرم لا يقتضي تسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف إذا انضم إليه صفة المنتقم والقهار وللإشعار بما يغرّه به الشيطان الرجيم فإنه يقول له: افعل ما شئت فربك الكريم. وللدلالة على أن كثرة كرمه تقتضي الجد في طاعته لا الانهماك في معصيته.

وقال جعفر الصادق: ما الذي أقعدك عن خدمة مولاك. وقال عمر بن الخطاب: لو قيل لي ما غرّك بي لقلت جهلي بك غرّني، كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سأله وفي نفس السؤال كان لقّنه الجواب حتى يقول غرّني كرمك ولولا كرمك ما فعلت لأنك رأيت فسترت وقدّرت فأمهلت. ويقال: إن المؤمن وثق بحسن إفضاله واغترّ بطول إمهاله فلم يرتكب الزلّة لاستحلاله ولكن طول حلمه عنه حمله على إصراره على سوء خصاله كما قلت لقوله: مولاي أما تستحي مما أرى من سوء أفعالك، فقلت: يا مولاي رفقاً فقد أفسدني كثير إفضالك، قلت: لو قال أجداني بدل أفسدني لكان أصلح مبنى ومعنى.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ [الآية 7] أوجدك من العدم بمحض الكرم ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ [الآية 7] فجعل أعضاءك مستوية في مواضعها مستقيمة لمنافعها ﴿فَعَدَلَكَ﴾ [الآية 7] جعل بُنيتك معتدلة الأجزاء متناسبة الأعضاء. وقرأ الكوفيون: فعدلك، بالتخفيف أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت باعتبار أجزائك.

قال جنيد: تسوية الخلق بالمعرفة وتعديلها بالإيمان يعني بإظهار الطاعة. وقال ذو النون: خلقك فسواك أوجدك فسخّر لك المكونات ولم يسخّرك لشيء من الممكنات.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] أي ركبك في أي صورة شاءها وما مزيدة لاستغراق معناها.

قال الواسطي: أي في صورة المطيعين أو العاصين، فمن ركّبه على صورة الولاية ليس كمن صوّره على صورة العداوة.

وقال الأستاذ: في أي صورة من الحسن والقبح والطول والقصر، ويصح أن تكون الصورة هنا بمعنى الصفة، وفي بمعنى على، فيكون المعنى على أي صفة ما شاء ركّبك من السعادة والشقاوة والطاعة والمعصية.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 9] ردع عن الاغترار بكرم الغفار ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الآية 9] أي دين الإسلام أو جزاء يوم القيامة ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾

يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الآيات 10-12].

قال أبو عثمان: مَن لم يزجره عن مخالفة الله مراقبة الله إياه ونظره إليه ومحافظته عليه كيف يردعه الكرام الكاتبون لديه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خوّفهم بعلم الملائكة وكتابتهم أعمال الخلق لتقاصر حشمتهم من اطّلاع الحق ولو علموا ذلك حق علمهم لكان توقّيهم المخالفة لرؤيته واستحياء من اطّلاعه ثم من رؤية الملائكة.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ/ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] وهم المؤمنون اليوم في نعمة العصمة 388/ ب وغداً في نعمة الكرامة وسعته ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ﴾ [الآية 14] وهم الكفار ﴿لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الآية 14] اليوم جهنم باستحقاق اللعنة والإصرار على الشرك الموجب للفرقة وغداً في نار الحرقة على وجه التخليد والتأبيد. ويقال: إن الأبرار لفي نعيم الرضا وروح الذكر والثناء وسر الإنس والبهاء، وإن الفجار لفي ضيق قلبهم وسخطهم على التقدير وضيق اختيارهم وظلمات التدبير، كذا في تفسير الأستاذ.

وقال جعفر الصادق: النعيم المعرفة والمشاهدة والجحيم هي النفس والمجاهدة فإن لها النيران الموقدة. وقيل: القناعة هي النعيم والطمع هو الجحيم.

وقال محمد بن الفضل: إن الأبرار لفي نعيم بذكر مولاهم وإن الفجار لفي جحيم بتقلُّبهم في متابعة هواهم.

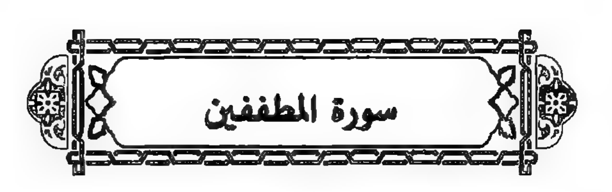
﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾ [الآية 15] يدخلون نارها ويقاسون حرها ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الآية 15] وقت جزائهم بها ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] لخلودهم فيها. وقيل: وما يغيبون عنها قبل ذلك إذ كانوا يباشرون أسبابها هنالك.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ [الآيتان 17، 18] تفخيم لأحواله وتعجيب لأهواله أي أعجب بدار لا يدرك كنه أمره دار ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الآية 19] من النفع والدفع استقلالاً ﴿وَٱلۡأَمۡرُ

﴿يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الآية 19] تقرير لشدة هوله وفخامة أمره إجمالاً. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ويوم بالرفع على البدل من يوم الدين أو الخبر للمبتدأ المقدر.

قال الواسطي: الأمر اليوم ويومئذ لله ولم يزل ولا يزال لله ولكن الغيوب بحقيقتها ما لا يشاهد الأكابر من الأولياء، وهذا الخطاب للعام فإنهم إذا شاهدوا الغيب تيقنوا أن الأمر كله لله فأما أهل المعرفة فمشاهدتهم للأمر اليوم كمشاهدتهم يومئذ لا يزيدهم مشاهدة الغيب تحقيقاً وعياناً على مشاهدتهم له وتصديقاً وبرهاناً كعامر بن عبد قيس حيث قال: لو كُشِفَ الغطاء ما ازددت يقيناً، وكحارثة أخبر بحضرة النبي ﷺ بقوله كأني أنظرهُ.

وأفاد الأستاذ: أن الأمر لله يومئذ وقبله وبعده ولكن ينقطع الدعاوى ذلك اليوم ويتضح الأمر على عموم القوم، وتصير المعارف ضرورية.



سورة المطففين

[مكيّة]
وهي ست وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم جليل جلاله لا بأشكال وجماله لا على احتذاء ومثال، وأفعاله لا بأعراض وأعلال، وقدرته لا بجلادة واحتيال، وعلمه لا بضرورة واستدلال، فهو الذي لم يزل ولا يزال ولا يجوز عليه الفناء والزوال.

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝﴾ [الآية 1] أي نكال عظيم ووبال جسيم للباخسين المنقصين ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا﴾ [الآية 2] حقوقهم ﴿عَلَى النَّاسِ/ يَسْتَوْفُونَ ۝﴾ [الآية 2] 389/ أ يأخذونها وافية أي منهم، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ [الآية 3] أي كالوا أو وزنوا للناس ﴿يُخْسِرُونَ﴾ [الآية 3] أي ينقصون من حقوقهم.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝﴾ [الآية 4] فإن مَن ظنَّ ذلك لم يجترىء على مثل هذه التباريح فكيف من يتيقنه وعلم أنه يحصل به الفضائح وفيه إنكار لحسن مآلهم وتعجيب من قبح فِعالهم.

قال حمدون القصار: إذا أخذت الميزان بيدك فاذكر ميزان القسط عندك. وقيل: التطفيف لمن يبصر عيوب أخيه ويعمى عن عيوبه.

وقال أبو عثمان: حقيقة معنى هذه الآية ـ والله أعلم ـ عندي هو من أحسن العبادة على رؤية الملأ ونسي ذلك إذا خلا، قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾ [الآية 4] أي أنهم لا بد لهم من محاسبة أحوالهم والرجوع إليَّ بأعمالهم.

وقال أبو حفص: من علم أنه مبعوث ومُحاسب ثم لا يجتنب الذنوب والمعاصي والمخالفات أجمع فقد أخبر عن سرّه أنه غير مؤمن بالبعث والحساب.

وأفاد الأستاذ: أن المطفف الذي يُنقص الكيل والوزن وأراد بهم الذين عاملوا الناس فإذا أخذوا لأنفسهم استوفوا وإذا دفعوا إلى مَن يعاملهم نقصوا ذلك في الوزن والكيل وفي إظهار العيب وإخفائه وفي القضاء والأداء والاقتضاء بمنزلة. ويقال: مَن لم يرض لأخيه المسلم ما يرضاه لنفسه فليس بمنصف، يعني بل هو مطفف وكذا في المعاشرة والصحبة ورؤية العيب من هذه الجملة وتبصر في العين متى القضاء وفي عينك الخدع لا تبصر والفتى من يقضي حقوق الناس ولا يقتضي من أحد لنفسه حقاً.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾ [الآية 5] ألا يستيقنون أنهم غداً يُحاسبون وبحقوق الناس يُطَالَبُون. ويقال: مَن لم يذكر في حال المعاملة معاينة يوم القيامة فهو في الخسارة والندامة ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥﴾ [الآية 5] أي حساب زمان هوله عظيم.

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية 6] نصب بمبعوثون أو بأعني ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 6] لحكمه عليهم أجمعين.

وأفاد الأستاذ: أن من كان صاحب مراقبة استشعر الهيبة في عاجله كما يكون حال الناس في المحشر حال آجله لأن اطلاع الحق اليوم اطلاعه يومئذ.

﴿كَلَّآ﴾ [الآية 7] حقاً ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾ [الآية 7] ما يكتب من أعمالهم ﴿لَفِي سِجِّينٖ﴾ [الآية 7] كتاب جامعٍ لأعمال الفجرة من الثقلين كما قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ

مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ [الآيتان 8، 9] أي مسطور بين الكيان معلوم فعيل من السجن لقب به الكتاب لأنه مطروح تحت الأرضين.

وقال الأستاذ: أي مكتوب كتب الله فيه ما هم عالمون وإليه صائرون وإنما المكتوب على بني آدم في الخير والشر والسعادة والشقاوة على ما تعلق به الخبر من قوله وإنما أخبر على الوجه الذي علم أنه/ يكون أو لا يكون 389/ ب أراد أن يكون أو لا يكون ثم إنه لم يطلع سبحانه على أسرار خلقه إلا من شاء من المقرّبين بالقدر الذي أراده أن يجري عليهم في دائم أوقاتهم ما سبق لهم به التقدير في جريان حالاتهم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾﴾ [الآيتان 10، 11] صفة موضحة ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ [الآية 12] أي متجاوز عن نظر التأبيد بعيد عن التحقيق للغلو في التقليد حتى استقصر قدرة الله والإرادة واستحال منه البعث والإعادة ﴿أَثِيمٍ﴾ [الآية 12] منهمك في شهوات العادة ومبالغ في الغفلة عن العبادة بحيث شغلته الدنيا عما وراءها وحملته على الإنكار لما عداها.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] أي هي أكاذيب المتقدمين وهذا من فرط جهالته وغاية ضلالته فلا ينفعه شواهد النقل كما لم ينفعه دلائل العقل.

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] رد لما قالوا وبيان أدى بهم إلى ما تفوهوا بأن غلب عليهم حب المعاصي بانهماكهم حتى صار ذلك صداً على قلوبهم فعمي معرفة الحق والباطل عليهم كما ورد أن العبد كلما أذنب ذنباً حصل في قلبه نكتة سوداء حتى اسودّ قلبه والرّين الصّداء الداراني الرّان والقسوة ميراث الغفلة فمن تيقظ وتذكر أمن الرّين والقسوة ودواؤهما إدمان الصيام فإن وجد بعد ذلك قسوة فليترك الإدام.

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] فلا يرونه ومفهوم أنه يراه المؤمنون.

قال القاسم: حجبهم في الدنيا عن مولاهم المعصية وفي الآخرة البدعة انتهى، وفيه كناية للمعتزلة النافية للرؤية.

وقال الأستاذ: كما أنهم اليوم ممنوعون من معرفته فهم غداً ممنوعون عن رؤيته.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] ليدخلون النار ويحرقون بها في دار البوار ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] في دار الدنيا بأن لا حساب ولا عقبى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] في أعلى الأمكنة من سدرة المنتهى أو السماء السابعة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾﴾ [الآيتان 19، 20] فيه أعمالهم مكتوبة ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] بحضرة الملائكة للمحافظة أو يشهدون على ما فيه يوم القيامة. قال أبو سعيد الخراز: للأبرار علامات أن يكون معصوماً عن المخالفات محفوظاً بأداء الطاعات لا يؤذي أحداً من المخلوقات ويعرف نِعَم الله عليه في جميع الأحوال ويرى نقصانه في جميع الأفعال.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] قال الأستاذ: اليوم في روح العرفان وراحة الطاعة والإحسان وإنس الرجاء وبسط الوصلة وغداً في الجنة وما وعدوا من فنون الزلفة والقربة.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الآية 23] أي الأسرّة ﴿يَنظُرُونَ﴾ [الآية 23] إلى ما لهم من أسباب المسرّة..

قال ابن عطاء: على أرائك المعرفة ينظرون إلى المعروف وعلى أرائك القربة ينظرون إلى الرؤوف.

390/ أ وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أثبت النظر ولم يبيِّن/ المنظور إليه لاختلافهم في أحوالهم فمنهم من ينظر إلى قصوره ومنهم إلى حوره ومنهم.... ومنهم .... والخواص على دوام الأوقات إلى ربهم ينظرون.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] بهجة التنعم وثورة وزونقه وسروره.

وقال جعفر الصادق: لذّة النظر تتلألأ مثل الشمس في وجوههم إذا رجعوا من زيارة الله تعالى إلى بيوتهم، وقال بعضهم: يرى في تلك الوجوه إقبال الحق إليها فتنعمت بإقبال المنعم عليها.

وقال الأستاذ: أي من نظر إليه علم أنه أثر نظره إلى مولاه ما يلوح على وجهه، ويقال: إن أحوال المحب شهود عليه أبداً إن كان الوقت وقت غيبة وفراق فالشهود عليه نحوله وذبوله وحنينه وأنينه ودموعه وهجوعه وإن كان الوقت وقت وصال فاختياله ودلاله وسروره وحبوره ونشاطه وانبساطه.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] شراب خالص أو طيب عتيق مختوم ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ [الآية 26] أي مختوم أو ليّنه بالمسك أو الذي له ختام ومقطع هو رائحة المسك. وقرأ الكسائي خاتمة بفتح التاء إلى ما يختم به ويقطع.

وقال الأستاذ: مختوم قبل خصوم ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ [الآية 26] ممنوع عن كل أحد، معدّ مدخر لكل أحد باسمه ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [الآية 26] أي فليرغب الراغبون. قال ذو النون: علامة المتنافس تعلق القلب به وطيران الضمير إليه والحركة عند ذكره والهرب من غيره والإنس بالوحدة والتأسف على ما سلف وتلقي البلاء بالصبر والنعماء بالشكر والتلذُّذ بالعبادات والتملُّق في المناجات.

﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ [الآية 27] أي كل ما يمزج به ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ [الآية 27] عيناً علم لعين بعينها سميت تسميناً لارتفاع مكانها ورفعة شرابها بحسب شأنها.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] فإنهم يشربونها صرفاً لأنهم لم يشتغلوا بغير الله ولم يلتفتوا إلى ما عداه ويمزج بسائر أهل الجنة لامتزاج عباداتهم فضلاً عن عاداتهم بالغفلة وانتصاب عيناً على المدح.

قال الواسطي: يشرب بها المقربون صرفاً على مشاهدة محبوبهم.

وقال الأستاذ: أي من عين تتسنم عليهم من علو. وقيل: ميزاب ينصب عليهم من فوقهم. ويقال: سمي تسنيماً لأن ماءه يجري في الهواء متنسّماً

فينصب في أواني أهل الجنة، فمنهم من يسقى مزجاً، ومنهم من يسقى صرفاً، الأولياء يسقون مزجاً والخواص يسقون صرفاً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ [الآية 29] كرؤوساء المشركين ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ [الآية 29] كانوا في الدنيا يستهزؤون بفقر المؤمنين ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30] يغمز بعضهم بعضاً وبأعينهم يشيرون ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] متلذذين بالسخرية منهم. وقرأ حفص فاكهين أي معجبين.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] عن طريق اليقين ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟/ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 33] على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ [الآية 33] يحفظون عليهم أعمالهم ويظهرون رشدهم وضلالهم ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] حين يرونهم في النار أذلّاء مغلولين ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] حال من يضحكون.

390/ ب

قال القاسم: ينظرون متعجبين إلى أهل الشهوات في الجنة ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ﴾ [الآية 36] أي هل جوّزوا وأثيبوا ﴿مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 36] أي جزاءً وفاقاً لأفعالهم وطباقاً لأحوالهم، والاستفهام للتقرير.

وقال الأستاذ: يعني إذا رأوا أهل النار في النار يعذبون لا تأخذهم بهم رأفة ولا ترقّ قلوبهم رقّة بل يضحكون عليهم ويستهزؤون بهم ويعيّرونهم. قلت: لعل هذا خاص ببعضهم دون غيرهم.



سورة الانشقاق

[مكيّة]

وهي خمس وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز داؤه كبرياؤه وسناؤه علاؤه وبهاؤه جماله وجلاله جماله، المعروف منه لطفه المألوف منه عطفه، كيف ما تمَّ للعبد فالعبد عنده إن أقصاه فالحكم حكمه وإن أدناه فالأمر أمره.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ①﴾ [الآية 1] أي تصدّعت ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ [الآية 2] واستمعت لأمره وانقادت لحكمه ﴿وَحُقَّتۡ﴾ [الآية 2] بالاستماع والانقياد لما أراد، وفي «تفسير السلمي» وردت عليها صفة الهيبة فانشقت وأذنت لربها أطاعت وحق لها ذلك وهو الذي أوجدها هنالك.

﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ③﴾ [الآية 3] بسطت بأن تزال جبالها وتلالها ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا﴾ [الآية 4] ما في جوفها من الكنوز والموتى ﴿وَتَخَلَّتۡ﴾ [الآية 4] وتكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ [الآية 5] في إلقائها وتخليتها ﴿وَحُقَّتۡ﴾ [الآية 5] بانقيادها، وجوابه مقدر نحو: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ⑭﴾ [التكوير: الآية 14].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 6] ساعٍ إلى لقاء جزائه ﴿كَدۡحٗا﴾ [الآية 6] جهداً وجدّاً ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الآية 6] أي فملاقي ربك وكدحك فتلقاه بالخير خيراً وبالشر شراً.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ⑦﴾ [الآية 7] وهو المؤمن المحسن على ما

أفاد الأستاذ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] سهلاً لا يناقش فيه أصلاً ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ [الآية 9] عشيرته المؤمنين أو فرقته المتقين أو أهله في الجنة من الحور العين ﴿مَسْرُورًا﴾ [الآية 9] بأنواع النعمة وأصناف المنة وأعلاها الرؤية.

وقال الأستاذ: حساباً يسيراً يسمعه كلامه سبحانه بلا واسطة فتخفف عليه سماع خطابه ما في الحساب من عتابه ويقال: يقول له ألم أفعل كذا، ألم أفعل كذا، يعدّ عليه أحشاؤه ولا يقل ألم تفعل كذا لا يذكّره عصيانه ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] بالنجاة والدرجات وما وجد من المناجاة وقبول الطاعات وغفران الزلات، ويقال: بأن يشفّعه ربه فيمن / يتعلق به قلبه. 391/أ

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وهو الكافر ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] يتمنى هلاكاً كثيراً ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] يدخل فيها ويحرق بها. وقرأ الحرميان والشامي والكسائي: ويصلى بصيغة المجهول مشدداً كقوله وتصليه جحيم، وقرىء مخففاً كقوله: ونصليه جهنم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ [الآية 13] في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ [الآية 13] بطر بالجاه والمال فارغاً عن أمر الآخرة وحال المآل..

قال ابن عطاء: أي لنفسه متابعاً وفي هواه مسارعاً ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الآية 14] لن يرجع إلى الله تعالى ولن يبعث بعد البلى.

﴿بَلَىٰٓ﴾ [الآية 15] إيجاب لما بعد ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الآية 15] عالماً بأعماله مطلعاً على أحواله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه بما يستحقه.

قال الواسطي: كان به نصيراً حين خلقه ولأي شيء أوجده وما قدّر عليه من السعادة والشقاوة وما كتب عليه من أجله ورزقه وعمله.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] الحمرة التي ترى في أفق المغرب بعد الغروب، وعن أبي حنيفة إنه البياض الذي يليها ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17]

وما جمعه وما ستره ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] اجتمع أمره وتم بدره.

وقال الأستاذ: الشفق عند غروب شموس وصالهم إذا آمنوا بالفراق في بعض أحوالهم وذلك زمان قبض بعد بسط وأوان فرق عقب جمع. ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] ليالي غيبتهم وهم بوصف الاشتياق أو ليالي وصالهم وهم في روح النهار أو ليالي طلبهم وهم بنعت القلق والاحتراق، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ [الآية 18] إذا ظهر سلطان العرفان على القلوب بلا حسن ولا نقصان.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الآية 19] حالاً بعد حال مطابقة لأختها في الشدة وهي الموت ومواطن القيامة. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: لتركبن بالفتح على خطاب الإنسان باعتبار مبناه دون معناه.

وقال الأستاذ: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أي تارات الإنسان طفلاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً، ويقال: طالباً ثم واصلاً ثم متصلاً. ويقال: حالاً بعد حال من الفقر والغنى والصحة والسقم. ويقال: حالاً بعد حال في الآخرة من أنواع النعيم أو أوصاف النقم.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] بيوم القيامة وقد ظهرت الحجة وزالت الشبهة ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] لا يخضعون لمعجزته ولا ينقادون لطاعته أو لا يسجدون لتلاوته لما روي أنه عليه السلام قرأ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق: الآية 19] فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفّق فوق رؤوسهم فنزلت[1].

واحتج به أبو حنيفة/ على وجوب السجود فإنه ذم لمن سمعه ولم يسجد له. وعن أبي هريرة: أنه سجد فيها وقال: والله ما سجدت إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها[2]. 391/ ب

(1) تفسير الرازي (16/ 429)، والكشاف (7/ 262)، وتفسير أبي السعود (9/ 134).
(2) تفسير أبي السعود (9/ 134).

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] أي بالقرآن ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [الآية 23] بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعدوان ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] استهزاء بهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 25] فإنهم ليسوا منهم ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الآية 25] غير مقطوع بل موصول بهم وإن عجزوا عن أعمالهم بقدر من عرض أو مرض أو كبر أو سفر كما ورد في الخبر.



سورة البروج

[مكية]
وهي اثنتان وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم من لا عقل يكتنهه، اسم من لا مثل يشبهه، اسم من لا فهم يرتقي إليه بالتصوير، اسم من لا علم ينتهي إليه بالتقدير، اسم مَن لا قطر يحويه ولا ستر يخفيه، ولا يصل إلى معرفته إلا مَن يرتضيه.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾ [الآية 1] يعني البروج الإثنى عشر، شُبِّهت بقصور العمارات لأنها تنزلها السيارات ويكون فيها الثابتات.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢﴾ [الآية 2] يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾ [الآية 3] أي ومن يحضر في ذلك اليوم من الخلائق على حسب المراتب وما أحضر فيه من الأحوال العجائب والأهوال الغرائب، أو النبي وأمته أو الخالق وخلقه أو عكسه أو يوم عرفة أو يوم النحر وجحيمه أو يوم الجمعة ومجمّعه فإنه يشهد له، أو كل يوم وأهله. فعن الحسن: ما من يوم إلا وينادي أنا يوم جديد وإني على ما تعمل فيَّ شهيد فاغتنمني فليس لي قيمة فلو غابت شمس لم تدركني إلى يوم القيامة.

قال فارس: كلاهما عائد عليه أي هو الناظر والمنظور إليه وهو الشاهد لخلقه والمشاهد لهم بوجود الإيمان وشهود العرفان.

وقال الواسطي: الخلق مشهود دون بما شاهدهم به في الأزل وبظهورهم عليهم العمل والأمل.

وقال أيضاً: الشاهد الحق والمشهود الخلق أعدمهم ثم أوجدهم. وقيل: الشاهد قول العبد والمشهود عليه عمله.

وقال الأستاذ: الشاهد الحجر الأسود لأن فيه كتاب العهد. ويقال: الشاهد الله شهد لنفسه بالوحدانية والمشهود هو لأنه شهد لنفسه بالفردانية. قلت: فهو الشاهد والمشهود والحامد والمحمود.

﴿قُتِلَ﴾ [الآية 4] أي لعن وأُبعد عن مقام الشهود ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [الآية 4] وقيل: إنه جواب القسم على تقدير: لقد قتل.

وأفاد الأستاذ: إنه جواب القسم ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] لكن لا يخفى أنه بعيد ولو في المعنى شديد ثم ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾ [الآية 4] الحفيرة في الأرض إذا كانت مستطيلة، وقد روي مرفوعاً إن ملكاً كان له ساحر فلما كبر ضم إليه غلاماً ليعلِّمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه إليه فرأى في طريقه ذات / يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجراً وقال: اللهمَّ إن كان الراهب أحبَّ إليك من الساحر فاقتلها، فقتلها فكان الغلام بعد يبرىء الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء، وعمي جليس للملك فأبرأه فسأله الملك عمن أبرأه فقال ربي فغضب فعذّبه فدل على الغلام فعذّبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقدّه بالمنشار وأرسل الغلام إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا فأجلسه في سفينته ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهماً من كنانتي وتقول: بسم الله ربّ هذا الغلام، ثم ترميني به، فرماه فوقع في صدغه ومات، فآمن الناس فأمر بأخاديد أوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها.

392/أ

جاءت امرأة معها صبي فتقاعست ـ أي تأخرت ـ فقال الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق، فاقتحمت ـ أي دخلت ـ. وعن علي كرَّم الله وجهه أن بعض الملوك المجوس خطب بالناس وقال: إن الله أحلّ نكاح الأخوات، فلم يقبلوه فأمر بأخاديد النار وطرح فيها من أبَى.

﴿ٱلنَّارِ﴾ [الآية 5] بدل الأخدود وبدل الاشتمال ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ [الآية 5] صفة لها بالعظمة والكثرة، والوقود ما نوقد به من الحطب وغيره ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ [الآية 6] على حافة النار ﴿قُعُودٌ﴾ [الآية 6] قاعدون على طريق النظار ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [الآية 7] تقبيح لسوء أفعالهم وتوبيخ على فظاعة أحوالهم.

﴿وَمَا نَقَمُوا۟﴾ [الآية 8] ما أنكروا ﴿مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 8] استثناء من قبيل قولهم:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهنّ فلول من قِراع الكتائب[1]

ويسمى تأكيد المدح بما تشبه الذم ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ [الآية 8] يخشى عقابه ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ [الآية 8] المنعم يرجى ثوابه ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 9] ظاهراً وباطناً ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية 9] فلا ينبغي أن يعبد سواه ولا يجوز أن يلتفت إلى ما عداه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الآية 10] بلوهم بالأذى وأحوجوهم إلى الشكوى إلى المولى في دفع البلوى من أصحاب الأخدود وغيرهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ [الآية 10] عن فعلهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الآية 10] أي العذاب الزائد في الإحراق لفتنتهم. وقيل: المراد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود بخصوصهم وبعذاب الحريق ما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم واختاره الأستاذ حيث أفاد أن أصحاب الملك كانوا قعوداً حولها فخرجت النار فأحرقتهم أجمعين ونجا الذين كانوا في النار من المؤمنين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 11] أي في أوقات/ الليل والنهار 392/ ب ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الآية 11] أي الفضل الكبير.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ [الآية 12] أي أخذه ﴿لَشَدِيدٌ﴾ [الآية 12] مضاعف عنفه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] أي يبدئ الخلق ويعيده أو يبدئ البطش بالكفرة في

(1) هذا البيت منسوب للحارث بن أبي شمر الغساني. انظر الأنساب للصحاري (1/ 176).

الدنيا ويعيده في العقبى.

قال ابن عطاء: يبدئ بإظهار القدرة فيوجد المعدوم ثم يعيد بإظهار الهيبة فيفقد الموجود. وقال جعفر: يبدئ فيفنى عمن سواه ثم يعيد ببقائه.

وقال الأستاذ: يبدئ على حكم السعادة والشقاوة ثم يعيد عليه في الآخرة أو يبدلهم من الضعف.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ [الآية 14] لمن تاب ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ [الآية 14] المحب لمن آب والمحبوب لمن أناب.

وقال الأستاذ: يغفر لهم كثيراً لأنه يودهم ويودّهم كثيراً لأنهم يودُّونه، يعني كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: الآية 54].

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 15] أي خالقه ومالكه وهو سرير ملكه ومستقر حكمه في ملكه.

قال الواسطي: هو أعلى من أن يكون له فيه أو إليه حاجة تعالى شأنه بل أظهر العرش إظهار القدرة لا مكاناً لذاته، يعني أن الحادث القديم لا يصح أن يكون محل القديم ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ [الآية 15] العظيم في ذاته وصفاته فإنه واجب الوجود تام القدرة وكامل الحكمة في مصنوعاته. وقرأ حمزة والكسائي بالجر على أنه صفة للرب أو للعرش ومجده وعلُّوه وعظمه.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] لا يمتنع عليه المراد من أفعاله وأفعال العباد ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ﴾ [الآيتان 17،18] يعني فرعون وقومه ﴿وَثَمُودَ﴾ [الآية 18] وهما بدل من الجنود ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ [الآية 19] ومعنى الإضراب أن حالهم أعجب من حال هؤلاء فإنهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط.

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] أي بل هذا الذي كذبوا به كتاب

شريف، وفي النظم والمعنى وحيد ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] من تحريف وشديد. وقرأ نافع: محفوظ بالرفع صفة للقرآن قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يُوسُف: الآية 12].

قال سهل: محفوظ في صدر المؤمن محفوظ عليه أن يناله غير أهله لأن أهل القرآن أهل الله وخاصته.

قال الأستاذ: وجاء في التفسير إن اللوح المحفوظ خلق من درة بيضاء ودفّتاه من ياقوتة حمراء وعرضها بين السماء والأرض، وأعلاه يتعلّق بالعرش العظيم وأسفله في حجر ملك كريم، والقرآن الذي هو في اللوح المحفوظ كذلك محفوظ في قلوب المؤمنين قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العَنكبوت: الآية 49] فهو في اللوح مكتوب وفي القلوب محفوظ ومحبوب.



[مكيّة]
وهي سبع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: .اسم عزيز إذا أراد إعزاز عبد وفّقه لعرفانه ثم زيّنه بإحسانه، ثم استخلصه بامتنانه فعصمه عن عصيانه/ وقام بحسن التولي في جميع أحواله لشأنه ثم قبضه على إيمانه ثم بوَّأه في جنانه، ثم أكرمه برضوانه، ثم أكمل نعمته عليه برؤيته وعيانه.

393/ أ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ [الآية 1] الكوكب البادي بالليل ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾ [الآية 2] تفخيم لشأنه وتعظيم لبرهانه ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [الآية 3] المضيء كان يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، وقيل وهو الذي يرمي به الشياطين من الرجوم والمراد به جنس النجوم.

وقال الأستاذ: وهو نجوم المعرفة التي تدل على التوحيد يستضيء بنورها ويهتدي بظهورها أولوا البصائر والسرائر.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ [الآية 4] أي أن الشأن كل نفس لعليها حافظ رقيب لديها ناظر إليها وهو الله سبحانه، فإن هي المخففة واللام الفارقة وما الزائدة. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالتشديد على إنها بمعنى إلا، وإن نافية والجملة جواب القسم.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ [الآية 5] أي فليتأمل في مبدأ خلقته ليعلم صحة إعادته فلا يبدي لحافظه إلا ما يسرّه في عاقبته ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾

[الآية 6] أي ذي دفق وهو صب فيه دفع، والمراد الممتزج من المائين المجتمعين في الرحم لقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾ [الآية 7] بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها وفيه إظهار كمال قدرته وإرادته وأنوار جمال علمه وكامل حكمته ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ﴾ [الآية 8] أي أنه سبحانه على بعثه وخلقه مرة أخرى ﴿لَقَادِرٌ﴾ [الآية 8] لأن القدرة على الشيء تقتضي القدرة على مثله والإعادة في معنى الابتداء.

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩﴾ [الآية 9] يميّز بين ما خبث من الأحوال وما طاب من الضمائر في المال ﴿فَمَا لَهُ﴾ [الآية 10] للإنسان ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الآية 10] منعة في نفسه يمتنع بها ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الآية 10] يمنعه ويدفع عنه ما حكم الله به.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝١١﴾ [الآية 11] أي المطر لأن الله يرجعه وقتاً فوقتاً ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝١٢﴾ [الآية 12] أي الشق بالنبات والأشجار والعيون والأنهار ﴿إِنَّهُ﴾ [الآية 13] أي القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الآية 13] فاصل بين الحق والباطل ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الآية 14] فإنه خير كله ﴿إِنَّهُمْ﴾ [الآية 15] أي كفار مكة ونحوهم ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الآية 15] يحتالون حيلة في إطفاء نوره وإبطال ظهوره ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ [الآية 16] وأقابلهم بكيدي فيهم وأعاملهم باستدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يخطر في ضميرهم ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 17] أي أنظرهم ولا تشتغل بالانتقام منهم أو لا تستعجل بإهلاكهم ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الآية 17] إمهالاً يسيراً، والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين والتسلية.



[مكيّة]

وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز من قصده وجده، ومن استشفعه أحمده، من طلبه عرفه فإذا عرفه لاطفه فإذا وجد لطفه ألفه وأنف أن يخالفه.

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الآية 1] نزِّه اسمه عن الإلحاد فيه بالتأويلات السوأى وعن إطلاقه على غيره زاعماً أنهما فيه على حد سواء. وقيل: نزِّه اسم ربك عن تسبيحك. وقيل: نزِّه لسانك بعد ذكر ربك عن لغو وكذب في قولك.

393/ب وقال / الأستاذ: أي سبِّح ربك بمعرفة أسمائه وأسبح يسيرك في بحار علائه واستخرج من جواهر علوّه وسنائه ما ترصّع به عقد مدحه وسنائه.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ [الآية 2] خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه ومآله ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الآية 3] فوجّه إلى فعاله طبعاً أو اختياراً بخلق أنواع الميل وأصناف الإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات.

وفي «تفسير السلمي»: خلق الخلق فسوّى بينهم في الخلقة وميَّز بينهم باختصاص الهداية فليس لأحد أن يفتخر على أحد بالخلقة إلا بخواص التقوى والهداية كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية 13].

وقال الأستاذ: خلق كل ذي روح فسوّى أجزاءه وركّب أعضاءه على ما

خصّه به من النظم العجيب والبديع من التركيب والذي قدّر أجناس الأشياء وأنواعها وأصنافها وأشخاصها ومقادير ذواتها وصفاتها وأفعالها وآجالها. وقرأ الكسائي بتخفيف الدال من القدر بمعنى التقدير.

قال الواسطي: قدَّر السعادة والشقاوة عليهم ثم يسّر لكل أحد من الطائفتين بمسلوك ما قدَّر عليه.

وقال الأستاذ: قدّر ما خلقه فجعله على مقدار أراده وهدى كل حيوان إلى ما فيه رشده من المنافع وجلبها والمضار ودفعها بحكم الإلهام لتمام الأنام. ويقال: هدى قلوب الغافلين إلى طلب الدنيا فعمّروها وهدى قلوب العارفين إلى طلب العقبى فآثروها، وهدى قلوب الزاهدين إلى فناء الدنيا فرفضوها، وهدى قلوب العلماء إلى النظر في آياته والاستدلال بمصنوعاته فعرفوا تلك الآيات فلازموها، وهدى المريدين إلى عزّ وصفه فآثروه واستفرغوا جهدهم فطلبوه، وهدى العارفين إلى قدس نعته فراقبوه ثم شاهدوه، وهدى الموحدِّين إلى علاء سلطانه في توحُّد كبريائه فتركوا ما سواه وهجروه، وخرجوا عن كل معهود لهم ومألوف حتى قصدوه فلما ارتقوا عن حد البرهان ثم عن حدّ البيان ثم عمَّا كالعيان فعلموا أنه عزيز ووراء كل فصل وصل فرجعوا إلى وطن العجز وتوسّدوه.

﴿وَالَّذِيٓ أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] أنبت ما يرعاه الدواب في المأوى ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ [الآية 5] بعد خضرته ونضرته ﴿غُثَآءً﴾ [الآية 5] يابساً ﴿أَحْوَىٰ﴾ [الآية 5] أسود.

وقال الأستاذ: أي هشيماً كالغثاء الذي فوق السيل.

﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ [الآية 6] على لسان جبريل عليه السلام وسنجعلك قارئاً حافظاً بالإلهام ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الآية 6] أي حتى لا تنسى أصلاً / لقوة الحفظ مع أنك أُمي 394/ أ ليكون ذلك آية أخرى لك مع أن الإخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك أيضاً من الآيات الكبرى.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ﴾ [الآية 7] نسيانه بأن نسخ تلاوته وأخفى شأنه، أو المراد به القلة والندرة لما روي أنه عليه السلام أسقط آية حال قراءته في الصلاة فحسب أبيّ رضي الله عنه أنها نسخت فسأله فقال: نسيتها، ولا يبعد أن يكون الاستثناء للتبرك. وقيل: نهي وألِفه للإطلاق مراعاة للفاصلة أو على لغة من يثبت حرف العلة في المجزوم ويشير إليه قول الجنيد: لا تنس العمل به ﴿اللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الآية 7] أي ما ظهر من أعمالكم وبطن من أحوالكم أو إظهار القراءة وإسرارها. وقال محمد بن حامد: إعلان الصدقة وإخفاؤها.

وقال الأستاذ: أي السر والعلانية.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ [الآية 8] عطف على سنقرئك وما بينهما اعتراض أي نعدّك للطريقة اليسرى في الديانة ونوفقك لها بالهداية، ﴿فَذَكِّرْ﴾ [الآية 9] بعدما استقام لك الأمر واستقام لك الذكر ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ [الآية 9] وإن لم تنفع فما عليك إلا البلاغ، فالكلام من باب الاكتفاء كقوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النّحل: الآية 81] أي البرد، وقيل إن بمعنى إذ نحو قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المَائدة: الآية 57] للإشعار بأن التذكير بالتكرير إنما يجب إذا أمكن نفعه ولذا أمر بالإعراض عمن تولّى.

وأفاد الأستاذ: أن الذكرى تنفع لا محالة ولكن لمن وفقه الله للإتّعاظ به ومن كان المعلوم من حاله الكفر والإعراض فكما قيل:

وما انتفاع أخي الدنيا بمقلته إذا استوت عنده الأنوار والظلم[1]

﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ [الآية 10] سيتعظ وينتفع بها ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾ [الآية 10] الله فإنه يتفكر فيها فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف بها والمتردد في أمرها ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ [الآية 11] أي ويتجنب الذكرى ﴿الْأَشْقَى﴾ [الآية 11] أي الكافر فإنه أشقى من الفاجر ﴿الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ [الآية 12] نار جهنم، فإنه عليه السلام قال: «ناركم

---

(1) نسب إلى المتنبي. انظر يتيمة الدهر (1/ 59).

هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»[1].

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] حياة تنفعه معها ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [الآية 14] أي وجد النجاة والظفر بالبغية والفوز بالطلبة ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الآية 14] فطهر من الكفر والمعصية أو تطهر للصلاة أو أدّى الزكاة ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 15] بلسانه وجنانه ﴿فَصَلَّىٰ﴾ [الآية 15] لقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: الآية 14]، أو المراد بالذكر تكبيرة الإحرام فيفيد أنه شرط لا ركن لقوله ﴿فَصَلَّىٰ﴾ [الآية 15] بفاء التعقيب كما استدل به الإمام أبو حنيفة وقيل: تزكّى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبّر يوم العيد فصلى صلاته/ . 394/ ب

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] فلا تفعلون ما يعدكم في العقبى، والخطاب لجنس الأشقى أو للكل فإن السعي للدنيا أكثر في الجملة من السعي للأخرى. وقرأ أبو عمرو بالياء.

وقال أبو العباس: مَن خسّت طبيعته آثر الدنيا ومن علَت همّته آثر العقبى، ومن شرف حاله آثر المولى.

وقال الأستاذ: أي يميلون إليها فيقدمون حظوظهم منها على حقوق الله وقيامهم بها.

﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] فإن نعيمها ملذّ بالذات خالص عن الآفات لا انقطاع له في الأوقات بخلاف الدنيا فإنها كثيرة العناء قليلة الغناء سريعة الفناء خبيثة الشركاء.

وأفاد الأستاذ: إن الآخرة للمؤمنين خير وأبقى من الدنيا لطلابها.

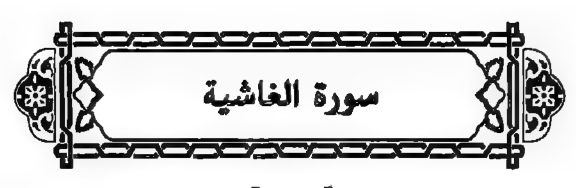
﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] الإشارة إلى القرآن أو ما ذكر في السورة من الموعظة أو ما سبق من قد أفلح فإنه جامع أمر الدنيا وخلاصة

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3265)، والحاكم في المستدرك (2/ 516) رقم (3770)، والطبراني في المعجم الكبير (9/ 217) رقم (9057).

الكتب المنزلة ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ [الآية 19] بدل من الصحف الأولى، والمراد بهما وأمثالهما لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 196].

وقال الأستاذ: أي أن هذا الوعظ لفي الصحف الأولى المتقدمة وكذلك في صحف إبراهيم وموسى وغيره لأن التوحيد والوعيد لم يختلف بالشرائع.



سورة الغاشية

[مكيّة]
وهي ست وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة مَن سمعها وفي قلبه عرفان تلألأت أنوار قلبه، غَرِقت أنوار كربه، تضاعفت هواجم حبّه، تحيّرت في جلاله شوارق لبّه.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الآية 1] الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيامة أو النار لقوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: الآية 50].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾ [الآية 2] ذليلة متواضعة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ [الآية 3] تعمل تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار والصعود في تلالها والهبوط في وهادها، أو عملت ونصبت في أعمال لا تنفعها حينئذ.

وفي «تفسير السلمي»: قال بعضهم خشوع الظاهر ونصب الأبدان لا يقربان منه بل ربما يقطعان عنه وإنما يقرب السعادة الأزلية وخشوع السرية من الهيبة الإلٰهية وهو الذي يمنع صاحبه من جميع الأمور المنهية.

وقال الأستاذ: أي عاملة في الدنيا بالمعصية ناصبة في الآخرة بالعقوبة. ويقال: في الدنيا عاملة لكن من غير إخلاص كعمل الرهبان. وفي معناه عمل أهل النفاق والرياء. فإن اتّصاف الأبدان والأشباح اليوم بصورة الطاعات مع فقد الأرواح وجدان المكاشفات والأسرار أنوار المشاهدات والقلب الإخلاص والصدق في الاعتقادات لا يجدي خيراً ولا ينفع شيئاً وهو كما

قال: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الآيتان 3،4] تدخلها. وقرأ أبو عمرو وأبو بكر: تصلى من أصلاه الله، حامية متناهية في الحرارة.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾ [الآية 5] بلغت آناها في الحر وغايتها ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الآية 6] وهو شوك ترعاه الإبل/ ما دام رطباً، وقيل: شجرة نارية تشبه الضريع. ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم، أو المراد طعامهم ما يتحاماه الإبل ويعافه لضره وعدم نفعه كما قال: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ [الآية 7]. 395/ أ

وأفاد الأستاذ: أن الضريع نبت له شوك بالحجاز وهو سم لا تأكله الدواب.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ [الآية 8] ذات نعمة وبهجة وافية ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الآية 9] رضيت بعملها لما رأت ثوابه وفق أملها.

قال جنيد: جعل الطاعة والخدمة على الأشباح وخصّ بالمعرفة الأرواح.

وقال الحسين: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ [الآية 8] أي شاهدة بمشاهدة حقيقة عين الحق، وقيل: سعى فيها على رضاء من أعانها.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾ [الآية 10] رفعة حسيَّة ومعنويَّة. قال السلمي: في كوامن القدس مقرَّبة.

وقال الأستاذ: أي عالية درجتها ومنزلتها وشرفها وهم بأبدانهم في درجاتهم ولكن بأرواحهم مع الله في عزيز مناجاتهم.

﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ [الآية 11] أي الوجوه أو أيها المخاطب ﴿فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الآية 11] لغواً أو كلمة ذات لغو ونفساً تلغو فإن كلام أهل الجنة منحصر في الذكر والحكمة. وقرأ نافع بصيغة المجهول، وكذا ابن كثير وأبو عمرو ورفعوا لاغية إلا

أنهما قرآ بالتذكير.

وقال القاسم: تلك آذان مصونة عن سماع الأغيار بعد سماعهم من الحق حقائق الأسرار. وقيل: استغراق الحق في سماع الحق.

وقال الأستاذ: قوم يسمعون بالله وقوم يسمعون لله وقوم يسمعون مع الله. وفي الخبر: «كنت له سمعاً وبصراً فبي يسمع وبي يبصر»[1].

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] أي عيون يجري ماؤها ولا ينقطع بهاؤها.

وقال الأستاذ: تلك العيون الجارية اليوم بالبكاء وغداً لهم عيون ناظرة بحكم اللقاء.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] رفيعة المحل والمرتبة.

قال القاسم: رتب مقربة ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] بين أيديهم مهيّأة ﴿وَنَمَارِقُ﴾ [الآية 15] مساند ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ [الآية 15] بعضها إلى بعض ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ [الآية 16] بسط فاخرة ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ [الآية 16] مبسوطة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ [الآية 17] نظر اعتبار وتأمل ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الآية 17] خلق دالاً على كمال قدرته وجمال حكمته ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] بلا عمد مع كمال رفعته. قيل: أشار بها إلى الأرواح كيف جالت في عالم الملكوت والجبروت ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ [الآية 19] رسخت. وقيل: أشار بها إلى قلوب العارفين كيف أطاقت جبل المعرفة. وقيل: أشار إلى أن أولياء الحق كيف نصبوا أعلاماً للخلق.

﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] بسطت، قيل: أشار بها إلى العقلاء كيف احتملوا مؤنة السفر. والمعنى أفلا ينظرون إلى أنواع المخلوقات من

---

(1) تفسير النيسابوري (4/ 19)، وتفسير الرازي (10/ 170).

البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق وحكمته فلا ينكروا اقتداره على بعث الخلق وإعادته. ولعل تخصيص هذه الأشياء لعموم وقوعها في نظر المكلفين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما ذكر السرر المرفوعة قالوا: كيف يصعدها المؤمن؟ فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ [الآية 17] إذا أرادوا الحمل عليها أو الركوب فوقها / كيف تبرك لصاحبها فكذلك تلك السرر تتطامن حتى يركبها المولى ويستقر عليها. وإنما أنزلت هذه الآيات على وجه التنبيه على الاستدلال بالمخلوقات على كمال قدرة الله سبحانه على المكونات والقوم أكثرهم كانوا أصحاب البوادي فكانوا قلّ ما يرون شيئاً إلا السماء والأرض والجبال والجمال فأمرهم بالنظر في هذه الأشياء ثم في الإبل خصائص تدل على كمال قدرته تعالى منها ما فيه من إمكان الانتفاع بظهرها للحمل والركوب عليها ثم بنسلها ثم بلحمها ولبنها ووبرها، ومنها تسخيرها لنا حتى الصبي يأخذ بزمامه فتنجّر وراءه، ومنها صبرها على مقاساة العطش في سفرها وقت حرّها، ومنها قوتها على حمل كثير من محمولها، ومنها حروها إذا حقدت على طالبها، ومنها استرواحها إلى صوت مَن يحدوها عند تعبها وإعيائها، ومنها تعلقها بمن بوّأها.

395/ ب

﴿فَذَكِّرْ﴾ [الآية 21] يا محمد ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الآية 21] فلا عليك إن لم ينظروا ولم يتفكروا ولم يتذكروا ولم يعتبروا..

قال ابن عطاء: الموعظة للعوام والنصيحة للإخوان والتذكير للخواص.

وقال جنيد: الواعظ إلى الحقيقة مَن تكون موعظته على حد الإشراف يعظ كلاً على مقداره.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] بمتسلِّط، وقرأ هشام بالسين على الأصل.

قال الواسطي: أي بعثت داعياً ولم تبعث هادياً ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ

﴿٢٣﴾ [الآية 23] لكن مَن أعرض عن الإيمان وأصرّ على الكفران ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] وهو عذاب الآخرة.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] رجوعهم بالموت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الآية 26] بالبعث ثم إن لنا ثوابهم أو عقابهم..

قال أبو بكر بن طاهر: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ في الفضل ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ بالعدل.



سورة الفجر

[مكيّة]

وهي سبع وعشرون آية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة تكتفي من العابدين بقراءتهم لها ولكنها لا ترضى من المحبّين إلا ببذل روحهم فيها.

﴿وَالْفَجْرِ ۝١﴾ [الآية 1] أقسم بالصبح كقوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [التكوير: الآية 18] أو بفجر عرفة أو النحر ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الآية 2] ذي الحجة أو عشر رمضان الأخير ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ [الآية 3] وقرأ حمزة والكسائي بكسر الواو أي والأشياء بأسرها شفعها ووترها أو يومي النحر وعرفة، وقد روي مرفوعاً، والخلق كقوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: الآية 49]، والخالق لأنه فرداً وشفع الصلاة ووترها.

وقال ابن عطاء: الفجر هو محمد ﷺ لأنه به تفجّرت أنوار الإيمان والإحسان وغابت ظلمة الكفر والكفران، وليال عشر: ليالي موسى عليه السلام التي أكمل ميعاده بقوله: ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: الآية 142].

وأفاد الأستاذ: إن في التفسير أنه في المحرم لأنه ابتداء السنة. وقيل فجر ذي الحج، ويقال: هو ما تفجر منه الماء، ويقال: عشر المحرم لأن آخره عاشوراء، ويقال: هو فجر قلوب العارفين إذا ارتقوا عن حدّ العلم وأسفر صبح معارفهم فاستغنوا/ عن طلب البرهان بما تجلّى في قلوبهم من 396/ أ البيان. ويقال: الشفع تضادّ أوصاف الخلق كالعلم والجهل والقدرة والعجز

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

والحياة والممات، والوتر انفراد صفات الله عما يضادها علم بلا جهل وقدرة بلا عجز وحياة بلا فوت. ويقال: الشفع الإرادة والنية والوتر الهمة لا يكتفي بالمخلوق ولا سبيل لها إلى الله لتقدّسه عن الوصل والفصل فبقيت الهمة عزيزة. ويقال: الشفع الزاهد والعابد لأن له شكلاً وقريناً والوتر الفريد يعني الوحيد في مقام التوحيد.

فريد عن الخلّان في كل بلدة   إذا عظم المطلوب قلّ المساعد

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ [الآية 4] وقرأ ابن كثير يسري أي يمضي كقوله: في والليل إذا أدبري والتقييد به لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة وجمال النعمة.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ﴾ [الآية 5] أو المقسم به حلف أو محلوف به ﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾ [الآية 5] لذي عقل يعتبره وعن الغفلة يمنعه ويحجره، والمقسم عليه قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ [الآية 14]، أو محذوف وهو لتعذبنّ يدل عليه قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ [الآية 6] أي أولاد عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح قوم هود عليه السلام ﴿إِرَمَ﴾ [الآية 7] عطف بيان لعاد على تقدير مضاف أي سبط إرم وقبيلته أو أهل إرم إن صح أنه اسم بلدتهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾ [الآية 7] ذات البناء الرفيع المثال أو العدود الطوال فإنها قيل كانت أربعمائة ذراع، وقيل كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الأمر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحارى عدن جنة في ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعماية سنة فجعل قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار المثمرة والأنهار المطردة وسماها إرم فلما تمّ سار إليها بأهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا. وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبله فوقع عليها التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة أخرى لإرم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة أو البلدة.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ﴾ [الآية 9] قطعوه واتخذوه منازل لقوله تعالى:

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 149]، ﴿بِٱلْوَادِ﴾ [الآية 9] وادي القرى وهو موضع معروف، قيل: بنوا ألفاً وسبعماية مدينة كلها من الأحجار المنحوتة.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] وجنوده ومضاربهم[1] التي كانوا يضربونها[2] إذا نزلوا ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] صفة للمذكورين من عاد وثمود وفرعون ذوي العناد ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] بالكفر وظلم العباد ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] ما خلط لهم من أنواع العقاب.

وقال الأستاذ: أي ما ضرهم به من العذاب، وقيل: شبه بالسوط ما أحلّ بهم في الدنيا إشعاراً بأنه كالسوط بالقياس /إلى ما أعد لهم من العذاب في العقبى. 396/ب

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] أي يسمع ويرى ما يجري فيما بين العباد. وقيل: بالمكان الذي يترقب فيه الرصد جمع راصد وهو تمثيل لإرصاد العصاة بالعقاب، والمعنى لا يفوته أحد من العباد.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [الآية 15] امتحنه بالغنى ويُسر الحال ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ [الآية 15] بالجاه والمال ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ [الآية 15] فضّلني بما أعطاني.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ [الآية 16] أي اختبره ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الآية 16] فضيّقه عليه بعسر الحال وفقر البال وتقتير المال ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الآية 16] لقصور نظره وسوء فكره فإن الفقر قد يؤدي إلى الكرامة في الدنيا والآخرة وإن الغنى قد يفضي إلى الإنهماك في حب الدنيا والاشتغال عن أمور العقبى ولذا ذمّه على قوله وردعه عن ظنه بقوله: ﴿كَلَّا﴾ [الآية 17] وأثبت نافع والبزي باء أكرمن وأهانن وصلاً. وقرأ ابن عامر: فقدّر بالتشديد ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الآية 17]

(1) خيامهم.
(2) يبنونها.

﴿وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ﴾ [الآية 18] وقرأ الكوفيون ولا تحاضون ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الآية 18]، وقرأ أبو عمرو الأفعال الأربعة بالغيبة أي بل فعلهم أسوأ من قولهم وهو أنهم لا يكرمون اليتيم بالنفعة والشفقة ولا يحثون أهلهم على إطعام المسكين فضلاً عن سائر المبرّة.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ [الآية 19] أي الميراث وأصله الوراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الآية 19] فإنهم كانوا يأكلون المورث من الحرام والحلال عالمين بذلك الحال ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الآية 20] أي كثيراً مع الحرص والشره وطول الآمال فيستحقون الإهانة على هذه الخصال.

﴿كَلَّآ﴾ [الآية 21] ردع لهم عن ذلك وما بعده وعيد على ما هناك ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الآية 21] أي دكاً بعد دكّ حتى صارت الجبال والتلال هباءً منبثاً ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الآية 22] أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره وعزته وعظمته كما يظهر عند حضور السلطان من آثار سياسته وهيبته أو جاء أمره وتبين حكمه ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الآية 22] أي جاءوا بحسب منازلهم ومراتبهم في مقامهم ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الآية 23] كقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ [الشُّعَراء: الآية 91]، وفي الحديث: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[1].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ [الآية 23] معصيته ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الآية 23] أي منفعته.

وقال القاضي: أي يتعظ لأنه يعلم منجماً فيندم عليها. واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فإن هذا التذكُّر توبة غير مقبولة، انتهى. وهو غفلة عن سائر شروط التوبة إذ من جملتها وقوعها قبل العيان لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ [غَافر: الآية 85]، وقوله عليه السلام: «إن الله يقبل

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2842/ 29)، والحاكم في المستدرك (4/ 637) رقم (8758)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 701) رقم (2573).

توبة العبد ما لم يغرغر»[1]. على أن تجويز عدم قبول التوبة يوجب تخلُّف الخبر وخلف الوعد في حقه سبحانه حيث/ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشّورى: الآية 25] نعم لا يجب على الله شيء في حد ذاته لكنه يجب وقوعه حيث ثبت إخباره في آياته. 397/ أ

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ﴾ [الآية 24] أعمالاً صالحة ﴿لِحَيَاتِى﴾ [الآية 24] هذه في العقبى أو وقت حياتي في الدنيا ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الآيتان 25،26] الهاء لله لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه إذ الأمر كله لله. وقرأ بهما الكسائي على بناء المفعول، ويقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الآية 27] وهي التي اطمأنت بذكر الله تعالى فإن النفس تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات إلى الواجب لذاته فتستقر عند معرفته وتستغني بوجوده وشهوده عن غيره، أو الآمنة التي تستقر بلا خوف ولا حزن، وقد قرىء بها. وقرأ أُبي بن كعب: يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة.

وقال ابن عطاء: المطمئنة هي العارفة بالله تعالى لا تصبر عنه طرفة عين. وقيل: يا أيتها النفس المطمئنة إلى الدنيا ارجعي إلى الله بتركها، والرجوع إلى الله مسلوك سبيل العقبى ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الآية 28] إلى أمره أو موعده بالبعث ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ [الحَاقَّة: الآية 21] بما أوتيت ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ [الآية 28] عند الله.

وقال الأستاذ: أي راضية من الله مرضية من قِبَل الله ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ [الآية 29] في جملة عبادي ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30] معهم من الآمنين أو في زمرة المقرّبين فيستضيء بنورهم فإن الجواهر القدسية كالمرائي المتقابلة، أو فادخلي في عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار مثوبتي التي أعددت لأهل طاعتي وعبادتي.

---

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (2/ 394) رقم (628)، وأبو يعلى في المسند (10/ 81) رقم (5717)، وأحمد في المسند (2/ 132) رقم (6160).



سورة البلد

[مكيّة]

وهي عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ إخبار عن وُدّ الحق بنعت القدم، ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ إخبار عن بقائه بوصف العلاء والكرم كاشف الأرواح بقوله فهيّمهم، وكاشف النفوس بقوله: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فتيّمهم، فالأرواح دهشى في كشف جلاله والنفوس عطشى إلى لطف جماله.

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝٢﴾ [الآيتان 1،2] أقسم الله سبحانه بالبلد الحرام وقيّده بحلول رسوله عليه السلام في ذلك المقام إظهاراً لمزيد فضله وإشعاراً بأن شرف المكان من شرف أهله.

قال الواسطي: إن بحلولك فيها أقسم بها عظم البلد كما سماه طابه إذا طابت به وبمكانه.

﴿وَوَالِدٍ﴾ [الآية 3] وهو آدم أو إبراهيم عليهما السلام ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ [الآية 3] ذريته أو محمد ﷺ، والتنكير للتعظيم وإيثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله: والله أعلم بما وضعت، أي بأي شيء وضعت أي بموضوع عجيب الشأن غريب البرهان.

397/ ب

وقال الأستاذ: كل والد وكل مولود جواب القسم/.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ [الآية 4] تعب ووصب لا يزال في شدائد

المكابدة مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسليته عليه السلام بما كان يكابده من قومه.

وقال ابن عطاء: في ظلمة وجهل.

وقال محمد بن علي: مضيعاً لما يعنيه مشتغلاً بما لا يغنيه. وقال بعضهم: ما دام الإنسان قائماً بطبعه واقفاً بحاله فإنه ظلمة ومحنة فإذا فنى عن أوصاف إنسانيته صار في راحة.

وقال الأستاذ: في كبد أي في مشقة يقاسي شدائد الدنيا وشدائد العقبى. ويقال: خلق في بطن أمه ثم نكّس عند خروجه من بطن أمه في القماط والشد والرباط ثم إلى الصراط ثم يوفى الهياط أو المياط.

﴿أَيَحْسَبُ﴾ [الآية 5] أي جنس الإنسان ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [الآية 5] فينتقم منه ﴿يَقُولُ﴾ [الآية 6] يوم الحسبان ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ [الآية 6] كثيراً والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾ [الآية 7] حين كان ينفقه أو بعد ذلك فيسأله عنه، يعني أن الله يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] يبصر بهما من أمور ظواهره ﴿وَلِسَانًا﴾ [الآية 9] يترجم عن ضمائره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ [الآية 9] يستر فهما بهما فاه ويستعين بهما على مدّعاه من النطق والأكل والشرب وغيرها.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] ألهمناه طريق الخير والشر أو الثديين، وأصل النجد المكان المرتفع الشأن..

قال ابن عطاء: عيناً في رأسه يبصر به آثار الصنع وعيناً في قلبه يرى مواقع العيب.

وقال الواسطي: عيناً عاماً يرى به الكون وعيناً خاصاً يرى به المكوِّن.

وقال الأستاذ: أي خلقته سميعاً وبصيراً متكلِّماً انتهى. ولعل السمع يستفاد من اللسان لتلازمهما في معرض البيان إذ كل من يكون أصم يكون أبكم والله أعلم.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] فلم يشكر تلك النعمة باقتحام العقبة وهو الدخول في أمر شديد الكلفة، والعقبة الطريق في الجبل كالثنية استعير في الكلام لما فسر به من الفك والطعام في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [الآيات 12-16] لما فيهما من مجاهدة النفس في المكابدة ثم المسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من مسغب إذا جاع وقرب في النسب، وترب إذا افتقر. وقرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي: فك رقبة أو أطعم بصيغتي الماضي على الإبدال من اقتحم. وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] اعتراض معناه إنك لم تدر كنه صعوبتها وغاية مثوبتها.

وقال القاسم: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] أي في مجاهدة النفس الصعبة ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [الآيتان 12، 13] وهو أن تعتق نفسك من رقّ الخلق وتشغلها بعبودية الحق. وقيل: فك رقبة من الطمع والمذلة.

وقال أبو عثمان المغربي عند قوله: ﴿فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ [الآية 14] هو أن تجوع عشرة أيام فيفتح / لك بطعام فتؤثره فيكون مسغبة ومن يأكله في نظرك. 398/ أ وقال جعفر الصادق في قوله: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] هو ما تقرب به إلى الرب في تعهد الأيتام وتفقدهم في الأيام.

وقال الأستاذ: العقبة هي واسطة بين الجنة والنار يجاورها الأبرار.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 17] عطف على اقتحم بثم لتباعد الإيمان عن العتق والإطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراطه سائر الطاعات ﴿وَتَوَاصَوْا۟﴾ [الآية 17] فيما بينهم ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ على الطاعة ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [الآية 17] على

البرية ومنه قول الصوفية: مدار العبودية على تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨﴾ [الآية 18] اليمين أو اليمن والبركة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 19] المتلوة والمنصوبة من الكتاب والحجة ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ [الآية 19] الشمال أو الشؤم والهلكة ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾ [الآية 20] مطبقة مغلقة. وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته بمعنى أوصدته.

وأفاد الأستاذ: أن العقبة التي يجب على الإنسان اقتحامها نفسه هو إعتاق رقبته من رقّ الأغراض ويكون فك الرقبة بأن يهدي من يفكه من رق هواه ويرشده إلى سلامته من شح نفسه وملامته ويرجع إلى الله ليخرج عن مذلّته ويكون فك الرقبة بالتحرُّز عن التدبير والخروج عن ظلمات الاختيار إلى سعة حسن الرضا بالقضاء والتقدير.



سورة الشمس

[مكيّة]

وهي خمس عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة تخبر عن جلال أزلي وجمال أبدي، جلال ليس له زوال وجمال ليس له انتقال، جلال لا بأغيار وأمثال وجمال لا بصورة ومثال، جلال من كاشفه به فأوصافه فناء في فناء ومن لاطفه به فأحواله بقاء في بقاء.

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾ [الآية 1] أي وضوئها إذا أشرقت أو وقت ضحاها إذا ارتقت ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢﴾ [الآية 2] تبع طلوعه طلوعها أول الشهر أو غروبها ليلة البدر أو تلاها في الاستدارة والقدر.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣﴾ [الآية 3] أظهرها فإنها تتجلى بزيادة الأنوار إذا انبسط النهار.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤﴾ [الآية 4] يغطي ضوءها، ولعل العدول إلى المضارع رعاية الفاصلة.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥﴾ [الآية 5] أي مَن بناها أو الشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته ووجوده بناؤها، وقيل: ما مصدرية فيها وفي ما يليها.

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦﴾ [الآية 6] أي بسطها ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧﴾ [الآية

7] أي أجزاءها وأعضاءها والتنكير في نفس للتكثير ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧﴾ [الآية 8] إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الإتيان بهما.

398/ ب قال القاسم: ألهم أهل السعادة التقوى/ وأهل الشقاوة الفجور.

قال الأستاذ: أي بأن خذلها ووفقها. ويقال: فجورها حركتها في طلب الرزق والتدبير وتقويها سكونها بحكم التقدير. وقيل: طريق الخير والشر.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ⑨﴾ [الآية 9] أي طهّر نفسه عن الرذائل وأنماها بالفضائل.

وقال الأستاذ: أي مَن زكاه الله عن التعلق بما سواه وهو جواب القسم. قيل: وحذف اللام لطول الكلام وفيه أن طوله يستدعي زيادة الاهتمام وإتيانه على وجه التمام.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ⑩﴾ [الآية 10] نقصها وأخفاها بالجهالة والضلالة وإعلال دسّى كتقضى.

قال أبو عثمان: أفلح من نظر من أين كسب مطعمه وخسر من غفل عن ذلك لحرصه وطمعه.

وقال أبو بكر بن طاهر: أفلح من طهر سرّه عن التدنس بالدنيا وخاب مَن أشغل سرّه بها وغفل عن العقبى. وقيل: أفلح مَن أقبل على ربّه وخاب مَن أعرض عنه بقلبه. وقيل: دسّاها في جملة الصالحين وليس منهم. وقيل: جعلها خسيسة ولم يجعلها نفيسة.

وقال الأستاذ: أي نفس دسّها الله. قلت: فيكون المعنى قد أفلح من زكاها لله، ويؤيده ما ورد: اللهمَّ آت نفسي تقواها وزكها أنت وكيلها ومولاها.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] بسبب طغيانها وتجاوز شأنها، وأصله طغياً قلبت ياؤه واو تفرقة بين الاسم والصفة.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ [الآية 12] حين قام ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ [الآية 12] أشقى ثمود وهو قدار ابن سالف وفضّل الشقاوة لعقر الناقة ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 13] صالح عليه السلام ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 13] ذروها واحذروا أذاها ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ [الآية 13] ولا تمنعوها عنها ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الآية 14] فيما حذّرهم منه من حلول العذاب إن فعلوه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ [الآية 14] نسب إليهم لأنهم رضوا بعقرها ﴿فَدَمْدَمَ﴾ [الآية 14] طبق العذاب ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الآية 14] بسبب كسبهم من شركهم وعقرهم ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ [الآية 14] فسوى الدمدمة بينهم أو العقوبة عليهم فلم يفلت صغير ولا كبير منهم ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ [الآية 15] التي فعلها بهم، أي الله ﴿عُقْبَٰهَا﴾ [الآية 15] عاقبة الدمدمة والعقوبة التي فعلها بهم، والواو للحال. وقرأ نافع وابن عامر فلا بالعطف.

سئل الجنيد هل يسقط الخوف، قال: كل ما كان العبد أعلم بالله كان أشد خوفاً منه، ذكره السلمي وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: الآية 28] ومن حديث: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم خشية»[1].

---

(1) تفسير القشيري (5/ 50).



سورة الليل

[مكيَّة]

وهي إحدى وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم من تجرَّد في طلبه عن الكسل ولم يستوطن مركب العجز والفشل ووضع النظر مواضعه وصان بدليل العقل إلى عرفانه فإن بنان روحه ونفسه وودّع في الطلب روحه وأنسه/ ولم يعرّج في أوطان الغفلة ظفر بحكم الوصل إلى شهود سلطانه والناس فيه بين موفق ومخذول ومؤيد ومردود. 399/أ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ①﴾ [الآية 1] يستر الأشياء والشمس أو النهار أو الأفق بظلامه.

وقال الأستاذ: دليل أصحاب التجبُّر يستغرق جميع أقطار أفكارهم فلا يهتدون الرشد أي إلى أنوارهم وأسرارهم.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ②﴾ [الآية 2] ظهر بزوال ظلمة الليل واستارها أو تبين بطلوع الشمس وأنوارها.

وقال الأستاذ: ونهار أهل العرفان بضياء قلوبهم وأسرارهم حتى لا يخفى عليهم شيء من أمرهم فسكنوا بطلوع الشمس الوهَّاج عن تكلُّف إيقاد السراج.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ③﴾ [الآية 3] وقرئ الذي يدل أي القادر الذي أوجد صنفيّ الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى. وقيل ما مصدرية.

وقال الأستاذ: أي ومن خلق الذكر والأنثى ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الآية 4] جمع شيّت أي مساعيكم لأنواع أشتات مختلفة وفيه إيماء إلى أنه سبحانه كما أنه أبدع الخلق بحسب الصورة نوَّع الخلق باعتبار السيرة. وقد ورد أن الله قسّم أخلاقكم كما قسّم أرزاقكم فسبحان مَن أقام العباد فيما أراد، وقد قال ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[1].

قال ابن عطاء: باطن هذه الآية أن يرى سعيه قسمة من الحق من قبل التكوين والتخليق لقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ الزخرف: الآية 32]. وأن للسعي مراتب كمراتب المتصلين بالسلطان الواصلين إليه والندماء والجلساء وأصحاب الأسرار الواقفين لديه كذلك سعي المريدين والمرادين والعارفين والمشتاقين والواصلين والفانين عن أوصاف الخلق والمتصفين بنعوت الحق وهذا مما لا غاية له ولا نهاية ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الآية 4].

وأفاد الأستاذ: إن هذا جواب القسم أي إن عملكم لمختلف فقوم سعيه في طلب دنياه وآخر سعيه في شهوات نفسه واتباع هواه، وآخر في طلب جاهه ومناه، وآخر في طلب عقباه، وآخر في تصحيح تقواه، وآخر في تصفية ذكراه، وآخر في القيام بحسن رضاه، وآخر في طلب مولاه، ومنهم من يجمع بين سعي النفس بالطاعة وسعي القلب بالإخلاص وسعي البدن بالقرب وسعي اللسان بالذكر والقول الحسن ودعوة الخلق إلى الحق، ومنهم من سعيه في هلاك نفسه وما فيه هلاك دينه، ومنهم ومنهم.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ [الآية 5] الطاعة ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ [الآية 5] المعصية ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 6] بالكلمة العليا أو بالشريعة الغرّاء ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الآية 7] فسنهيئه للخلة التي تؤدي إلى اليسرى والراحة الكبرى كدخول الجنة وحصول الرؤية.

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (223/ 1)، وابن ماجه في السنن (1/ 102) رقم (280)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 535) رقم (3517)، وابن حبان في الصحيح (3/ 123) رقم (844).

وقال الأستاذ: أي أعطى ما له من طيب قلبه واتقى مخالفة ربه.

399/ ب ويقال: أعطى الإنصاف من/ نفسه واتقى أن يطلب الإنصاف لنفسه. ويقال: اتقى مساخط الله ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الآية 6] بالجنة بالكرَّة الآخرة وبالمغفرة لأهل الكبيرة وبالشفاعة لأرباب النبوَّة والولاية وبالخلف من قبل الله في الدنيا والآخرة.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الآية 7] نسهل عليه الطاعات ونكره إليه المخالفات ونشهِّي إليه القرب ونهوِّن عليه الطلب ونحبِّب إليه الإيمان، ونزيِّن في قلبه الإحسان. ويقال: الإقامة على طاعته والعود إلى ما عمله من عبادته.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ [الآية 8] بما أمر به من طاعة المولى ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ [الآية 8] بشهوات الدنيا عن الدرجات العقبى ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ [الآية 9] بإنكار مدلولها الأسنى ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الآية 10] للخلة المؤدية إلى العسرة والشدة كدخول النار للعقوبة، وسمى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبته اليسر وطريقة الشر بالعسرى لأن عاقبته العسر أو أريد بهما طريق الجنة والنار، أي سنهيئهما في الآخرة للطريقين المختلفين للأبرار والفجار.

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ﴾ [الآية 11] ما نافية أو استفهامية إنكارية أي ما يدفع عن سوء مآله ﴿مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الآية 11] هلك وضاع حاله أو سقط في حفرة قبره أو في جهنم وقعره.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾ [الآية 12] أي للإرشاد إلى الكمال فضلاً كما أن لنا الإبعاد بالإضلال عدلاً لقوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النّحل: الآية 93] وحذف للاكتفاء أو لتعليم الأدب في مقام الثناء أو المراد بالهداية الدلالة كما قال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: الآية 10] أي طريقيّ الخير والشر.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾ [الآية 13] فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء من أهل الكونين. قيل: المعنى من طلب الآخرة والدنيا من غيرنا فقد أخطأ ~~الطريق عنا ثم قدَّم الآخرة لأنها الحياة العقبى فالاهتمام بتقديم أمرهما هو~~ الأولى.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ [الآية 14] خوفتكم كلكم ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الآية 14] أي تتلهب ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ [الآية 15] لا يدخلها أو لا يحرق بها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الآية 15] الجامع بين شقاوة الدنيا والآخرة أو بين شقاوة الكفر والمعصية وهو الكافر بخلاف الفاجر فإن شقاوته قاصرة ولذا وصفه بقوله: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ [الآية 16] بآيات الله ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [الآية 16] أعرض عن طاعة رسل الله ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] الجامع بين سعدي الشرك والمعصية والعاصي من أهل الإيمان حاله مستور كما في سائر آي القرآن.

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾ [الآية 18] يصرفه في مصارف الخير لقوله ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ [الآية 18] فإنه بدل من يؤتى أو حال من فاعله أي يتطهر من الذنوب ويتنظف من العيوب.

قال ابن عطاء: الزهاد هم المتقون والأتقى من تركها جملة وأعرض عنها كلية كالصديق أعطى الفاني لربّه وأبقى الباقي لنفسه.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ [الآية 19] فيقصد بإيتائها مجازاتها ولا يفعل هذه ليتخذ عند أحد يطلب منه مكافأتها ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] استثناء منقطع/ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] وعد بالثواب الذي يرضاه 400/ أ في العقبى، والآيات نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين اشترى بلالاً في جماعة يؤذيهم المشركون فأعتقهم ولذا قيل المراد بالأشقى أبو جهل لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال الواسطي: ولسوف يرضى بنا عوضاً عما أنفق لنا فما خسرت تجارة من كنّا له عوضاً.

وقال الجنيد: يصل إليه أنوار الرضا ويتحقق له مقامه برضانا عنه فإنه لا يصل إلى مقام الرضا عن الله أحد إلا برضى الله عنه. قلت: وفي تقديم رضي الله عنهم ورضوا عنه إشارة إلى ذلك كما في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: الآية 54] إيماء إلى ما هنالك.

قال الأستاذ: أي يرضى الله عنه ويرضى هو بما يعطيه الله.



[مكيّة]
وهي إحدى عشر آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم من لا يشبهه كفؤ في ذاته وصفاته ولا يستفزه لهو في إثبات مصنوعاته، ولا يعتريه سهو في علمه وحكمته، ولا يتعرض لغو في حكمه وكلمته، فهو حكيم لا يلهو وعليم لا يسهو وحليم يثبت ويمحو، فالصدق قوله، والحق حكمه، والخلق خلقه، والملك ملكه.

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾ [الآية 1] وقت ارتفاع الشمس وظهور ضيائها وتبيين بهائها ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الآية 2] سكن أهله في محله أو ركد ظلامه في أهله، وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الأصالة وتقديم النهار هنا باعتبار الشرافة، أو تقديم الليل على النهار للإشعار إلى ما ورد في الأخبار من أن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رشّ عليهم من نوره وعكسه للإشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه، فالأول بالنسبة إلى وجود الخلق، والثاني بالإضافة إلى شهود الحق، ففيها معنى التفرقة والجمع المطلق. وقيل: قسم به عليه السلام، فالضحى كناية عن وجهه الأنور، والليل عبارة عن شعره الأزهر، أو قسم من سبحانه بتجليات أنوار جماله وسبحات أسرار جلاله.

وقال جنيد: الضحى هو مقام الشهود يعني مقام العين الذي قال فيه: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»[1]. والليل مقام

---

(1) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/ 151) رقم (259)، والمقاصد الحسنة (1/ 565) رقم (926)، وكشف الخفاء (2/ 173) رقم (2159).

الغين الذي قال فيه: «إنه ليغان على قلبي».

وقال الأستاذ: أي ليلة المعراج أو حين ينزل الله إلى السماء الدنيا على التأويل الذي يصح في وصفه تعالى.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الآية 3] ما قطعك قطع المودع أو ما تركك ترك القاطع ويؤيده أنه قرىء بالتخفيف وهو جواب القسم الشريف ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ [الآية 3] وما أبغضك وحذف المفعول استغناء يذكره من قبله ومراعاة لفواصله من شكله. روي أن الوحي تأخر عنه عليه السلام أياماً لحكمة يقتضيها المقام فقال المشركون ومَن عاداه: أن محمداً ودّعه ربّه وقلاه، فنزلت رداً عليهم وزاد في مقام رضاه.

وفي «تفسير السلمي»: ما حجبك عن قربه حين بعثك إلى خلقه/ . 400/ ب

وقال الواسطي: ما أهملك بعد ما في مقام الاصطفاء استعملك.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾ [الآية 4] فإنها باقية خالصة عن شوائب الأكدار، وهذه فانية مشوبة بأنواع المضار كأنه لما بيَّن أنه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا من الفتوحات على أمته وعَدَ له ما أعدّ له مما هو أعلى وأغلى وأحلى وأجلى من ذلك في آخرته. والمعنى ونهاية أمرك خير من بدايته. فإنه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال وقد يقال في جميع الأحوال للحالة ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾ [الآية 4] كما يشير إلى قوله: «وإنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله سبعين مرة»[1] يعني من التوقف في الحالة السابقة لعدم الاطلاع على ما له من الترقي في الحالة اللاحقة وذلك لأن السير في الله لا يتناهى لا في الدنيا ولا في العقبى. وقوله والدنيا مزيد بيان لترقيات المريد على وجه التأبيد والتأييد.

وقال سهل: ما ادخر ربك في الآخرة من المقام المحمود محل الشفاعة

---

(1) ورد بلفظ: مائة مرة. انظر ما أخرجه مسلم في الصحيح (2702/ 41)، والحاكم في المستدرك (1/ 691) رقم (1882)، والطبراني في المعجم الكبير (1/ 302) رقم (887)، وابن حبان في الصحيح (3/ 211) رقم (931).

خير مما أعطاك في الدنيا من مرتبة النبوة والرسالة.

وقال يحيى بن معاذ: الدنيا لا تُنال إلا بالمحنة والآخرة لا تُنال إلا بالمشقة فاطلب لنفسك أبقاهما.

وقال جنيد: ترك الدنيا شديد وفوت الآخرة أشد. قلت: قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: الآية 127].

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الآية 5] وعد شامل لما أعطاه الله من كمال النفس وظهور أمره على مَن عاداه. ولما أدخلوه مما لا يعرف كنهه سواه، واللام للابتداء ودخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير: ولأنت سوف يعطيك ربك فترضى غاية الرضا فإنك دائماً في مقام الرضا بالقضاء ولذا قيل له: افترضى بالعطاء عن المعطي، فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ [الآية 6] [أي متفرداً لكمال القابلية، متوحداً بانقطاع نسبتك عما سواك فآواك إلى حضرت أحدية الجمع التي هي المقام المختص بك][1] ﴿فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الآية 6] تعديد لما أنعم عليه تنبيهاً على أنه كما فيما أمضى أحسن إليه كذلك يحسن فيما يستقبل لديه وذلك أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فلمّه لديه وأحسن في تربيته إليه.

﴿وَوَجَدَكَ﴾ [الآية 7] من الوجود بمعنى العلم ويتيماً مفعوله الثاني والمصادفة ويتيماً حال وفيه إيماء إلى أنه ذرّ يتيم وجد في بحر الوجود واستغرق في يمّ الشهود.

وقال ابن عطاء: لا يكون الوجدان إلا بعد الطلب وكان طالباً له في الأزل فوجده.

وقال الأستاذ: أي آواك إلى كنف حمايته ورباك بلطف رعايته. ويقال: فأواك إلى بساط القربة بحيث انفردت بمقامك فلم يشاركك أحد في هذه

(1) من هامش المخطوط.

الرتبة، وجدك ضالاً عن تفاصيل الحكم والأحكام مما به أحكام الإسلام فهدى، فعلَّمك بالوحي والإلهام أو ووجدك طالباً للجمال متحيراً في الجلال فهداك بجمعية الحال إلى مقام الكمال.

وقال ابن عطاء: الضال في اللغة هو المحب على وجه الكمال/ أي وجدك محباً للمعرفة الكاملة فمنَّ عليك بالهداية الشاملة وذلك في قصة يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يُوسُف: الآية 95] أي محبتك القديمة لذلك الغلام. 401/أ

وقال الأستاذ: أي ضالاً فينا متحيراً في الدنيا فهديناك بنا إلينا ودللناك بفضلك علينا وقيل فيما بين قوم ضلال فهداهم بك إلى مقام الكمال، ويقال: ضالاً في المحبة فهديناك بنور القربة. ويقال: ضالاً عن محبتي لك فعرَّفتك بأني أحبك. ويقال: جاهلاً بمحل شرفك وسرك فعرّفتك بقدرك. ويقال: مستتراً في أهل مكة لم يعرفك أحد فهداهم إليك حتى عرفوا ما لديك.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ [الآية 8] فقيراً ذا عيال ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ [الآية 8] بما حصل لك من ربح تجارة ومال.

قال ابن عطاء: وجدك فقير النفس فأغنى قلبك بغناه كما قال عليه السلام: «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس»[1].

وقال الأستاذ: أي أغناك عن الإرادة والطلب بأن أرضاك بالقصد في المطلب. ويقال: أغناك بالنبوَّة وبالكتاب والسنَّة. ويقال: أغناك بالله عما سواه. ويقال: أغناك عن السؤال فيما أعطاك ابتداء من النوال.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ [الآية 9] أي لا تغضب عليه وانظر بعين الشفقة والمرحمة إليه. وقرىء: فلا تكهر أي لا تعبّس وجهك لديه.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6446)، ومسلم في الصحيح (1051/ 120).

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ [الآية 10] للمال أو الطالب للكمال ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الآية 10] فلا تزجر بل استقبله بالإقبال وبالجمع بين المعنيين حصل الكشف بأن النشر مرتب على اللف فيبقى قوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾ [الآية 11] فذلك الكلام وخلاصة للمرام كما سيأتي بيان قيامه بهذا المقام.

وقال ابن عطاء: المؤمنون كلهم أيتام الله وفي حجره فلا تقهرهم أي لا تبعدهم عنك ولا تطردهم منك، والسُّؤَّال هم أسراء الله فلا تنهرهم بل ألطف بهم وارحمهم. وقال جعفر الصادق: اليتيم هو العاري عن خلقة الهداية فلا تقنطه من رحمتي فإني قادر أن ألبسه لباس الهداية في النهاية والسائل إذا سألك عني فدله بألطف دلالة عليَّ فإني قريب مجيب.

وقال الأستاذ: أي السائل عنّا المتحير فينا فلا تنهرهم فإنك تهديهم سؤالهم عليهم فلاطفهم في القول إليهم ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾ [الآية 11] فإن التحدُّث بها شكرها وأظهر أنواع شكرها ذكرها ولم يقل سبحانه: فافخر مع أنه الملائم للفواصل للإشعار بأن اللائق في التحدُّث بالنعمة أن يكون شكراً لا فخراً ولذا قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من / نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد[1]. 401/ب

والمعنى: لا أذكره افتخاراً بل تحديثاً بنعمة ربي اشتهاراً، أو معناه لا أفتخر بهذه المقامات بل أفتخر بقربي إليه في مقام تجليات الذات والصفات.

وقال جعفر الصادق: أخبر الخلق بما أنعمت عليهم بك وبمكانك.

وقال ابن عطاء: حدِّث به نفسك كي لا تنسى فضلي عليك قديماً

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 587) رقم (3615)، وابن حبان في الصحيح (14/ 398) رقم (6478)، وأحمد في المسند (17/ 10) رقم (10987).

وحديثاً. وجاء في حديث رواه البزي من قراءة مكة عن عكرمة قال: قرأت على إسماعيل فإذا بلغت ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ [الآية 1] قال لي: كبِّر مع خاتمة كل سورة حتى تختم فإني قرأت على عبد الله بن كثير فأمرني بذلك وأخبرني أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك، وأخبره أنه قرأ على أبيّ فأمره بذلك، وأخبره أنه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك[1].

ولعل وجه التكبير في آخر هذه السورة لما ارتفع عنه عليه السلام وكان يشتكي من الضرورة أو يقال: المعنى الله أكبر من أن يقطع عن عبده صحبته الأزلية المستلزمة لمرتبة الرضا الأبدية لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه. وقد قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: الآية 256] وهذا بخصوص أرباب النبوة وأصحاب العصمة لا شك فيه ولا شبهة، بل وكذا بالنسبة إلى أولياء الأمة ولذا قال شيخ مشايخنا أبو الحسن البكري قدِّس سرُّه السوي: إذا دخل الإيمان القلب أمن السلب.

ويؤيده قول بعض العارفين: إن من رجع إنما رجع عن الطريق والله ولي التوفيق. وأما خوف الخاتمة فَلإبهام السابقة لأن السابقة نصحك على اللاحقة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢﴾ [الأنبياء: الآيتان 101، 102].

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 344) رقم (5325)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 370) رقم (2078).



سورة [الانشراح] ألم نشرح

[مكيّة]

وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز عزّه مَن التجأ إليه وجلّ من توكل عليه وفاز في الدنيا والعقبى من توسّل به، فمن تقرّب منه قرّبه، ومَن شكا إليه حقق ما له طلبه، ومن رفع قصته إليه قضى أربه.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الآية 1] لَم نفسّحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائباً آيباً كائناً بائناً، أو ألم نوسعه بما أودعنا فيه من الحكم والأحكام وأزلنا عنه ضيق الجهل وظلام الهام، ومعنى الاستفهام إنكار نفي الإنشراح مبالغة في إثباته. فالتقدير قد شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ [الآية 2] ثقل حملك ﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ [الآية 3] أي كسره حيث غلبك وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة حيث قال له: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: الآية 2] أو من خيرته لمقام دعوته لحصول ضيق التفرقة في حالته فأوصل إلى مقام / فضاء الجمع الذي لا تضره الكثرة مع شهود وحدته. 402/ أ

قال جعفر الصادق: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الآية 1] بمشاهدتي ومطالعتي.

وقال سهل: ألم نوسّع سرّك بقبول ما يرد عليك من أنوار المعرفة ووضعنا عنك أعباء النبوّة والرسالة فكنت فيها محمولاً لا حاملاً.

وقال ابن عطاء: ألم نخل سرّك عن الكل فغبت عن مشاهدة الكونين ووضعنا عنك وزرك ألم نزل ملاحظة المخلوقين عن سرك في الدارين ورفعنا لك ذكرك بالنبوَّة والرسالة والسيادة وباقتران اسمك باسمي في كلمتيّ الشهادة وجعل طاعتك طاعتي في تحصيل السعادة.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ [الآية 5] كضيق الصدر والوزر الكاسر للظهر ﴿يُسْرًا﴾ [الآية 5] من الوسع والوضع.

وقال أبو بكر الوراق: مع اجتهاد الدنيا جزاء الجنة في العقبى.

﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الآية 6] تكرير للتأكيد وتقرير للتأبيد واستئناف وعده بأن العسر في الدنيا مقرون بيسر آخر في ثواب العقبى كما ورد أن للصائم فرحتين فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولذا قال عليه السلام: «لن يغلب عسر يسيرين معرّف فلا يتعدد، واليسر منكر فلا يتحد»[1].

وأفاد الأستاذ: أن العسر الواحد ما كان في الدنيا واليسران أحدهما في الدنيا من الخصب وزوال البلاء والثاني في الآخرة مع حسن الجزاء، فإذا عسر جميع المؤمنين واحد وهو ما نابهم من الشدائد في الدنيا ويسرهم اثنان اليوم بالكشف والصرف وغداً بالجزاء واللطف.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ [الآية 7] من تبليغ الرسالة ﴿فَٱنصَبْ﴾ [الآية 7] فالغب في العبادة شكراً لما عددناه عليك من النعم الماضية ووعدنا لك بالمنن الآتية، أو إذا فرغت من المجاهدة فاجتهد في المشاهدة، وإذا فرغت في الصلاة والثناء فانصب في السؤال والدعاء، أو إذا فرغت عن عبادة فاجتهد في أخرى وهلم جراً.

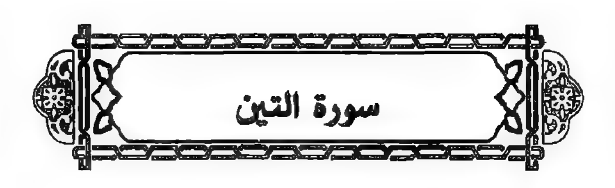
وقال جعفر الصادق: اذكر ربك على فراغ منك عما دونه بقلبك.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 575) رقم (3950)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 205) رقم (10010)، ومالك في الموطأ (3/ 633) رقم (1621).

وقال الأستاذ: وإذا فرغت من الصلاة المفروضة فارغب في العبادات النافلة.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] بالسؤال ولا تلتفت إلى غيره في جميع الأحوال، وقد ورد في دعاء الإمام أحمد: اللهم كما صنت وجهي عن مسجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك.



سورة التين

[مكيَّة]
وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة تدل على جلال مَن لم يزل يخبر عن جمال من لم يزل ينبه على إقبال من لم يزل يشير إلى إفضال من لم يزل، فالعارف شهد جلاله فطاش، والصفي شهد جماله فعاش، والولي شهد إقباله فارتاش، والمريد شهد أفضاله فلم يطلب مع كفايته المعاش.

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ①﴾ [الآية 1] أقسم بشجرهما أو ثمرهما لأنهما عجيبان من بين أصناف الأشجار وغريبان من بين أنواع الأثمار، فروي أنه أهدي لرسول الله ﷺ طبق من تين/ فأكل منه وقال لأصحابه: «كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت 402/ ب من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس[1]»[2]، وقد قال ﷺ: «كلوا الزيت وادّهنوا فإنه من شجرة مباركة»[3].

ومر معاذ بن جبل بشجر الزيتون فأخذ منها قضيباً واستاك به وقال:

---

(1) داء يأخذ في الرِّجْل. انظر لسان العرب (6/ 240).

(2) انظر جامع الأحاديث (15/ 389) رقم (15774).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (19/ 269) رقم (597)، وابن ماجه في السنن (2/ 1103) رقم (3320)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 285) رقم (1851)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 163) رقم (6702).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نِعْمَ السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالجفر والصفرة التي في أسافل الأسنان»[1]، وسمعته يقول: «هو سواكي وسواك الأنبياء قبلي»[2].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أقسم بالتين لما أعظم به المنة على خلقه حيث لم يجعل فيه النوى وخلّصه عن شوائب التنقيص والردى وجعله على مقدار اللقمة لتتكامل فيه اللذة، وبالزيتون لما فيه من المنافع كالاستصباح به والتأدم والاصطباغ فيه.

﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ [الآية 2] يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربّه عزَّ وجلَّ في مقام الكلام، وسينين وسيناء للموضع الذي فيه ذلك المرام. قال الأستاذ: ولموضع قدم الأحباب مزية.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [الآية 3] أي الآمن أو المأمون يأمن فيه من دخله، والمراد به مكة المعظّمة..

قال ابن عطاء: أمنها بكونك منها فإنك أمان في كل مكان وزمان.

وقال الأستاذ: البلد الحبيب قدر ومنزلة.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الآية 4] أي جنس الإنس ﴿فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [الآية 4] تعديل في مقام الإنس حيث خصّ بانتصاب القامة وحسن الصورة وكمال السيرة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات.

قال الصادق: أي في أحسن صورة ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: الآية 64].

وقال الأستاذ: ذو اعتدال قامة وحسن تركيب أعضائه وهيئته وهذا يدل

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (1/ 210) رقم (678).
(2) انظر تخريج الحديث السابق.

على أن الحق ليس له صورة وهيئة لأن كل صفة اشترك فيها الخالق والخلق فالمبالغة للحق كالعلم إلا علم الله والقدرة إلا قدرة الله فلو اشترك الخالق والخلق في التركيب والصورة لكان الأحسن في الصورة الله. فلما قال ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [الآية 4] علم أن الحق سبحانه منزَّه عن التقويم والصورة انتهى.

وأما ما ورد «أن الله خلق آدم على صورته»[1] فمعناه على صفته من أوصاف الكمال كالحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام، أو على نعت الجامع بين الجمال والجلال كما يشير إليه قوله: «خمّرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً»[2]، وكذا حديث: «قلب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمٰن»[3]. وتوضيحه أن الملائكة مظاهر أسماء الجمال ولذا لا يظهر منهم إلا الطاعة، والشياطين مظاهر أسماء الجلال ولذا لا يتصور منهم غير المعصية، فالمعجون المركّب والنسخة الجامعة لصفات الرب إنما هو الإنسان لظهور الآثار المختلفة فيه من الطاعة والمعصية ولو بالنسيان فلو مال إلى جانب الملائكة غلبهم في الأفضلية، ولو مال إلى طرف الشيطان غلبهم في الشرارة النفسانية ولهذا المعنى استحق بحمل كلفة الأمانة / الدائرة بين الوفاء 403/ أ والخيانة.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝٥﴾ [الآية 5] بأن جعلناه من أهل النار أول أسفل السافلين وهو دار البوار، أو إلى أرذل العمر بأن صيّرناه أعجز العاجزين، فيكون

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2841/ 28)، وابن ماجه في الصحيح (12/ 419) رقم (5605)، وأحمد في المسند (2/ 244) رقم (7319).

(2) انظر تخريج الأحياء (9/ 64)، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (1/ 451) رقم (24).

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 706) رقم (1926)، وابن ماجه في السنن (1/ 72) رقم (199)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 448) رقم (2140)، وابن حبان في الصحيح (3/ 184) رقم (902).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 6] منقطعاً ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الآية 6] غير منقطع إذا عجز عن الطاعة بعذر كمرض وسفر وكبر كما جاء في الخبر، أو غير مقطوع بل موصول إلى أبد الآبدين ولا يبعد أن يقال: جعلنا الإنسان في أحسن صورة من قبول أنوار الهداية وقابلية أسرار الرعاية بحكم «سبقت رحمتي غضبي»[1] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [الآية 5] من الظلمات الطبيعية والكفافات النفسية ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 6] حيث جمعوا بين الكمالات العلمية القلبية والحالات العملية القالبية ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الآية 6] غير منقطع عن الأمداد الإلٰهية بل لهم اتصال الفيوض السرمدية والنهوض الأزلية.

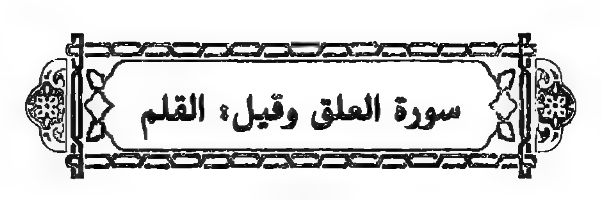
﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ [الآية 7] فأي شيء يكذبك يا محمد بعد ظهور هذه الأدلة ﴿بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ [الآية 7] بالجزاء بعد الإعادة، وقيل: الخطاب للإنسان على الالتفات في معرض البيان. والمعنى فما الذي يحملك على تكذيب الدين مع هذا البرهان المبين والبيان المتين.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [الآية 8] صنعاً وتدبيراً وقضاء وتقديراً ومن كان كذلك كان قادراً على الإعادة والجزاء هنالك ويستحب للإنسان أن يقال: هنا بلي لأن لا تبلى بالبلاء.

وقال الأستاذ: أسفل سافلين أي النار والهاوية في أقبح صورة فيكون أول الآية ما للأبرار والفجار وآخرها خاصاً في الكفار كما أن التأويل بالهرم خاص في بعض بني آدم إذ ليس كلهم يبلغون الهرم. ويقال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [الآية 5] إلى حال الكفر والشقاوة إلا المؤمنين فإنهم أهل الإحسان والسعادة.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3194)، ومسلم في الصحيح (2751/ 15)، وأبو يعلى في المسند (11/ 169) رقم (6281).



سورة العلق وقيل: القلم

[مكيَّة]

وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي أول سورة نزلت. وقيل: الفاتحة، ذكره القاضي، والصحيح أن أول ما نزل صدر هذه السورة إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [الآية 5] وهو مبدأ النبوَّة، ثم سورة المدثر وهو بدء الرسالة، ثم سورة الفاتحة في ابتداء تكليف الصلاة من العبادة.

قال الأستاذ: كلمة سماعها يوجب أحد أمرين: إما صحواً وإما محواً لمن سمع بشاهد العلم فيستبصر بواضح برهانه ومحواً لمن سمع بشواهد المعرفة لا يتحيّر في جلال سلطانه.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية 1] أي إقرأ القرآن مفتتحاً باسمه أو مستعيناً به.

وأفاد الأستاذ: أن كل الناس كانوا مريدين وهو ﷺ كان مراداً فاستقبله الأمر فقال: «ما أنا بقارىء» فقال: اقرأ كما أقول ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [الآية 1] أي الذي خلق الخلق ليظهر صفات الحق ثم أفرد ما هو أشرف جنساً وأظهر نسباً بحسب تعلق الإرادة وأدل على وجوب العبادة من القراءة المرادة بقوله.

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [الآية 2] جمع علقة والجمع لأن الإنسان في المعنى الجمعي/ ويترقى من حال التفرقة إلى مقام الجمع ولما كان أول الواجبات معرفة الله تعالى باعتبار شهوده نزل أولاً ما يدل على وجوده وكرمه 403/ ب

وجوده وكمال قدرته وجمال حكمته.

﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [الآية 3] تكريراً للمبالغة في التقرير أو التكثير، أو لما قيل له: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [الآية 1] فقال: «ما أنا بقارىء» فقيل له: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ [الآية 3] الزائد في الكرم على كل كريم من الخليقة بلهو الكريم وحده على الحقيقة ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ [الآية 4] أي الخط، وقد قرىء به والمعنى ليفيد به العلم بالتقييد ويعلم به البعيد.

﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [الآية 5] من العلوم الضرورية والكسبية فيعلمك القراءة البديعية وإن لم تكن قارئاً لأنك من الأمة الأمية، وقد عدّد سبحانه مبتدأ أمر الإنسان ومنتهى شأنه إظهاراً لما أنعم عليه وإشعاراً بنقله من أخس المراتب إلى أعلا ما لديه تقرير الربوبية وتحقيقاً لأكرميته وأشار أولاً إلى ما يدل على معرفته عقلاً ثم نبه على ما يدل نقلاً.

﴿كَلَّآ﴾ [الآية 6] قيل معناه حقاً أو إلّا ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾ [الآية 6] ليظهر طاغياً عاصياً ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [الآية 7] أي رأى نفسه مستغنياً باغياً..

قال ابن عطاء: رؤية الغني يورث الطغيان والبطر لأن الغناء يورث الفخر والفخر يورث الطغيان.

وقال الأستاذ: أي تجاوز حده إذا رأى نفسه أنه استغنى لأنه يعمى عن موضع افتقاره ولم يقل: أن استغنى، بل قال: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [الآية 7] فإذا لم يكن معجباً بنفسه وكان شاهداً لمحل افتقاره لم يكن طاغياً.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨﴾ [الآية 8] أي إلى حكمه رجوع المطيع والعاصي والداني والقاصي، ففيه وعد ووعيد.

﴿أَرَءَيۡتَ﴾ [الآية 9] قرأ الكسائي بحذف الهمزة الثانية حيث جاء، وسهلها نافع وأبدلها ورش، والمعنى أعلمت أو أبصرت ﴿ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا﴾ [الآيتان 9،10] أي عظيماً في مرتبة العبادة ﴿إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [الآية 10] في مقام الإرادة،

نزلت في أبي جهل قال: لو رأيت محمداً ساجداً لوطئت عنقه، فجاءه ثم نكص على عقبه فقيل له ما لك، فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهَولاً وأجنحةً، فنزلت: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ﴾ [الآية 11] العبد المصلي ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الآية 11] ﴿أَوْ أَمَرَ﴾ [الآية 12] غيره ﴿بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ [الآية 12] عن إشراك الله بالسوى ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ [الآية 13] الناهي كلام ربه ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [الآية 13] أعرض عن طاعة رسوله ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] يطلع على أحواله وطغيانه وضلاله.

وأفاد الأستاذ: إن مفعول يرى محذوف أي من الذي يستحقه من هذا صفته والتخويف برؤية الله تنبيه على المراقبة ومن لم يبلغ حال المراقبة لم يرتق منه إلى حال المشاهدة.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 15] رد للناهي ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ [الآية 15] عما فيه من المعصية ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [الآية 15] لنأخذن بناصيته ولنسحبنّه بها إلى هاوية، وكتابته بالألف في المصحف على حكم الوقف.

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] بدل من الناصية، وإنما جاز لوصفها بما بعدها ثم وصفها/ بهما وهما لصاحبها على الإسناد المجازي للمبالغة في ذمهما. 404/ أ

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] أي محله وأصحاب أنسه ليعينوه في النار الحامية. روي أن أبا جهل مرّ برسول الله ﷺ وهو يصلي فقال: ألم أنهك، فأغلظ لرسول الله ﷺ فقال: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً، فنزلت: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [الآية 18] ليجروه إلى الهاوية.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 19] ردع للناهي ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ [الآية 19] نهي للمصلي أي اثبت أنت على طاعتك ﴿وَٱسْجُدْ﴾ [الآية 19] دم على سجودك ﴿وَٱقْتَرِب﴾ [الآية 19] إلى ربك في مقام شهودك. وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد لربه إذا سجد»[1].

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (482/ 215)، والحاكم في المستدرك (1/ 395) رقم =

قال الحسين: إن الله تعالى لم يبح للجوارح ترك التحلي بمحاسنها وذلك إظهار للربوبية على العبودية.

وقال الأستاذ: أي اقترب من شهود الربوبية بقلبك وقف على بساط العبودية بنفسك. ويقال: فلتسجد لنفسك واقترب بسترك.

=(969)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 242) رقم (723)، وابن حبان في الصحيح (5/ 254) رقم (1928).



سورة القدر

[مدنيَّة]
وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة تحضر قلوب العلماء لتأمل الشواهد، وتسكر قلوب العارفين بشراب المحبة إذا وردوا تلك المشاهد، فهؤلاء أحضرهم فبصّرهم وعلى استدلالهم وبحثهم نصرهم، وهؤلاء بشراب محابّه أسكرهم وفي شهود جلاله حيّرهم.

﴿إِنَّآ﴾ [الآية 1] بعظمتنا ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الآية 1] أي القرآن العظيم ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [الآية 1] أي في الوقت الكريم وأضمر للقرآن من غير ذكر في معرض البيان للتلويح إلى أن له النباهة المغنية عن التصريح، وإنزاله فيها بأن ابتدأ إنزاله منها أو إنزاله جملة من اللوح إلى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله نجوماً في ثلاث وعشرين سنة.

قال سهيل: ليلة قدرت لعبادي فيها الرحمة.

وأفاد الأستاذ: إنها ليلة قدر فيها الرحمة لأوليائه ليلة يجد العابدون فيها قدر نفوسهم وسجودهم ويشهد العارفون قدر معبودهم فشتان بين وجود قدر وبين شهود قدر، فلهؤلاء وجود قدر ولكن قدر أنفسهم، ولهؤلاء شهود قدر معبودهم.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾ [الآية 2] في إبهام بيانه تفخيم لشأنه ﴿لَيْلَةُ

﴿ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [الآية 3] ليس فيها ليلة قدر وهي أوتار العشر الأخير عند الأكثر والسابقة فيها على الأظهر الأشهر، والحكمة في إخفائها أن محيي من يريدها ليالي كثيرة طلباً لتحصيلها فتكثر العبادة ويتضاعف ثواب تكميلها ولئلا يتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفرِّطوا في غيرها، فالقدر بمعنى الفضيلة والعظمة كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: الآية 91] أي ما عظَّموه حق عَظَمَتِهِ، أو سمي بها لتقدير الأمور فيها لقوله سبحانه: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدّخَان: الآية 4] ويسلم للحفظة ليلة النصف من شعبان أو بالعكس، فالقدر بمعنى التقدير ومنه خبر: ويؤمن بالقدر بفتح الدال وسكونها وذكر الألف إما للتكثير أو لما روي أنه عليه السلام ذكر إسرائيلياً / لبس سلاحاً في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي[1].

404/ ب

﴿تَنَزَّلُ﴾ [الآية 4] أي تتنزل ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [الآية 4] جبريل أو ملك عظيم أو أرواح الأنبياء من عالم الارتقاء إلى الأرض أو السماء الدنيا وإلى المؤمنين من أرباب الأحياء ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن﴾ [الآية 4] والجملة بيان لما في ليلة القدر من الفضل على ألف شهر.

وفي «تفسير السلمي» قيل: نزول الملائكة في تلك الليلة لاسترواح قلوب العارفين بأمره سبحانه للملائكة في زيارة عباده المؤمنين ﴿كُلِّ أَمْرٍ﴾ [الآية 4] من أجل كل أمر قدّر في تلك السنة.

﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ [الآية 5] أي ما هي إلا سلامة والمعنى لا يقدر الله فيها إلا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والعاهة أو ما هي إلا سلام يسلِّم الملائكة الكرام والأرواح العظام فيها على أهل الإسلام وتنوينه للتكثير.

وأفاد الأستاذ: إن مع كل مأمور منهم سلام على الولي انتهى.

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (4/ 306) رقم (8305).

والأظهر أن الخبر مقدر أي فيها سلام كثير أو عظيم وهي مبتدأ خبره ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [الآية 5] أي وقت مطلعه أو طلوعه بناء على أنه مصدر ميمي أو اسم زمان. وقرأ الكسائي على أنه مصدر شاذ كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق.

وقال الأستاذ: هي باقية إلى أن يطلع فجر ليلة هي قصيرة على الأحباب لأنها في المسامرة والخطاب، وكما قيل:

يا ليلة من ليالي الدّهر قابلت فيها بدرها ببدري

لم يك غير شفق وفجر حتى تولّت وهي بكر الدهر[1]

---

(1) هذان البيتان منسوبان إلى إبراهيم بن العباس. انظر معجم الأدباء (1/ 34)، ونهاية الأرب (1/ 34).



سورة البيِّنة

[مكيّة]

وهي ثمان آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز متصل إليه المذنبون فغفرهم، وتوكل عليه العارفون فجبرهم، وتوسل إليه المطيعون فوصلهم ونصرهم، وتعرّف إليه العاملون فبصّرهم، وتقرّب منه العارفون فقرّبهم، لكنه في جلاله حيّرهم.

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الآية 1] أي اليهود الذين قالوا عزير ابن الله والنصارى الذين قالوا المسيح ابن الله والله ثالث ثلاثة ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية 1] عَبَدَة الأصنام من أهل مكة منفكين منتهين عما كانوا عليه من الكفر والمعصية ﴿مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [الآية 1] أي الرسول صاحب الحجة فإنه مبين للخلق طريق الحق ويؤيده ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 2] فإنه بدل من البينة، أو المراد بها القرآن الذي هو حجة لكونه معجزة رسول الله ﷺ مبتدأ خبره ﴿يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ﴾ [الآية 2] وإطلاق الصحف باعتبار ما كان في صحف مكرمة أو اعتبار المال المآل في أيدي الأمة وكونها مطهرة إنها لا يمسّها إلا المطهرون.

﴿فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ﴿٣﴾﴾ [الآية 3] مكتوبات مستقيمة ناطقة عن طريقة قويمة، أو فيها مضمون الكتب المنزلة.

وقال الأستاذ: أي لم يزالوا مجتمعين على تصديقه لما وجدوه في كتبهم إلى أن بعثه الله، فلما بُعِثَ / حسدوه وكفروا به، انتهى. وتوضيحه أن أهل الكتاب كانوا يستفتحون على المشركين ويقولون: سيظهر نبي آخر الزمان ونتبعه في الدين وينصره الله على أعدائه ويحصل العزّ والغلبة لأوليائه وكانوا يظنون أنه

405/أ

من بني إسحاق لأن أكثر أنبياء بني إسرائيل كانوا من نسله فلما جاءهم ما عرفوا من نعته لكن ظهر من نسل إسماعيل كفروا به نفياً وعدواً في حقه وكان المشركون من أهل مكة على ما سمعوا من آبائهم أنه يظهر نبي آخر الزمان من أبنائهم وأنه يكون شرفاً لهم في أثنائهم متواعدين أنه إذا ظهر يوافقونه ويتبعونه على توهم أن الشرك ملة إبراهيم، فما جاء بالإسلام وتوحيد الملك العلّام انقلبوا عليه ولم يلتفتوا إليه وتعصبوا على باطلهم لديه.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الآية 4] عما كانوا عليه بأن آمن بعضهم ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [الآية 4] وإفراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم حيث تفرقوا مع علمهم ببعث النبي وأتباعه وحسن مآلهم.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ [الآية 5] أي في كتبهم بما فيها ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 5] لا يشركون به أي وما أمروا هم وغيرهم إلا ليعبدوا الله دون غيره مخلصين له الطاعة عن الرياء والسمعة.

وأفاد الأستاذ: أن الإخلاص أن لا يكون شيء من حركاته وسكناته إلا لله، ويقال: الإخلاص تصفية الأعمال من الخلل في الأحوال، انتهى.

وقال الفضيل: العبادة لغير الله شرك وتركها لغيره رياء والإخلاص أن يخلصك الله منهما ﴿حُنَفَآءَ﴾ [الآية 5] مائلين عن العقائد الزائغة ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية 5] أي يديموا بإقامة العبادة البدنية والمالية فإنهما عمدة الطاعات الدينية لا سيما والصلاة ناهية عن المعاصي الدنية والأخلاق الردية ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [الآية 5] دين الملة أو القيمة أو دين الأمة المستقيمة أو طاعة القويمة.

وقال الأستاذ: أي الشريعة القيمة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 6] أي السابقين واللاحقين ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 6] أي يوم القيامة أو في الحال لملابستهم ما يوجب تلك العقوبة ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [الآية 6] حال كونهم مقيمين بها غير متحولين عنها ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [الآية 6] الخليقة. وقرأ نافع وابن ذكوان: البرية

بالهمزة على أصل الكلمة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [الآية 7] سبق مبنى ومعنى.

﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ [الآية 8] أي ثوابهم على طاعاتهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ﴾ [الآية 8] بساتين إقامة وأماكن نعمة وإدامة ﴿عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 8] أي من تحت الأشجار ذوات الأثمار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الآية 8] مديمين بها سرمداً ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [الآية 8] استئناف بما يكون لهم زيادة / على جزاءهم لقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التّوبَة: الآية 72]، ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [الآية 8] لأنه سبحانه بلّغهم أقصى أمانيهم مع حصول البقاء ووصول اللقاء، هذا وبلسان الإشارة معناه: تعلق رضى الله عنهم فرضوا عنه إلى الأبد ولولا رضاه السابق لما تصور منهم الرضى اللاحق فالرضاءان متلازمان وإن كانا باعتبار مبدئهما مختلفان كقوله سبحانه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: الآية 54].

405/ ب

وقال جنيد: الرضا يكون على قدر قوة العلم والرسوخ في المعرفة أراد به رضى العبد عن ربه.

وقال السري: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا، يعني إن كنت تريد رضا الله فارضى بما قدّره وقضاه أو علا رضاه عنك رضاك عنه.

قال الواسطي: الرضا هو النظر إلى الأشياء بعين الرضى حتى لا تسخط لشيء إلا بما سخط به المولى.

وأفاد الأستاذ: إن معنى الآية لم يبق لهم مطالبة إلا حقها لهم والرضى سرور القلب بمرّ القضاء. ويقال: سكون القلب تحت جريان حكم الرب.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 8] أي ما ذكر من الجزاء والرضا ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [الآية 8] في عالم الفناء ورضي بما جرى به القضاء، وإنما اقتصر على الخشية فإنها ملاك الأمر والباعث على كل ما فيه الأجر.

وقال سهل: الخشية سر والخشوع ظاهر ولعله أراد أن لا يغرك خشوع الظواهر لأن العبرة بأسرار الضمائر.



سورة الزلزلة

[مدنيَّة]
وهي تسع آيات(1)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة مَن تأملها بمعانيها ووقف على ما أودع في مبانيها رتعت أسراره في رياض من الإنس مونقة، واتفقت أفكاره بلوائح من اليقين مشرقة، فهي على جلال الحق شاهدة، وعلى ما يحيط الذكر ويأتي عليه الحصر زائدة.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الآية 1] اضطرابها اللائق بها في الحكمة أو المقدّر لها عند النفخة الأولى أو الثانية.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الآية 2] ما في جوفها من الدفائن أو الأموات من أهلها.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ [الآية 3] لما يبهرهم من فظيع أحوالها وشنيع أهوالها. وقيل: المراد بالإنسان الكافر الذي لا يؤمن بها.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ [الآية 4] الخلق بلسان قالها أو بيان حالها ﴿أَخْبَارَهَا﴾ [الآية 4] ما لأجله زلزالها وإخراج ما فيها، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه ينطقها الله فتُخبر بما عمل عليها.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الآية 5] بسبب إلهاء ربك إليها بأن أحدث فيها ما دل على الإخبار لها أو أنطقها بها.

---

(1)كذا في الأصل المخطوط.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية 6] يرجعون من قبورهم إلى موقف حشرهم ونشورهم ﴿أَشْتَاتًا﴾ [الآية 6] متفرقين بحسب مراتب أمورهم أو مختلفين في المسير فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [الآية 6] جزاء أعمالهم وفق أحوالهم، وقرىء بفتح الياء أي ليبصروا آمالهم وليعلموا مآلهم.

406/ أ قال سهل: يتبع كل أحد ما كان يعتمده/ ، فمن اعتمد فضل الله اتبع فضله، ومن اعتمد عمله اتبع عمله، ومن اعتمد الشفاعة اتبع الشفاعة.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الآية 7] الذرة النملة الصغيرة أو الهباء ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الآية 8].

قال القاضي: ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص العقاب والثواب. قلت: كذلك إن الصغيرة قد تكون موجبة للعقوبة إذا لم تكن مكفرة في مذهب أهل السنَّة خلافاً للمعتزلة على أنه لا يلزم في رؤية الأعمال ما يترتب على كل من العقوبة والمثوبة لأنه تعالى قد يثيب فضلاً وقد يعاقب عدلاً وقد يتعلق بعضها بالشفاعة أو تحقق المغفرة.



سورة العاديات

[مكيَّة]
وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة غيور لا يصلح لذكرها إلَّا لسان مصون عن اللغو والغيبة، ولا يصلح لمعرفتها إلا قلب محروس [أي منكوس][1] عن الغفلة والغيبة، ولا يصلح لمحبتها إلا الأرواح، محفوظة عن العلاقة والحجبة.

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ①﴾ [الآية 1] أقسم بإبل الحاج مما يلي ما قاله علي كرَّم الله وجهه، أو بخيل الغزاة على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما، ولا منع من الجمع، تعدو فتضبح ضبحاً، وهو صوت منخرياً أو صدرياً أو خفرياً عند ممدودها ونصبه على الحال سواء نصب بفعله أو يكون مصدراً بمعنى ضابحة.

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ②﴾ [الآية 2] أي فالتي تورى النار وتخرجها قادحة، والمعنى تورى بحوافرها النار إذا عدت وأصابت بسنابلها الحجارة بالليل إذا جرت. وقيل: المراد بالموريات الأسنة أو النفوس التي تورى الناس بعد انصرافهم من حرب الكفار.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾ [الآية 3] تغير بإغارة إبلها على العدو ﴿صُبْحًا﴾ [الآية 3] صباحاً ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾ [الآية 4] فهيَّجن بذلك الوقت على أن الباء للممارسة أو بالعدو فالباء للسببية ﴿نَقْعًا﴾ [الآية 4] غباراً أو صياحاً.

---

(1) من هامش المخطوط.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ [الآية 5] فتوسطن بذلك الوقت أو بالعدو أو بالنقع والمعنى ما تباث به ﴿جَمْعًا﴾ [الآية 5] من جموع الأعداء أو جمع المزدلفة مع الأحباء هذا وبلسان الإشارة يحتمل أن يكون القسم بالنفوس العادية إثر كمال إسرارهن الموريات بأفكارهن معازف أنوارهن المغيرات على الهوى والعادات وأثارهن إذا ظهر لهن مبدأ أنوار القدس ومنبع أسرار الأنس ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [الآية 4] بدا لهن شوقاً إلى مقام المقربين ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ [الآية 5] من جموع العليين.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الآية 6] أي جنسه ﴿لِرَبِّهِۦ﴾ [الآية 6] لإحسانه ونعمه ﴿لَكَنُودٌ﴾ [الآية 6] لكفور وقلّ ما يوجد فيهم شكور أو لعاص في حاله أو لبخيل في ماله أو جاهل بحاله ومآله، ولذا قيل: يرى ما منه ولا يرى ما إليه.

406/ ب قال الواسطي: / يطالع ما جرى منه في طاعة الله ولا يطالع ما جرى إليه من نعمة الله، فإذا شاهدت الأرواح حق استحقاقه للطاعة نسيت قيامها بالعبادات عند المشاهدة.

وأفاد الأستاذ: أنه قد يقال في معنى الكنود: يرى ما إليه من البلوى ولا يرى ما به من النعمى. ويقال: رأسه على وسادة النعمة وقلبه في ميدان الغفلة. ويقال: الكنود هو الذي ينسى النعم والمنن ويعد المصاب والمحن.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 7] أي الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 7] أي كنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾ [الآية 7] يشهد على نفسه لظهور أثره عليه في مقام أنسه، أو أن الله سبحانه على كنوده لشهيد، فيكون جملة معترضة حالية لتأكيد الوعيد.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ [الآية 8] المال الكثير ﴿لَشَدِيدٌ﴾ [الآية 8] لبخيل ممسك في جمعه وحفظه أو حريص قوي مبالغ في تحصيله.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ [الآية 9] بعث ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الآية 9] من الموتى في موقف الحشر والنشور ﴿وَحُصِّلَ﴾ [الآية 10] جمع عين أو ميّز وبيّن ﴿مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 10] من خير أو شر من الأمور، وتخصيصه لأنه الأصل ولأنه إذا أظهر ما في الصدر فغيره أولى في عالم الظهور ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 11] وهو يوم القيامة كسائر الأيام ﴿لَّخَبِيرٌۢ﴾ [الآية 11] عالم بما أظهروا وما أسرُّوا.



سورة القارعة

[مكيّة]
وهي عشر آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة إذا سمعها العاصون نسوا زلّتهم في جنب رحمته، وإذا سمعها العابدون نسوا صولتهم في جنب نعمته، كلمة من سمعها ما غادرت له شغلاً إلا كفته ولا أمراً إلا أصلحته ولا ذنباً إلا غفرته ولا أرباً إلا قضته.

﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [الآيات 1-3] سبق في الحاقة بيان مبناها وعند قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝٤﴾ [الحاقّة: الآية 4] بيان معناها.

وأفاد الأستاذ هنا: أن القارعة اسم من أسماء القيامة فاعلة من القرع وهو الصوت بالشدة، سميت بالقارعة لأنها تقرعهم بأهوالها.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [الآية 3] تهويل لأحوالهم ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ [الآية 4] المتفرق في كثرتهم وذلّتهم في بابهم وانتشارهم واضطرابهم ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [الآية 5] كالصوف ذي الألوان المندوف لتفرُّق أجزائها وتطايرها في جوّ أهوالها.

وأفاد الأستاذ: إن المعنى فيه أن أصحاب الدعوى وأرباب القوى في الدنيا يكونون أضعف ضعيف حين بعثوا في العقبى فإن القوى تسقط يومئذ

والدعوى تبطل حينئذ.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾ [الآية 6] أي بخيرات بأن يكون جميع أعماله طاعات أو بأن رجحت مقادير أنواع حسناته على أصناف سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ [الآية 7] ذات رضاء على أنها فاعلة للنسبة أو مرضية على أنها فاعلة بمعنى معفوله، ووزن الأعمال يكون بوزن / صحف الأعمال على قدر الأحوال. 407/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه قد يقال يخلق بدل كل جزء من أفعاله جوهراً فذلك وزن أعماله وحاصل كلامه أنه سبحانه يخلق الأعراض أجساماً ويجعلها ذوات بياض وسواد أقساماً، وهذا أبلغ في باب استيفاء الإعادة إن تعلقت بها الإرادة.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨﴾ [الآية 8] من الطاعات بأن لم يكن له حسنة يعبأ بها في عباداته أو ترجحت سيئاته على حسناته ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [الآية 9] أي فمأواه النار أو فأم رأسه ساقطة في النار لأنه من الكفار أو الفجار إلا أن الكافر مخلد فيها والفاجر مخرج منها بالأدلة الثابتة في حقها.

وقال الأستاذ: المراد بهم الكفار، ويؤيد ما اختاره قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾ [المؤمنون: الآية 103]، فعلى هذا حكم الفاسق مسكوت عنه في مقام الإنباء ليكون موقوفاً بين مقامي الخوف والرجاء.

ثم قال الأستاذ: إنه لم يرد الخبر بأن الأحوال توزن ويجازى على كل حالة مما هو كسب له أو يوصل إلى أسبابها مما يكسب منه، انتهى. ولا يخفى أن الأعمال باعتبار عمومه الشامل للظاهر والباطن متضمن للأحوال بل مدار الاعتبار على الأحوال فإنها نافعة بدون الأعمال وليست الأعمال كافية بدون الأحوال كما في خبر: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم

ولكن ينظر إلى قلوبكم ونيَّاتكم»[1]. والحاصل أن العمل بمنزلة الكمية والحال في مرتبة الكيفية ولا يزن الصيرفي إلا النقي لا الردي.

هذا وقيل للواسطي: هل يجوز أن يثقل الموازين بأعمالنا؟ قال: جاز ذلك لا من كل من كثرت أعماله وصفت أحواله بل الله سبحانه يثقل موازين من يشاء ويخفف موازين من يشاء، ألا ترى أن الله يقول: «الميزان بيد الله يرفع الله أقواماً ويخفض آخرين»[2] رفعهم في أزليته قبل كون الكون.

قلت: وكذا وصفهم في أزليته قبل بون البون ويؤيد قوله ما ورد في الدعاء النبوي: «اللهمَّ ثقِّل ميزاني»[3].

والهاوية من أسماء جهنم لكمال هولها جزاء لمن تبع نفسه وهولها بنعت رديئها ولذا قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠﴾ [الآية 10] أي ماهيتها وحقيقتها والهاء للسكت وأسقطها حمزة وصلاً.

﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ [الآية 11] ذات حرارة آنية بلغت غايتها ووصلت نهايتها فنسأل الله العافية.

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 328) رقم (10477)، من دون ذكر «نياتكم».
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (7/ 117) رقم (6557).
(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 724) رقم (1982).



سورة التكاثر

[مكيّة]
وهي ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز تقدّس في آزاله عن مكان ولم يحتج في آباده إلى زمان، لا يقطعه حدّ فاني يجوز في وصفه المكان ولا يقطعه عدّ فاني يجوز في وصفه زيادة أو نقصان.

407/ ب ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التّكاثُر: الآية 1] شغلكم التفاخر / بكثرة أقوامكم من أرباب المناهي وأصحاب الملاهي ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [الآية 2] أي إلى أن وصلتم إلى ذكر موتاكم في مقام التفاخر عن الأمور التي تعينكم في الدنيا وتعينكم في العقبى، أو معناه ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد في عبادة رب العباد وعن اتخاذ زاد المعاد إلى أن متم وصرتم مضيعين أعماركم في عمارة البلاد.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: شغلكم التكاثر بموتاكم عن الحياة بذكر مولاكم.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 3] ردع عن تلك الغفلة وتنبيه عن نوم الغفلة فإن العاقل ينبغي أن يكون جميع همه ومعظم سعيه للآخرة وإلا فعاقبة أمره وبال وخسارة وخسرة.

وقال سهل: سيعلم من أعرض عني أنه لا يجد مثلي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 3] خطأ آراءكم في متابعة أهوائكم إذا عاينتم ما وراءكم وهذا إنذار ليتنبهوا

من غفلتهم وينتهوا عن معصيتهم.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [الآية 4] تكرير للتأكيد وفي ثم إشارة إلى أن الثاني أبلغ في باب التهديد إلا أن التأسيس أولى، فقد ورد أن الأول عند الموت والثاني في القبر، وقد يقال: الأول في القبر والثاني عند الحشر والنشر.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 5] حقاً ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [الآية 5] أي لو تعلمون بين أيديكم علم الأمر اليقين لعلمكم ما تستيقنونه عند الموت أو يوم الدين لشغلكم ذلك عن غيره هنالك، فالجواب محذوف ولا يجوز أن يكون قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ [الآية 6] لأن وقوعه محقق فلا يصح أن يعلق بل هو جواب قسم مقدر أكد به الوعيد المقرر وأوضح به ما أنذرهم منه بعد إبهامه تفخيماً لأمره.

وقرأ ابن عامر والكسائي بضم التاء فيه بخصوصة ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ [الآية 7] للتأكيد والأولى إذا رأتهم من مكان بعيد، والثاني إذا وردوها أو المراد بالأول المعرفة بالنظر وبالثانية المشاهدة بالبصر ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [الآية 7] أي الرؤية التي هي نفس اليقين فإن علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين عند علماء الدين، وأما عند العارفين فالأعلى هو مرتبة حق اليقين ففي تفسير السلمي قيل: علم اليقين ما لا يعترضه الشكوك في أمر الدين.

وقال الحسين: علم اليقين ما يستجلب بالدلائل وعين اليقين ما لا نزاع له ولا اضطراب فيه.

وقال الخراز: عين اليقين هو أن يرفع الحجب عن قلوبهم ويتجلى لأسرارهم وأرواحهم ويكشف عن أوهامهم حتى يرده عين اليقين ويرجعوا عنه سكرى حيارى. وقيل: علم اليقين هو أن تعبد الله كأنك تراه عين اليقين مكاشفة الحق بشهادة الحق، وحق اليقين ما شهد الحق لنفسه بأنه الحق المبين انتهى، وقد يقال لتوضيح الحال بتصريح المثال أنه إذا كان أحد سمع بالغيب تيقن عنده وجود هذا الإرب / فإذا رآه تيقن عنده هذا المطلب، فإذا كله 408/ أ تحقق حقيقة الإرب وانتهى عن الطلب وتأدب في مقام الإرب.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ [الآية 8] الذي ألهاكم عن النعيم المقيم وأنهاكم إلى العذاب الأليم. فالخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن طاعة مولاه والنعيم مخصوص بما يشغله عن أمر عقباه. وقيل: يعمّان إذ كل يسأل عن شكره بالقيام في طاعته وذكره.

واختاره الأستاذ حيث أفاد إن المراد جميع ما أعطاهم الله من النعمة يطالبهم بالشكر عليها قال: ومن النعيم الذي يسأل العبد عنه تخفيف الشرائع والرخص في العبادات ويقال: الماء الحار في الشتاء والبارد في الصيف، ومنه الصحة في الجسد والفراغ بالبدن. ويقال: الرضا بالقضاء، ويقال: القناعة بالمعيشة، ويقال: هو المصطفى ﷺ يعني فإنه النعمة الكبرى والوسيلة العظمى إلى قرب المولى في الدنيا والأخرى بل هو جملة النعم بالنسبة إلى عامة الأمم، ولذا فسر قوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: الآية 112] أي برسول الله ﷺ والله سبحانه أعلم.



سورة العصر

[مكيَّة]
وهي ثلاث آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة مَن سمعها لم يدخّر عنها ماله لأنه علم أنه يحمد مآله ومن عرفها لم يؤثر على نفسه لأنه لم يجد بدونها إنسه ومَن صحبها لم يمنع عنها روحه إذ الحياة الأبدية له ممنوحة.

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾ [الآية 1] أقسم بصلاة العصر لفضله فإنه الصلاة الوسطى عند جمهور العلماء، أو بعصر النبوَّة عموماً أو بخصوص نبوَّة سيد الأصفياء وخاتم الأنبياء أو بجميع الدهر لاشتماله على غرائب القدرة وعجائب الحكمة.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [الآية 2] لفي خسران في مساعيهم ومكاسبهم ونقصان في صرف أعمارهم في مطالبهم كما قال بعض ذوي الحال: زيادة المرء في دنياه نقصان وزعم غير محض الخير خسران.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 3] بالمتعينات ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 3] من الطاعات والعبادات بتحسين النيات وتزيين الطويات بأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا واختاروا رضى المولى على مطالبة النفس والهوى ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 3] بالثابت الذي لا يصح إنكاره من اعتقاد أو عمل ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [الآية 3] على أمر الحق وصبر الصدق أو عن المعصية أو في المصيبة.

وفي «تفسير السلمي» قيل: التواصي بالحق هو المقام مع الحق والقيام

بأمره على حد الاستقامة وقدم الصدق. وقيل: التواصي بالصبر هو أن لا تشهد البلاء بحال.

وأفاد الأستاذ: أن في التفاسير أن قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 3] يعني أبا بكر أي لأنه أول من آمن وأفضل مَن أيقن ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 3] عمر، أي لأن عمله الصالح في زمانه كثروا واشتهر لقوله عليه السلام: «اللهمَّ أعزّ الإسلام بعمر»(1) ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 3] عثمان/(2) ولعل وجهه أنه أوصى إليه النبي ﷺ أنه إن أريد خلعه لا يقبله فإنه على الحق. ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [الآية 3] علياً ولعل وجهه أنه مأمورٌ بالصبر إلى أن يأتيه زمان ولاية الأمر أو لأنه احتاج إلى صبرٍ كثير مع مخالفيه من البغاة والخوارج وغيره رضي الله عنهم أجمعين.

408/ ب

قلت: فحينئذ يتعين أن يفسر العصر بعصر نبينا ﷺ متضمناً للنسبة المجازية وهو ذكر المحل وإرادة الحال فالقسم في الحقيقة ليس بذلك الزمان بل لما وجد فيه من النبي العظيم الشأن فتكون كقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البَلَد: الآيتان 1،2] فيكون الجمع بينهما مفيداً لعظمة زمانه ومكانه لعلو شأنه ورفعة برهانه. ثم قال: والخسران الذي يلحق الإنسان على قسمين في الأعمال ويتبين ذلك في المآل وفي الأحوال ويظهر ذلك في الوقت والحال من القبض بعد البسط والحجبة بعد القربة وللرجوع إلى الرخص بعد إيثار الأشق والأولى بالنص ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 3] وهو الإيثار مع الخلق والصدق مع الحق ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [الآية 3] على العافية أي على اغتنامها وسؤال تمامها لقوله عليه السلام: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»(3) فإن الجمع بينهما هو العافية فنسأل الله العافية وحسن العاقبة فلا

---

(1) انظر تفسير الرازي (17/ 114)، وتفسير النيسابوري (7/ 367)، وتفسير ابن أبي حاتم (5/ 376).

(2) انظر تفسير القرطبي (10/ 180).

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 341) رقم (7845)، والطبراني في المعجم الكبير (10/ 322) رقم (10786)، وابن ماجه في السنن (2/ 1396) رقم (4170).

صبر أتم منه.

ويقال: الصبر مع الله هو أشد أقسام الصبر انتهى. والمحققون على أن للصبر أقساماً منها الصبر لله أي عن معاصيه وعلى طاعاته لأجل مثوباته وهو للعامة والصبر بالله أي بتأييده وقوته وهو صبر المنسلخ عن حوله وقوته والصبر على الله أي على حكمه وهو صبر السالك الذي بريء عن التصرف والاختيار ويرى أن المتصرف فيه وفي غيره هو الواحد القهار فيصبر على أحكامه مع مكابدة آلامه، والصبر في الله وهو لأجل الحضور والمراقبة والصبر مع الله وهو لأهل القرب والمشاهدة والصبر عن الله وهو لأهل المحبة إذا أراد المحبوب فراق المحب وهو أشدها مرارة ولهذا لما سمعه الشبلي شهق وخرّ مغشياً عليه، وفي هذا المقام قال من قال:

أريد وصاله ويود هجري فأترك ما أريد لما يريد[1]

---

(1) سبق التعليق على هذا البيت، وفي الهامش كلام غير عربي.



سورة الهمزة

[مكيّة]
وهي تسع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم مَن لا غرض له في أفعاله، اسم مَن لا عوض عنه في جلاله وجماله، اسم مَن لا يصبر العبد عنه مختاراً، اسم مَن لا يجد الفقير من دونه قراراً، اسم من لا يجد عن حكمه فراراً.

﴿وَيْلٌ﴾ [الآية 1] أي عذاب عظيم وحجاب جسيم حاصل ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الآية 1] في عرض المؤمنين ويبالغ في بهتان المطيعين.

وأفاد الأستاذ: إن الهمزة الذي يقول في وجهه واللمزة الذي يقول من خلفه. ويقال: الهمز بتلويح الإشارة واللمز بتصريح العبارة. ويقال: الهمزة الذي يقول ما في الإنسان واللمزة الذي يتكلم بالبهتان.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ [الآية 2] بدل من كل، وفيه إشعار بأن جمع المال هو الذي أطغاه واشتغل عن عيبه واتبع هواه وذهل في محبة مولاه واستعداد زاد عقباه. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بتشديد الميم لتكثير ما عنده من النعم وفيه إيماء إلى كفران نعمته واستحقاق / عقوبته، وإن زيادة المال نقصان في الحال والمآل ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ [الآية 2] جعله عدة لنوازل الدنيا أو عدة مرة بعد أخرى، ويؤيد هذا المرام أنه قرىء شاذاً وعدده بفك الإدغام.

409/ أ

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾ [الآية 3] يظن أن ماله أو كل ماله أبقاه خالداً في الدنيا فأحبه كما يحب الخلود ودوام الوجود أو حب المال أغفله عن الموت

والمآل أو طول الآمال أذهله حتى حسب أنه مخلد في المآل فعمل من لا يظن الموت بحال، وفيه تعريض بأن سبب الخلود في النعم هو السعي لوجه ربه الكريم. وقيل: تقديره أيحسب بهمزة الإنكار.

وقال ابن طاهر: يظن أن ماله يوصله إلى مقام الخلد. وقال بعضهم: جمع المال من علامة الجهل بالمآل وحب المال من علامة النفاق في الأعمال والبخل بالمال من علامة الكفر في الحال. وقيل: من كان غناه بماله فهو فقير ومن كان غناه بجاهه فهو حقير ومن كان غناه بعشيرته فهو أبله ومن كان غناه بمولاه فغناه بمولاه.

وزاد الأستاذ: إن الأنس بغير الله وحشة والعز بغير الله مذلة.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 4] ردع له عن حسبانه.

وقال الأستاذ: المعنى ليس كذلك ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ﴾ [الآية 4] في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يطرح فيها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥﴾ [الآية 5] ما النار التي لها هذه الخاصية وهو تهويل وتنبيه على عدم إدراك حقيقة هذه الماهية.

﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 6] تفسير لما قبله أي هي نار الله العظيم البرهان فالإضافة لتفخيم الشأن ﴿ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [الآية 6] التي أوقدها الله وما أوقده لا يقدر أن يطفئه ما سواه.

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الآية 7] لعلو وسائط قلوب أهل العيوب وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في الأعضاء وأشد تألماً من سائر الأجزاء ولأنه محل العقائد الرديئة ومنشأ الأعمال الدنية وفيه إيماء إلى أن العاصي من المؤمنين ولو دخل النار لا يكون عذابه مثل عذاب الكفار ولذا قيل: التعذيب في حقه التهذيب بالسعير كتنظيف الزلات في الكبر.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾ [الآية 8] من فوقهم ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الآية 8] مطبقة مغلقة. وقرأ أبو

عمرو وحفص بالهمزة وكذا في الوقف حمزة.

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الآية 9] أي موثقين في أعمدة ممدودة. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عمد بضمتين.

وأفاد الأستاذ: أن نيران المعرفة إذا اتقدت في قلب المؤمن أحرقت كل سؤال وأرب فيه ولذلك تقول جهنم غداً: «جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي»[1].

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (22/ 258) رقم (668).



سورة الفيل

[مكيَّة]
وهي خمس آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم غني من أطاعه أغناه ومن خالفه أضاعه وأقماه، اسم عزيز من وافقه رقّاه إلى الرتبة / العليا ومن خالفه ألقاه في المحنة الكبرى. 409/ ب

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١﴾ [الآية 1] الخطاب للحضرة النبوية وإن لم يشهد بحسب النظائر تلك القضية لكن لما شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها وعلمها بأسرارها، ولم يقل ما فعل ليكون إيماء إلى تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وشموله وعزِّه وشرف رسوله، فإنها من الإرهاصات وهي الكرامات من خوارق العادات مقدمة لثبوت رفعة مرتبة صاحب النبوة إذ روي أن مولده عليه السلام كان تلك السنة وقصتها أن أبرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس (بمعنى المرتفع) فأراد أن يصرف إليها الحاجّ فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلاً (أي قضى حاجته) فأغضبه ذلك فحلف ليهدمنّ كعبته، فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة أخرى فلما تهيأ للدخول وعبّأ جيشه قدّم الفيل فكان كل ما وجّهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى جهة أخرى هرول، فأرسل الله طيراً كل واحدة في منقارها حجر وفي رجلها حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فرمتهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعاً. وكيف نصب بالمصدرية بفعل ألم تر لما فيه من معنى الاستفهام فله الصدارة في المقام فلا يجوز تقدم العامل عليه بل هو معمول فعل مؤخر عنه.

وقال الأستاذ: أي ألم ينته إليك فيما أنزل عليك علم ما فعل ربك بأصحاب الفيل دلالة على تخصيص الله البيت العتيق الذي بناه الخليل الجليل بالحفظ والكلاءة على وجه التبجيل. ثم قال: فلما قرب أبرهة من مكة استاق مائتي بعير لعبد المطلب فأخبر به فركب إليهم فعرفه رجلان فقال: ارجع فإن الملك غضبان، قال: واللات والعزى لا أبرح إلا بإبلي، فقيل لأبرهة: إنه سيد قريش ردّ عليه اليوم إبله فإنه يكون لك غداً إذا هدمت البيت. فردّها عليه فرجع وتعلق بحلقة البيت وكان يقول: اللّهم إن العبد منع رحله فامنع رحلك، انتهى.

وروي أن عير مكة مدحوا عبد المطلب عند أبرهة بأنه يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فقال له: سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فألهاك عنه ذود أُخذ لك، فقال: أنا رب الإبل أطلبه وللبيت رب يمنعه/. 410/أ

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ [الآية 2] أي مكرهم في تعطيل الكعبة وتخريب البقعة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الآية 2] في تضييع بأن دمّرهم وعظم شأنها في نظرهم.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا﴾ [الآية 3] أي خضراً من جهة البحر ﴿أَبَابِيلَ﴾ [الآية 3] جماعات متفرقات اسم جمع لا واحد له.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] من طين متحجر، معرّب سنك كل. وقيل مأخوذ من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدوّن حتى قيل: كتب على كل حجر اسم صاحبه.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الآية 5] كورق زرع أكل حبه وبقي تبنه.

قال الأستاذ: إذا كان عبد المطلب وهو كافر أخلص في التجائه إلى الله في استدفاع البلاء عن بيت الله فإن الله ما خيب رجاءه وسمع دعاءه فالمسلم المخلص إذا دعا مولاه لا يرده خائباً في دنياه وعقباه. ويقال: إنما قرب الإجابة منه لأنه لم يسأل الله لنفسه وإنما سأل لأجل البيت المنسوب إلى ربه وما كان لله فهو لا يضيع في أمره.



[مكيّة]
وهي أربع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: الباء منه تشير إلى براءة ساحة الموحدين عن حسبان الحدثان وعن شبه مما لم يكن فكان بتمام الانقطاع إلى الله في السراء والضراء والشدة والرخاء، والسين تشير إلى سكونهم تحت جريان ما يبدو من الغيب في جميع أحوالهم، والميم تشير إلى منة الله عليهم في التحقيق لا تحققوا به من معرفته ولا تخلقوا به من طاعته.

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ [الآية 1] أي اعجبوا لوالفتهم على ما آلفهم فيما بينهم.

﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾ [الآية 2] بدل مما قبله بدل الاشتمال لا من باب الإطلاق والتقييد كما قال بعض أرباب المقال، وقرأ ابن عامر: لإلاف بغير ياء بعد الهمزة وهو مصدر آلف على وزن فاعل قبله أو مصدر ألف كفعل نحو: كتب كتاباً، والأول أنسب للمطابقة والثاني أقرب للمغايرة فيكون معناه لإلفتهم ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾ [الآية 2] على اليمن لاعتدال هوائه ﴿وَٱلصَّيْفِ﴾ [الآية 2] إلى الشام لاشتداد شتائه. وقريش ولد النضر ابن كنانة رأس قبائلهم وكانوا يسيرون إليهما للتجارة أو لما يحتاجون من الطعام والكسوة وكان أهلهما يعظمونهم ويراعون أحوالهم ويحفظون أموالهم. وقيل: المعنى جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش وهو بعيد من جهة المبنى والمعنى فإنه سبحانه ما أهلكهم إلا لتعظيم بيته لا

لسكان حرمه فإنهم كانوا كفرة فجرة ليس لهم عظمة ولا حرمة وكان قائله غرّه أنهما في مصحف أبي سورة واحدة وهو غير لازم منه، وقيل متعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾/ [الآية 3] والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى إن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر النعماء فليعبدوه لأجل إيلافهم رحلة الشتاء، ويؤيده بحسب المعنى ما ورد: اعبدوا لما يعدوكم من نعمته. 410/ ب

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ [الآية 4] أي من أجل جوع بهم أو بدل جوع فيهم ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [الآية 4] أي من خوف التخطف في بلدهم لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: الآية 67].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنعم عليهم بأن كفاهم الرحلتين بجلب الناس الميرة إليهم من الشام واليمن، يعني ومن سائر الأطراف بإتيان التحف على وجه الإتحاف كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا﴾ [القَصَص: الآية 57] آمناً يجيء إليه ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القَصَص: الآية 57] أي قدر الأمن منا ونعمة الرزق عنا.

قال: ووجه المنة في الإطعام والإيمان هو أن يتفرقوا إلى العبادة فإن لم يكن يكفي الأمور لا تسهل له الطاعة ولا تساعده القوة ولا القلب بكل وجه إلا عند السلامة، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ [البَقَرَة: الآية 155] فقدم الخوف والجوع على جميع أنواع البأساء. قلت: ولعل وجهه أن الجوع أشد بلاء من جهة الباطن كما ورد: اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع»[1] وأن الخوف من الأعداء أشد بلاء من الخارج، ولعل تقديم

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1113) رقم (3354)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 452) رقم (7903)، وابن حبان في الصحيح (3/ 304) رقم (1029)، وأبو يعلى في المسند (11/ 297) رقم (6412).

الخوف على الجوع في هذه الآية لأنه في نفس الأمر أشد من الجوع في الصبر، وتقديم الإطعام من الجوع في هذه السورة لأنهم كانوا إليه أحوج لكونهم غالباً في حال الأمن من الخوف.



[مكيَّة]
وهي سبع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة سماعها غذاء أرواح المحبين، ضياء أسرار الواجدين، شفاء قلوب المهيّمين، بلاء مهج المساكين، دواء كل فقير مستكين.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ [الآية 1] أي بالإسلام وبالجزاء في دار المقام، والاستفهام بمعنى التعجب والاستعظام والموصول يحتمل الجنس والعهد ويؤيده قوله ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الآية 2] يدفعه دفعاً عنيفاً مع أنه يستحق التكريم وهو أبو جهل كان وصياً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه عن حقه، أو أبو سفيان فإنه نحر جزوراً فسأله يتيم لحماً فقرعه بعصاه وما أعطاه.

قال الأستاذ: وإنما يدع اليتيم لأنه نزع الرحمة من قلبه ولا ينزع الرحمة إلا مَن قلبه شقي عند ربه.

﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ [الآية 3] أي لا يحثّ أهله وغيرهم ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الآية 3] أي على إعطائه لأنه في شح نفسه وسِرِّ نحله.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الآيتان 4،5] غافلون عنها لاهون فيها غير سائلين /بها. 411/أ

وأفاد الأستاذ: أن الساهي عن الصلاة هو الذي لا يصلي ولذا لم يقل

في صلاتهم ساهون ولو قاله لكان الأمر عظيماً انتهى.

وعندي أن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الآية 6] تفسير لما قبله فهم الذين يصلون ولكن عن حقيقة صلاتهم ساهون وعن زبدة عبادتهم غافلون حيث يراؤون الخلق ولا يراعون الحق فيرون الناس بأعمالهم ولا يرون أن الله سبحانه مطلع على أحوالهم، وهذا يشمل صلاة المنافقين والمرائين والغافلين ويؤيد ما قررنا نقل السلمي في تفسير عن بعض العارفين أنهم الذين لا يحضرونها بشهود قلب ورعاية حقوق المناجاة وخشوع الجوارح فيها حيث لا يعلمون أن الصلاة مواصلة بين العبد وبين ربه فإذا لم يراع حقوقها كانت مفاصلة.

وقال أبو العباس بن عطاء: ليس في القرآن وعيد صعب إلا وبعده وعد لطيف غير هذه الآية ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الآية 4] ذكر الويل إن صلاها بلا حضور من قلبه فكيف بمن تركها رأساً. وأقول: قد يكون تارك الصلاة من أصلها أقرب إلى المغفرة من أهل النفاق والرياء في العبادة لمخادعتهم الخلق ومطالعتهم الحق واعتماده على كرم الله مع خوفه من العقوبة في دنياه أو عقباه، ولذا قيل: معصية أورثت ذلاً واستصغاراً خير من طاعة أوجبت عنتاً أو استكباراً.

أو ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الآية 7] أي يتعاور في العادة فضلاً عن الزكاة والصدقة فعن ابن مسعود ما يستعار في العادة كالنار والقدر والدواة والمقدحة ونحوها، وعن عائشة: الماء والنار والملح وأمثالها. وقد يكون منع هذه الأشياء محظوراً إذا استعيرت اضطراراً وقبيحاً في المروءة في غير حالة الضرورة.

وفي «تفسير السلمي» قيل: يبخلون ببذل المال على الخلق والمهج في رضاء الحق كما فعله الصدِّيق لما قال له النبي عليه السلام: «ماذا أبقيت لنفسك، قال: الله ورسوله»[1].

وقال الأستاذ: يدخل فيه البخل بنفع الخلق بما هو ممكن ومستطاع، يعني كالجاه والتعليم والنصيحة والمساعدة والمعاونة والمساهلة في المعاملة.

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (2/ 104) رقم (1298).



سورة الكوثر

[مكيّة]
وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الأستاذ: اسم جليل يجل العبد بإجلاله ولا يجل هو إلا باستحقاق علوه في آزاله، اسم عزيز من شأن إفضاله وإقباله وأذلّ أعداءه بسلاسله وأغلاله وبالتخليد في جحيمه وأنكاله.

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الآية 1] فوعل من الكثرة للمبالغة أي الخير المفرط الكثرة من النبوة المرسلة في الدنيا ومرتبة الوسيلة ومقام الشفاعة في العقبى.

411/ب روي عنه ﷺ/ : «أن نهراً في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد، حافتاه الزبرجد وأوانيه من الفضة لا يظمأ من شرب منه وأول من ورد به فقراء المهاجرين الدنس الشّياب الشعث الرؤوس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم أبواب السد ويموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره، لو أقسم على الله لأبرّه»[1]، وهو لا ينافي ما ورد من أنه حوض الكوثر في الموقف على خلاف أنه قبل الصراط أو بعده فإنه ينصب من ذلك النهر فيه. وقيل: المراد كثرة أولاده وأتباعه أو علماء أمته.

---

(1) تفسير الكشاف (7/ 331)، وتفسير أبي السعود (9/ 205).

وأقول كما قال سيد الورى: «كل الصيد في جوف الفرا»(1).

وقال جعفر الصادق: أي نور في قلبك دلّك علينا وقطعك عمّا سوانا.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الآية 2] أقدم على الصلاة الجامعة للعبادات القلبية والقالبية من اللسانية والأركانية خالصاً لوجه الله ذاهلاً عن ملاحظة ما سواه شكراً لما أعطاك من نعماه ﴿وَٱنْحَرْ﴾ [الآية 2] البدن التي هي خيار أموال العرب وتصدق على أهل الاحتياج إلى هذا الأرب. أو المراد بالصلاة صلاة العيد وبالنحر التضحية بالوجه السديد ليكون جامعاً بين العبادة البدنية والطاعة المالية. وقيل: انحر استقبل القبلة بنحرك أو ارفع يدك في صلاتك إلى نحرك وضع يمينك على يسارك في الصلاة تحت نحرك. ولا يبعد أن يقال بطريق الإشارة: دم على المواصلة في مشاهدة الحق وانحر نفسك بالمقاطعة عن ملاحظة الخلق.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ [الآية 3] أي مبغضك لبغضه لك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الآية 3] أي منقطع الخير متصل الشر بأنه في الخير لا يذكر، والمعنى أنه منقطع عن خيرات الدنيا ومثوبات العقبى أو الذي لا عقب له إذ لا يبقى منه نسل ولا حسن نقل وأما أنت فيبقى ذريتك وحسن وصيتك وآثار فضيلتك وأنوار نبوتك إلى يوم القيامة ولكن ما لا يدخل تحت الوصف في الآخرة من أنواع الكرامة.

(1) انظر المقاصد الحسنة (1/ 515) رقم (826)، وكشف الخفاء (2/ 121) رقم (1977).



سورة الكافرون

[مكيَّة]
وهي ست آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة من آمن بها أَمِنَ من زوال النعمى حظي بنعيم الدنيا والعقبى، سعد سعادة لا يشقى، وجد ملكاً لا يفنى، بقي في العز والعلا.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الآية 1] يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم أنهم غير مؤمنين. روي أن رهطاً من قريش قالوا: يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلٰهك سنة، فنزلت: ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾ [الآية 2] في الاستقبال ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الآية 2] في الحال ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾ [الآية 3] في الاستقبال ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ [الآية 3] في الحال ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ﴾ [الآية 4] في الحال ﴿مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ [الآية 4] في الحال الماضي من الأحوال ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥﴾ [الآية 5] في وقت ما، ويجوز أن يكون للتأكيد للمبالغة في أمر التوحيد. وإنما قال ما دون من لأن المراد الصفة كأنه قال: لا أعبد الباطل/ ولا تعبدون الحق أو لمطابقة المقابلة وموافقة المشاكلة. وقيل: ما مصدرية. 412/أ

﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ [الآية 6] الذي أنتم عليه لا تتركونه ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ [الآية 6] قرأ نافع وهشام وحفص بفتح الباء وكذا الذي بخلاف عنه، أو ديني الذي أنا عليه لا أفارقه فليس فيه إذن في الكفر لبعض العباد ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخاً بآية القتال. وقد فسّر الدين بالحساب والجزاء والعبادة والدعاء فيكون كقوله تعالى: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ [القَصص: الآية 55].

وأفاد الأستاذ: أن العبودية القيام بحق أمره على الوجه الذي أمر وبالقدر الذي أمر وفي الوقت الذي أمر. ويقال: صدق العبودية في ترك الاختيار، ويظهر ذلك في السكون تحت تصاريف الأقدار. ويقال: العبودية انتفاء الكراهية بكل وجه من القلب كيف ما صرفك المولى الرب إن كان حالك طوعاً وإلا فتربيتم كرهاً.



سورة النصر

[مدنيَّة]
وهي ثلاث آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم كريم ينصر ويستر ويعلم وعلم ويمدح ولا يفضح ويعفو جميع ما يجترم العبد ويهفو، يعصي العبد على التوالي ويغفر الحق ولا يبالي.

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 1] إياك على أعدائك ﴿وَٱلْفَتْحُ﴾ [الآية 1] وفتح لك مكة بلدة أحبائك، وإنما عبر عن الحصول والوقوع بالمجيء إشعاراً بأن المقدرات الإلٰهية متوجهة من الأزل أوقاتها المعيّنة له فتقرّب منها شيئاً فشيئاً فكأنها تجيء مشياً، والمعنى قد قرب النصر من وقته فكن مترقباً لوروده مستعداً لشكر نعمته.

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [الآية 2] أي يسلمون جماعات كثيرة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبال العرب، ويدخلون حال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت. وكان فتح مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ومع رسول الله ﷺ عشرة الآف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب وحين دخلها وقف على باب الكعبة وقال: «لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده»[1] وأقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج إلى هوازن.

---

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 878) رقم (2628)، والبيهقي في السنن الكبرى (8/ 68) رقم (15896)، وابن حبان في الصحيح (13/ 364) رقم (6011).

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الآية 3] فتعجب لتيسير الحق ما لم يخطر ببال أحد من الخلق حامداً له على فتحه، أو فصلِّ له حامداً على نعمه. روي أنه لما دخل الكعبة وصلى ثمان ركعات أو فأثنى على الله تعالى بصفات الجلال حامداً له على نعوت الجمال ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [الآية 3] هضماً لنفسك واستصغاراً لعملك واستدراكاً لما فرط منك بالالتفات إلى عز ربك. فعنه عليه السلام: «إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة»[1]. وقيل: استغفره لأمتك وتقديم التسبيح والحمد على الاستغفار عن طريق التنزل من المؤثر إلى الآثار كما قال الشبلي: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبل أن كان في آزاله/ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [الآية 3] 412/ ب موصوفاً بقبول التوبة لمن استغفر عن سوء أعماله أو رجّاعاً بالمغفرة والرحمة لمن رجع عن مساوىء أحواله.

والأكثر على أن السورة نزلت قبل فتح مكة وأنه نعي لرسول الله ﷺ لأنه لما قرأها بكى العباس رضي الله عنه فقال عليه السلام: «ما يبكيك، قال: نعيت إليك نفسك، قال: إنها لكما تقول»[2] وذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمر النبوة واستقامة حال الأمة فهي كقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: الآية 3] فإن الكمال يؤذن بالزوال إلا كمال الملك المتعال فإنه لا يزال بخلاف كمال غيره فإن حصوله بالانتقال من الحال إلى حال.

وقال ابن عطاء: إذا شغلك به عما دونه فقد جاءك الفتح من عنده، والفتح هو النجاة من السجن والبشرى بلقاء الله.

وقال الواسطي: إذا فتح عليك العلوم فسبِّح بحمد الله واستغفره عما صدر عنك من قلة العلم مما أريد منك.

وأفاد الأستاذ: أن النصر من الله سبحانه له بأن أفناه عن نفسه وأبعد

---

(1) سبق تخريجه.

(2) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (4/ 319) رقم (1556).

عنه أحكام البشرية وصفّاه عن الكدورات النفسانية، وأما الفتح فهو أن رقّاه إلى محل الدنوّ والقربة واستخلصه بخصائص الزلفة وألبسه لبسة الجمع واصطلمه عنه بالحفظ والمنع وأظهر عليه ما كان قبل مستوراً لديه من أسرار الحق وأنوار الصدق وعرّفه من كمال معرفته به لديه ما كان جميع الخلق متعطشاً إليه.



سورة اللهب [المسد]

[مكيّة]

وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة جبَّارة للمذنبين تجبر أعمالهم وتحقِّق آمالهم، وللعارفين تُصغر في عينهم أحوالهم وتكمل عن شواهدهم امتحانهم واستئصالهم. وفي التحقيق حقق بذلك بعد فنائهم عنهم وصالهم.

﴿تَبَّتْ﴾ [الآية 1] خسرت وهلكت ﴿يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [الآية 1] أي نفسه، وقيل إنما خصتا لأنه عليه السلام لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 214] جمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب هنالك: ألهذا دعوتنا، وأخذ حجراً ليرميه به. وقيل: المراد بهما دنياه وأخراه وإنما كنّاه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها أو لأن اسمه عبد العزى فاستكره ذكرها أو لأنه لما كان من أهل النار كانت الكنية أوفق بحاله وأنسب وليجانس قوله: ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [الآية 3]. وقرىء أبو لهب كما كتب علي بن أبي طالب..

قال أبو بكر بن ظاهر: أي ظهر خسران مَن لم ينزلك المنزلة التي نزلناك من الدنو والقربة والمحبة والنبوة خسراناً أولاً وآخراً ﴿وَتَبَّ﴾ [الآية 1] إخبار بعد إخبار للتأكيد في باب الإظهار والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه الآتي أو لما سبق في علمه وقضائه الأزلي، ويدل عليه أنه قرىء: وقد تب أو الأول إخبار عما كسبت يداه/ والثاني عن نفسه في مهواه. 413/ أ

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ [الآية 2] نفي لإغناء المال عنه حين ينزل به تباب الحال، أي ما أغنى عنه ماله شيئاً من سوء حاله ووخامة مآله، أو استفهام إنكار له ومحله النصب، أي أيّ غناء أغنى ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ [الآية 2] أي كسبه، فما

مصدرية أو موصولة أي مكسوبة بماله من النتائج والأرباح والوجاهة والاتباع، أو عمله الذي ظن أنه ينفعه في مقام المرام، أو ولده عتبة وقد افترسه أسد في طريق الشام حال كونه أحاط به جماعة من الأنام ومات أبو لهب بالعدسة [وهي بثرة تخرج بالإنسان تشبه العدس وهي من جنس الطاعون.....][1] بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ثلاثاً حتى أنتن خوفاً من العدوى، ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه، قيل في طريق العمرة، وقاربه في هذا الزمان ظالم كنّي بأبي لهب فهو إخبار عن الغيب طابقه وقوعه بلا ريب.

﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا﴾ [الآية 3] أي نار جهنم يلزمها بعدما يدخلها لا يبرح منها ﴿ذَاتَ لَهَبٖ﴾ [الآية 3] اشتعال وتلهُّب.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ [الآية 4] عطف على المستكن في سيصلى أو مبتدأ أو هي أم جميل أخت أبي سفيان والمشهور أنه بالجيم وأنا أقول بالحاء المهملة لقوله ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [الآية 4] بالرفع على الخبرية أو البداية، يعني حطب جهنم فإنها كانت تحمل الأوزار في معاداة النبي المختار وهي كالحطب من أسباب النار أو حزمة الشوك والمسك والسوان فتنثرها بالليل في طريقه ﷺ. وقرأ عاصم بالنصب على الشتم.

﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾ [الآية 5] أي مما مسد يعني من ليف فُتِل وأحكم وتسيد وهو تصوير لها بصورة الحطّابة تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيراً لشأنها أو بياناً لحالها في نار جهنم وأهوالها حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع، وفي جيدها سلسلة من النار والطرف في موضع الحال إذا تمَّ الكلام قبله أو الخبر وحبل مرتفع به.

وقال الأستاذ: أي سحقاً لمن يعرف مرتبة قدرك وبرهانك وبعد المن لم يشهد ما خصصناك به من رفعة محلك وشأنك ومن ناصبك كيف ينفعه ماله والذي أقميناه لأجلك متى تزكو أعماله إن إلى الهوان والخزي مآله وعلى أقبح حال حال امرأته وعياله.

(1) كلام من الهامش.



[مكيّة]

وهي أربع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة عزيزة عزَّ لسان ذكرها وأطيب منه قلب عرفها وأعزّ منه روح أرجها وأشرف منه سرّ شهدها ليس كل من قصدها وجدها ولا كل من وجدها بقي معها وشهدها.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الآية 1] جواب لما قال المشركون: صف لنا ربك الذي تدعونا إليه، فمعنى هو أي للذي سئل عنه هو أحد بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات/ الجلال كما يدل الجلال على جميع نعوت الكمال إذ 413/ ب الواحد الحقيقي ما يكون منزَّه الذات من أنحاء التركيب والتعدد كما هو لازم الممكنات وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتجزئة والمشاركة في الحقيقة والماهية كوجوب الوجود ونعت الفردانية والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية.

قال ابن عطاء: هو هو ولا يقدر أحد أن يخبر عن هويته إلا هو لا عبارة لأحد عنه حقيقة إلّا له عن نفسه فيخبر عن نفسه بحقيقة حقه وغيره يخبر عنه على حد الإذن فيه، وأمره فأخبر عن نفسه بأنه هو الله أشار من نفسه إلى نفسه إذ لم يستحق أحد أن يشير إليه سواه، فمن أشار إليه فإنما أشار إلى إشارته إلى نفسه. فمن تحقق إشارته إلى إشارته بالتعظيم والحرمة كانت إشارته صحيحة على حد الصواب ومن وقعت إشارته على حد الدعوى بطلت

إشارته وتعطلت عبارته وقعدت عن معادن الحقيقة ومنابع الطريقة. وقد يقال: ضمير هو للشأن فيقيد المبالغة في البيان أو للإشارة إلى حضور ذكر الرب في القلب وإيماء إلى أن الله تعالى يتعين للتوجه إليه والإقبال عليه فلا يقتصر إلى التصريح بذكره ولا يذهب الوهم إلى غيره.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الآية 2] السيد الذي يُصمد إليه في المطالب ويُقصد إليه في المآرب، وقيل الصمد المستغني عن كل أحد، وقيل الصمد الذي لا يدرك حقيقة ذاته وكنه صفاته.

قال جعفر الصادق: جلَّ ربنا أن تدركه العقول والفهوم والعلوم بل كما وصف نفسه والكيفية عن وصف نفسه غير معقول فسبحانه أن يصل الفهوم والعلوم إلى كيفية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: الآية 88] وله الوحدانية الأزلية والأبدية والمشيئة والقدرة الذاتية.

وقال الأستاذ: ويرجع تحقيق قول من قال إنه الذي لا جوف له إلى أنه واحد لا ينقسم في ذاته.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الآية 3] لأنه لا يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الآية 3] لأنه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الآية 4] أي ولم يكن له أحد يكافئه ويماثله من صاحبة وغيرها. وقرأ حفص: كفؤاً بالواو بدل الهمزة وحمزة بسكون الفاء وصلاً مع الهمزة وبالواو وقفاً.

قال أبو سعيد الخراز: إن الله عزَّ وجلَّ أول ما دعا عباده دعاهم إلى كلمة واحدة فمن فهمها فهم ما وراءها وهو قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 1] فتم به المراد للخواص ثم زاد بياناً للأولياء فقال: ﴿أَحَدٌ﴾ [الآية 1] ثم زاد بياناً للأصفياء فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الآية 2] ثم زاد بياناً فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الآيتان 3،4] فمن فهم معنى الله/ 414/أ استغنى به عما سواه فأهل الحقائق استغنوا بالله لعلو مناقبهم وهذه الزيادات لمن

تنزّلت مرتبته عن مراتبهم.

وأفاد الأستاذ: أن السورة بعضها تفسير لبعض من هو الله؟ هو أحد، من الأحد؟ الصمد، من الصمد؟ الذي لم يلد ولم يولد، من الذي لم يلد ولم يولد؟ الذي لم يكن له كفواً أحد. ويقال: كاشف الأسرار بقوله هو كاشف الأرواح بقوله: الله وكاشف القلوب بقوله أحد، وكاشف النفوس بباقي السورة. ويقال: كاشف الوالهين بقوله: هو، والموحدين بقوله: الله، والعارفين بقوله: أحد، والعلماء بقوله: الصمد، والعقلاء بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الآيتان 3،4].



سورة الفلق

[مكيّة]
وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز إذا تجلى لقلب فإن لاطفه بجماله أحياه وإن كاشفه بجلاله أباده وأفناه، فالعبد في حالتي بقاء وفناء ونحو وصحو ووجد وفقد.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الآية 1] أي الفجر، ومنه قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: الآية 96] أو فلق البحر كما وقع لبعض أرباب الفلاح.

وقال محمد بن علي الترمذي: عطف الله على قلوب خواص عباده فقذف فيها النور والضياء فانفلق الحجاب وانكشف الغطاء.

وأفاد الأستاذ: إن الفلق يقال وادٍ في جهنم يستعذ منه جهنم والله أعلم. ثم وجه تخصيص الأول على ما هو المعوّل لأن فيه كفاية شر الليل إذ هو أدهى الويل ولما فيه من تغير الحال إلى حسن المآل وتبدُّل وحشة ظلمة الليل بسرور نور النهار ومحاكاة فاتحة يوم القيامة في دار القرار، وللإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل قدر أن يزيل عن العائذ ما يخافه من الويل. وتخصيص لفظ الرب في هذه القضية لأن الإعاذة من المضار نوع من التربية.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الآية 2] أي من الشرور كلها من الاختياري اللازم والمتعدي كالكفر والظلم والطبيعي كإحراق النار وإهلاك السم وفيه إيماء إلى أن

جميع المخلوقات ما يخلو عن شر يفضي إلى بعض الآفات.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ [الآية 3] ليل عظم ظلامه للأشياء ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الآية 3] دخل ظلامه في كل شيء حتى ملأ الدنيا لأن المضار فيه تكثر والدفع فيه يصعب ويعسر، وفي الحديث أنه ﷺ أخذ بيد عائشة رضي الله عنها ونظر إلى القمر فقال: «تعوذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب»[1] أي دخل في الكسوف أو غاب وغرب.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] أي النفوس من السواحر يعقدن عقداً في الخيط وينفثن عليها حال الربط والنفث نفخ من ريق وتخصيصه لما روي أن يهودياً سحر النبي ﷺ في إحدى عشرة عقدة في وتد ودسه/ في بئر 414/ ب فمرض النبي ﷺ فنزلت المعوذتان وأخبره جبريل بموضع السحر فأرسل علياً كرَّم الله وجهه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلّت عقدة وحصلت خفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الأنعام: الآية 47] لأنهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر أو أنه مستمر السحر مع أن ذاك قول الكفار بمكة المكرمة وهذا أمر عرض بالمدينة المعظَّمة.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الآية 5] إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه فإنه لا يعود ضرره منه قبل ذلك إلى المحسود بل يخص بالحاسد لاغتمامه بسروره في حال السعود ومقام الصعود ولذا قيل: الحسود لا يسود.

وأفاد الأستاذ: أن في السورة تعليم استدفاع الشرور من الله ومن صحّ توكله على الله فهو الذي تحقق بالله فإذا توكل لديه وفوّض الأمر إليه لم يوفقه الله لتوكله إلا والمعلوم من لطفه وكرمه أنه يكفيه ما توكل به عليه وأن العبد به حاجة إلى اندفاع البلاء عنه فإن أخذ في التحرز بجلادته وحوله وقوته

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (6/ 84) رقم (10138)، وأبو يعلى في المسند (7/ 417) رقم (4440)، وأحمد في المسند (6/ 61) رقم (24368).

وبصيرته وعمي عن شهود التقدير تضاعف عليه البلاء في كل وقت من أوقات وجود التدبير، وإذا صح تبرؤه عن حوله وقوته وتحقق بشهود جريان التقدير فإلى أن يزول البلاء استراح من تعب تردد القلب في أمر التدبير وعن قريب يرقى إلى مقام الرضا كفي مراده أم لا، وعند ذلك لقي الملك الأعظم وارتفع عنه كل الهم والغم فهو وبظاهره لا يفتر عن الاستعاذة بالمولى وقلبه لا يخلو عن التسليم والرضا.



[مكيّة]

وهي ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله الذي قصرت العقول فوقفت، وعجزت العلوم فتحيّرت، وتقاصرت المعارف فخجلت، وانقطعت الفهوم فدهشت، وهو بنعت علائه ووصف سنائه وبهائه وعزّ كبريائه.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ [الآية 1] أي خالقهم ومالكهم ومربيهم ومتولي أمرهم، والمعنى قل أعتصم وألوذ من المضارّ البدنية والقلبية التي تعرض النفوس البشرية بربهم الذي يملك أمورهم ويستحق عبادتهم، ولذا أبدل عنه.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾﴾ [الآية 2] فإن الرب قد لا يكون ملكاً والملك قد لا يكون إلٰهاً، وتكرير الناس لما في الإظهار من مزيد البيان والإشعار بشرف الإنسان. وقيل: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 1] أي الأطفال منهم لمناسبة التربية لهم، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾﴾ [الآية 2] أي الشباب لأن لهم دعوى الملك والملك، ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [الآية 3] أي الشيوخ لوجوب العبودية كما تقتضي النعوت الإلٰهية ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ [الآية 4] أي الوسوسة اسم كالزلزال/ بمعنى الزلزلة 415/أ أما المصدر فبالكسر كالزلزال.

والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الآية 4] الذي عادته

الخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝﴾ [الآية 5] إذا غفلوا عن ذكر ربهم واشتغلوا بحظ أنفسهم ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾ [الآية 6] بيان للوسواس أو يتعلق بيوسوس أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة إنهم يعلمون الأمور الغيبية والناس كالكهان والمنجّمين في تأثير الأدوار الفلكية.

قال يحيى بن معاذ: الوسوسة بذر الشيطان فإن لم تعطه أرضاً وماءً ضاع بذره وبطل أمره وإن أعطيته الأرض والماء بذر فيه فسئل ما الأرض والماء.

قال: الشبع أرضه والنوم ماؤه، يعني من كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه عظم ندمه.

وقال سهل: من أراد الدنيا البحت لم ينج من الوسوسة.

وأفاد الأستاذ: أن الشيطان له تسليط على الناس بالوساوس وأن النفس من قبلها للعبد هواجس، والوساوس والهواجس متقاربان وفرقوا بينهما بأن الشيطان إذا دعاك إلى محظور فإن خالفته يدع ذلك ويدعوك إلى معصية أخرى هنالك إذ لا غرض له إلا إدامة دعائك إلى مطلق زلّة وهي لها غير مختلفة والنفس تدعوك إلى حطها وهي لجوج في مقصدها ولا تنصرف عنك ما لم تصل إلى مرادها فتلح ولا ترضى بدون حصول مطلوبها ووصول محبوبها إلا بمجاهدة صادق في حقها وكل من جاهد بنفسه من غير استعانة بربه وتبرئته وقوته لم يتم له الأمر في مجاهدته وعن قريب سيقع في وهدة غلطه من مشاهدته، وإذا علم الحق سبحانه صدق الاستغناء من عبده أعانه بل إذا أراد الحق إعانة عبد حمله على الاستعانة بربّه من شرّ عدوه والتوكل عليه في

جميع ما يرد عليه في الطريق، وبالله التوفيق.

تمَّ كتاب

«أنوار القرآن وأسرار الفرقان الجامع

بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان»

والحق أنه جوهرة منيعة لمعت من معادن الحقائق الربانية ودرة
رفيعة طلعت
من منابع الدقائق السبحانية ليس فيه ما ينافي الطريقة من هو على
الشريعة
والحقيقة فإنه منزَّه عما يقول الحلولية والإلحادية من أصحاب
التفرقة بأن
القراءات العادية غير صحيحة الرواية ولا الإعرابات الغريبة في
مقام الدراية
لا فارض ولا بكر بل بين ما صدر عن نقل أو ظهر

فهرس المحتويات